الاحتفاء بمرور خمس مئة سنة

على وفاة الامام السيوطي

الدكتور شاكر الفحام

كان الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ – ٩١١هـ) من أشهر علماء عصره، وأبعدهم أثراً في خالفيه.

نشأ في القاهرة، مستودع الحضارة العربية الإسلامية ومستقرها، وأعلى مناراتها الهاديات، فأقبل على التعلم إقبال منهوم مشغوف، وقد رُزق الموهبة، وأوتي الجلد والصبر والمثابرة، فما عرف الكلال سبيلاً إلى نفسه. وكان متوقد الذهن، حيَّ الذاكرة : حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين. ثم حفظ جملة صالحة من المتون، وشرع من بعدُ في الاشتغال بالعلم، في مستهل سنة ٨٦٤هـ، فقرأ على أكابر علماء عصره. وبدأ التأليف في سنٍّ مبكرة، فألف شرح الاستعاذة والبسملة، وشرح الحيعلة والحوقلة في زمن الطلب سنة ٨٦٥هـ، وهو ابن ست عشرة سنة. وحظي بتشجيع أستاذه البلقيني فزاده ذلك ثقة بنفسه، وأجيز بتدريس العربية سنة ٨٦٦هـ[1]، وقد انتصب للتدريس في سنة ٨٧٠هـ، وتصدى للإفتاء في سنة ٨٧١هـ، وأملى الحديث سنة ٨٧٢هـ، وتولى تدريس الحديث بالمدرسة الشيخونية سنة ٨٧٧هـ[2].

(١) التحدث بنعمة الله : ١٣٧، ٢٣٩، حسن المحاضرة ١ : ١٥٦ – ١٥٧

(٢) التحدث بنعمة الله : ٨٨ – ٩١، حسن المحاضرة ١ : ١٥٧، مقامات السيوطي ١ : ٥٥٤

وكان السيوطي واسع الثقافة ، طُلَعة ، امتدت لديه آفاق المعرفة ، وبرع في علوم شتى . ولكنه ، كما يذكر عن نفسه ، قد رزق التبحر في سبعة علوم هي : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع[٣] . وقد أكبَّ على التأليف حتى بلغت مؤلفاته حين ألف كتابه حسن المحاضرة نحو (٣٠٠) كتاب ، سوى ما غسله ورجع عنه[٤] . وعدّد السيوطي كتبه في أحد فهارسه ، فبلغ بها (٤٦٠) كتاب[٥] . ثم تجاوز مترجموه هذا العدد ، فبلغ بها بعضهم نحو ست مئة كتاب .

وتتجلى في مؤلفاته هذه الثقافة العريضة المتنوعة ، وقد نالت القبول والحظوة ، فانتشرت في البلاد ، وسارت بها الركبان ، وعلا صيتُ صاحبها ، وتألق نجمه ، ولقي ما لقي من التجلة والإكبار[٦] . وملأه الإعجاب بما كتب : « ... كتبي التي أصوغها صوغ الذهب ... ثم تطبّق الدنيا بعداً وقرباً ، وتسير إلى الآفاق شرقاً وغرباً ... وما في المشرق والمغرب الآن أحد إلا وهو داخل في العلم تحت لوائي ، ... فليس في الإسلام قطر إلا وقد وصلت تصانيفي إليه ، ولا مصر إلا وتجد شيئاً من كتبي لديه ، ووصلت إليّ من علماء الأمصار المطالعاتُ والرسائل .... »[٧] . وقد بلغ به الاعتداد بما كتب أن قسم مؤلفاته سبعة أقسام جعل قسمها الأول ما تفرد به من الكتب مما لم يؤلف له نظير في الدنيا ، وسرد في هذا القسم ثمانية

(٣) التحدثُ بنعمة الله : ١٣٨ ، ٢٠٣ ، حسن المحاضرة ١ : ١٥٧

(٤) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧

(٥) مجلة عالم الكتب ، مج١٢ ، ع٢ ، ص ٢٣٥ – ٢٤٢

(٦) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧ ، التحدث بنعمة الله : ١٥٥ – ١٥٩ ، مقامات السيوطي ١ : ٥٩٩ – ٥٦٣

(٧) مقامات السيوطي ١ : ٣٩٧ ، ٤١٩ ، ٢ : ٦٨٧

عشر مؤلفاً[٨]

وكان السيوطي يحرص في كتبه على ذكر موارده ومناهله ، لا يُغفل ذلك إلا قليلاً : « وقد علم الله والناسُ من عادتي في التأليف أني لا أنقل حرفاً من كتاب أحد إلا مقروناً بعزوه إلى قائله ، ونسبته إلى ناقله ، أداء لشكر نعمته ، وبراءة من دركه وعهدته »[٩] .

وإذا كان السيوطي في مسلكه هذا إنما يؤدي حق العلم ، ويلتزم الجادة التي سلكها السلف الصالح ، فقد أتاح له ذلك أيضاً أن يُطلع الآخرين على ما رُزقه من بسطة في العلم ، وإحاطة بما لم يحط به سواه ، وقدرةٍ لا تبارى في الكشف عن نوادر المصادر وأعلاقها النفيسة .

ورأى السيوطي ، وهو من هو علماً ومعرفة ، أن قد كملت له آلات الاجتهاد ، وأنه بلغ رتبة الاجتهاد المطلق[١٠] ، وخال أنه المبعوث على رأس المئة التاسعة ليجدّد لهذه الأمة دينها[١١] ، « وقد ترجّى الفقيرُ من فضل الله أن ينعم عليه بكونه هو المجدّد على رأس المئة . وما ذلك على الله بعزيز »[١٢] .

---

(٨) التحدث بنعمة الله : ١٠٥ – ١٠٦

(٩) مقامات السيوطي ١ : ٥٦٢ – ٥٦٣

(١٠) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧ ، التحدث بنعمة الله : ١٩٩ – ٢٠٠ ، ٢٠٥ – ٢١٤ ، مقامات السيوطي ١ : ٣٨٨ – ٣٨٩ ، ٢ : ١٠٥٢ – ١٠٥٤ ، فيض القدير ١ : ١١ ، ومما قاله الشهاب ابن حجر الهيتمي : « لما ادعى الجلال ذلك قام عليه معاصروه ، ورموه عن قوس واحدة ، وكتبوا له سؤالاً فيه مسائل ... » (فيض القدير ١ : ١١ – ١٢) .

(١١) حسن المحاضرة ١ : ١٥١ ، مقامات السيوطي ٢ : ٦٧٣ – ٦٧٥ ، ٦٨٦ – ٦٨٧ ، ٩٥٨ ، فيض القدير ١ : ١١ ، ٢ : ٢٨٢

(١٢) التحدث بنعمة الله : ٢٢٧

« وهذه تاسعة المئين قد أتت ولا يخلف ما الهادي وَعَدْ
وقد رجوتُ أنني المجدّدُ فيها ففضلُ الله ليس يجحدُ[١٣] »

وكانت هذه الدعوى سبب الخصومة والتنازع بين السيوطي وطائفة من علماء عصره رفعت في وجهه راية الأنكار ، وسلقته بألسنة حداد ، فتصدى لها منددًا بلسان سليط لاذع ، فهجا وسخر وجهّل ، ثم فاخر بنفسه ، وباهى بعلمه ومكانته : « ... على أن لي لسانًا لو مددته لوصل إلى جبل قاف ، ولو نشرته لنسف رمال الأحقاف ، ولو أدخلته البحر المحيط لكدّره ثم سجره ، ولو أصعدته الجوّ لغيّره ثم سعره ... »[١٤] .

وخلّفت المعركةُ فيما خلفته آثارًا للسيوطي تتبين فيها حدته وسخريته وذهابه بنفسه ، منها : الدوران الفلكي على ابن الكركي ، وطرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة ، والكاوي في تاريخ السخاوي ، والمقامة الكلاجية في الأسئلة الناجية ، والمقامة المزهرية[١٥] .

وشدّد خصوم السيوطي عليه الخناق ، وألّبوا عليه الناس والسلطان ، وأنهكتـه المعركة وهدّت قواه ، فآثر الانسحاب من الميدان ، وأوى إلى العزلة ، وقطع علائقه بالناس ، وترك التدريس والإفتاء ، وزهد في المناصب كلها[١٦] ، واعتذر لمريديه ومحبيه لهذا الابتعاد عن المجتمع بأن الزمان « زمان الصبر ، الصابرُ فيه كقابض على الجمر ، رأينا فيه ما أنذر به الرسول ...

(١٣) فيض القدير ٢ : ٢٨٢

(١٤) مقامات السيوطي ٢ : ٦٢٠

(١٥) مقامات السيوطي ١ : ٣٧٠ ـ ٤١٩ ، ٢ : ٦١٦ ـ ٨١٧ ، ٩٣٣ ـ ٩٥٧ ، ٩٥٨ ـ ٩٧١ ، ١٠٤١ ـ ١٠٥٥ ، وانظر جملة أخرى من مؤلفاته في هذا الباب في المقامات ٢ : ٩٦٠ ـ ٩٦١ ، وقد وردت المقامة المزهرية في كتاب التحدث بنعمة الله (ص١٩٤ ـ ٢٠١) بعنوان : رسالة النجح في الإجابة إلى الصلح .

(١٦) مقامات السيوطي ٢ : ١٠٠١ ـ ١٠٠٦ ، ١٠٣٤

من آيات وعلامات ... وما من آية منها إلا وقد أمر النبيُّ عليه الصلاة والسلام بأن يلزم العالم عندها خاصة نفسه ، ويجلس في بيته ويسكت ... »(١٧) .

وعكف السيوطي على التأليف والتصنيف ، مشيحاً بوجهه عن الدنيا ، وكأنما كان يردد لنفسه ما كان سبق أن قاله : « ... وأيّ شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر ، وقد أزف الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب أطيب العمر ... »(١٨) .

وظل التأليف ديدنه ودأبه ، والعزلة مذهبه ، حتى وافاه اليقين ، أحبُّ ما كان إلى الناس ، وآثره عندهم . وخلّف علماً عظيماً ، وكنوزاً من العلم نفيسة ، ما تزال منهل الواردين ، يعبون منها ما يروي ظمأهم إلى المعرفة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تنادت المؤسسات العلمية والأوساط الثقافية للاحتفاء بمرور خمس مئة عام على وفاة العالم الكبير السيوطي . وإن مجلة المجمع ليسعدها أن تشارك في الاحتفاء ، فتصدر هذا الجزء الذي تناول جوانب من سيرة الإمام السيوطي العالم الفذ ، وما كان لآثاره العلمية من شأن في إغناء المكتبة العربية .

ورجاؤنا أن يؤدي هذا الاحتفاء إلى قيام هيئة علمية تتولى نشر مؤلفات السيوطي المخطوطة ، وإعادة تحقيق المطبوع منها تحقيقاً علمياً ، لتكون منهل القاصدين من العلماء والمتعلمين ، يردون منها العذب النمير ، ويوالون النظر في آثار العالم الكبير إفادة منها ، ودراسة لها .

---

(١٧) مقامات السيوطي ٢ : ٩٩٨ ، وانظر المقامات ٢ : ١٠٠٠ – ١٠٠١

(١٨) حسن المحاضرة ١ : ١٥٧

الإمام جلال الدين السيوطي[1]

سيرة مختصرة

(٨٤٩ - ٩١١هـ)

الدكتور عبد الإله نبهان

كانت حياة السيوطي من ولادته إلى وفاته في عصر المماليك ، ولم يكن عصرهم عصر إبداع في العلم والأدب إنما كان عصر جمع ونقل وترتيب وتأريخ ، وظهر نبوغ السيوطي في هذه المجالات ، وكانت له مشاركة ما في الحياة العامة والرسمية ، لكنه قضى معظم أوقاته - وكان مباركاً له في وقتـه - في التصنيف والتـأليف ، وكتب سيرة حياته بقلمه موجزةً ومطولة[2] ، وترجم له تلاميذه من المحبّين[3] ، وخصومه من المبغضين[4] ، ولو كان لنا أن نكتب سيرة حياته كما يحبّ ، لقمنا بتعداد مؤلفاته الكثيرة ، فقد كانت الحياة عنده هي التصنيف في ضروب المعرفة وجمع العلوم ، ونظم

(١) موارد ترجمته : التحدث بنعمة الله للسيوطي . وحسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ له أيضاً والضوء اللامع ٤ : ٦٥ وبدائع الزهور ٤ : ٨٣ وشذرات الذهب ٨ : ٥١ والبدر الطالع ١ : ٣٢٨ .

(٢) سيرته المطوّلة هي التحدث بنعمة الله والموجزة ما كتبه عن نفسه في حسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ .

(٣) من ذلك ما كتبه تلميذه ابن إياس في بدائع الزهور ٤ : ٨٣ وكتاب تلميذه عبد القادر الشاذلي « بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين » وما يزال مخطوطاً قيد التحقيق وآمل إنجازه بعونه تعالى .

(٤) من ذلك ماكتبه السخاوي في الضوء اللامع ٤ : ٦٥ .

المتون وشرحها وكتابة التاريخ والتفسير وشرح الحديث ... فلا عجب بعد هذا أن نراه قد خصص القسم الأكثر من سيرته الموجزة وسيرته المطوّلة لتعداد مؤلفاته في علوم القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وعلوم العربية ومتعلقاته والتاريخ ومايتصل به ، وكأن سيرته هي آثاره ، ولم يكن له اهتمام برواية أحداث حياته على نحو تفصيلي ، ولم يذكر زواجه ولا أولاده ولا متاعبه ، ولم يتسع في الحديث عن علاقاته مع أمراء زمانه ، ولم يذكرهم إلا لِماماً ، وألقى الشيخ كثيراً مما يهمّ كاتب سيرته وراء ظهره ، واقتصر على الحديث عن شيوخه ووالده ، مما له علاقة بالعلم والمعرفة والصلاح .

والسيوطي هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر كمال الدين أبي المناقب بن محمد بن سابق الدين أبي بكر الخُضيري السيوطي(٥) ، كان والده أبو بكر(٦) من أهل العلم والمعرفة ، فقد ولي القضاء بأسيوط قبل قدومه إلى القاهرة ، فلما قدمها لزم العلامة القاياتي(٧) وأخذ عنه الكثير من الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعاني والمنطق ، كما أخذ عن غيره من شيوخ زمانه كالحافظ ابن حجر(٨) وغيره ، وبلغ في صناعة التوقيع النهاية ، وهو الذي كتب نسخة العهد(٩) للخليفة المستكفي با لله أبي الربيع

(٥) اسمه ونسبه مختصراً عن حسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ .

(٦) ترجم لوالده في حسن المحاضرة ١ : ٤٤١ وفي نظم العقيان : ٦٥ .

(٧) القاياتي محمد بن علي (٧٨٥ تقريباً ـ ٨٥٠هـ) قاضي القضاة العلامة النحويّ . حسن المحاضرة ١ : ٤٤٠ ونظم العقيان : ١٥٤ .

(٨) ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) مولده ووفاته بالقاهرة كان حافظ الإسلام في عصره . البدر الطالع ١ : ٧٩ . نظم العقيان ٤٥ .

(٩) انظر صورة العهد في تاريخ الخلفاء للسيوطي ٥١١ وانظر ترجمة المستكفي في الموضع نفسه .

سليمان بن المتوكل ، وكان إماماً له .

تفيدنا هذه الإشارات التي أوردها السيوطي مجتمعة أو مفترقة ، في معرفة نشأته الأولى ، فمنها عرفنا أنه نشأ في كنف والدٍ له بالعلم عناية ، وله عنده رعاية ، وأنه كان على صلةٍ بالخليفة إماماً له ، فلا عجب بعد ذلك أن امتلأت نفس الفتى – وهو يسمع عن أبيه مايسمع – إعجاباً بوالده ، وعزماً على أن يسير على سننه ، ويبالغ في طلب العلم ، بعد أن عزّزت ذلك في نفسه دواعٍ أُخر .

وولد السيوطي في القاهرة ليلة الأحدْ مستهلّ رجب عام ٨٤٩هـ – ١٤٤٥م في أيام حكم السلطان الظاهر سيف الدين جُقمق[١٠] (٨٤٢ – ٨٥٧هـ) وسمّاه والده عبدَ الرحمن ، ولقبه جلالَ الدين ، ويُستفاد مما كتبه السيوطي بعد ذلك عن نفسه[١١] ، أنه دُفع في طريق العلم منذ نعومة أظفاره ، فإنه ذكر أنّ والده توفي وله من العمر خمس سنين وسبعة أشهر ، وقد وصل في حفظه القرآن إلى سورة التحريم .. وتابع السيوطي بعدئذٍ مسيرة حياته مشمولاً برعاية نفرٍ من العلماء أصحاب أبيه ، منهم العلامة كمال الدين بن الهمام[١٢] ، الذي طلب جلالَ الدين عقب وفاة والده وقرره في وظيفة الشيخونية[١٣] بعد أبيه ، وكان والد السيوطي مدرساً للفقه بالجامع الشيخوني ، وهكذا رُسم خط سير حياة اليتيم وهو مايزال صبياً لمّا يبلغ

(١٠) جقمق : حسن المحاضرة ٢ : ١٢١ .

(١١) حسن المحاضرة ١ : ٣٣٦ .

(١٢) ابن الهمام : محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد كمال الدين (٧٩٠ – ٨٦١هـ) كان علاّمة محققاً جدلياً نظاراً . حسن المحاضرة ١ : ٤٧٤ .

(١٣) ذكرها السيوطي عدة مرات في حسن المحاضرة ١ : ٣٩٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٧١ ، ٤٨٢ ، ٥٠٩ ، ٥٢٩ ، ٥٣٨ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ .

السادسة من عمره بعد .

ويبدو أن جلال الدين طبع منذ صغره على الدأب والمثابرة ، فلا سبيل للملل إلى نفسه ، ولا تصرفه صوارف الحياة التي تشغل أترابه وتملأ أوقاتهم ، وقد وهب ذاكرة قوية ، وقدرة على الحفظ سريعة ، فما كاد يبلغ الثامنة حتى ملأ بالقرآن الكريم صدره حفظاً ، وأتبع ذلك بحفظ عدة متون في علوم مختلفة كعمدة الأحكام[١٤] ومنهاج النووي[١٥] وألفية ابن مالك[١٦] ومنهاج البيضاوي[١٧] ، ويقول السيوطي إنه عرض المتون الثلاثة الأُول عام ٨٦٤هـ على شيخ الإسلام علم الدين البُلْقيني[١٨] وعلى شيخ الإسلام شرف الدين المناوي[١٩] وعلى قاضي القضاة عز الدين الحنبلي[٢٠] وعلى شيخ الشيوخ أمين الدين الأقصرائي[٢١] ، وغيرهم . وتلقّى منهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٤) هناك عدة كتب بهذا العنوان أحدها في الفروع لابن قدامة الحنبلي ت ٦٦٠هـ ، والثاني في الحديث لابن دقيق العيد ت ٧٠٢هـ وأظنه يريد هذا الأخير . كشف الظنون ٢/١١٦٤ .

(١٥) منهاج النووي هو منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الفقه الشافعي للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦ . كشف الظنون ٢ : ١٨٧٣ .

(١٦) الخلاصة الألفية ، اختصرها من مطولته الكافية الشافية .

(١٧) منهاج البيضاوي وهو : منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي ت ٦٨٥هـ ، كشف الظنون ٢ : ١٨٧٨ .

(١٨) علم الدين البُلْقيني : صالح بن عمر (٧٩١ – ٨٦٨هـ) . حسن المحاضرة ١ : ٤٤٤ ونظم العقيان ١١٩ وشذرات الذهب ٧ : ٣٠٧ .

(١٩) شرف الدين المناوي (٧٩٨ – ٨٧١هـ) شرف الدين يحيى بن محمد ، شيخ الإسلام ، قاضي القضاة . حسن المحاضرة ١ : ٤٤٥ .

(٢٠) عز الدين الحنبلي : أحمد بن إبراهيم بن نصر الله ، قاضي القضاة (٨٠٠ – ٨٧٦هـ) انظر حسن المحاضرة ١ : ٤٨٤ .

(٢١) الأقصرائي أمين الدين يحيى بن محمد بن إبراهيم (٧٩٥ – ٨٨٠هـ) . =

الإجازة ، وما نظنّ السيوطيّ إلا صادقاً فيما أخبر به عن نفسه ، فمن أتمّ حفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة ، كان على إتمام هذه المتون في الخامسة عشرة أقدر ، ومن سار هذه السيرة المباركة في طلب العلم كان جديراً أن تتفتّح أمامه سُبُلُه ، وتذلّل حزونه ، وتلين صعابه ، ولا سيّما أن شيوخه ، وهم شيوخ زمانهم آنذاك ، يرعونه بعين الرأفة ، ويحوطونه بالعناية ، ويحفظون به وصية والده الصالح ... وكان جلال الدين يعتقد بعد أن أجيز بمحفوظاته أنه لم يبدأ الاشتغال بالعلم بعد ، وإنما كان في طور التأسيس . وطرائقهم في ذلك الزمان أن يحفظ الطالب المتن ، فإذا أتقن حفظه ، مدّوا له أسباب الفهم بالشرح ، لذلك رأيناه يحفظ ألفية ابن مالك ويجاز بها عام ٨٦٤هـ ، ثم يقول إنه قرأها في العام نفسه بعد ذلك على الشيخ شمس الدين محمد بن موسى الحنفي[٢٢] الإمام بخانقاه شيخو قراءةُ دراية من أولها إلى آخرها ، فأجيز بالإقراء والتدريس سنة ٨٦٦هـ . وبدأ اشتغاله بالعلم بعد إجازته بالحفظ بقراءة علم الفرائض على علامة زمانه في فنّه - كما يذكر - وهو شهاب الدين الشارمساحي[٢٣] ، وكان ذلك عام ٨٦٥هـ . وقرأ صحيح مسلم رواية على الشيخ محمد بن موسى الحنفي وسمع عليه الشفا[٢٤] ، وكانت نهاية ذلك مستهلّ سنة ٨٦٦هـ إذ أجيز كما تقدّم .

ARCHIVE

= انتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره . نظم العقيان : ١٧٨ وحسن المحاضرة ١ : ٤٧٨ .

(٢٢) شمس الدين محمد بن موسى بن محمود ، إمام الشيخونية ، ورد ذكره في كتاب التحدث بنعمة الله : ٦٨ ، ٢٣٧ .

(٢٣) الشارمساحي : شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٦٥هـ) نظم العقيان : ٤٣ والتحدث بنعمة الله : ٤٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢٤) الشفا في تعريف حقوق المصطفى لعياض بن موسى القاضي اليحصبي ت ٥٤٤هـ .

وكان جلال الدين يحضر في هذه السنّ عدة مجالس علم ، ويقرأ في الوقت نفسه على عدة شيوخ ، ويخيّل إلى الناظر في سيرته وفي مسموعاته وفي مقروءاته وفي أسماء شيوخه ، أن الرجل كان لا يكاد ينام ، فهو ينهل من العلم قراءةً وسماعاً بنهم بالغ ، فإذا ماخلا بنفسه استظهر ماقرأ ، وأخذ يجرب التصنيف ، ففي المدة المشار إليها آنفا كان يقرأ على الشيخ شمس الدين الحنفي[٢٥] خازن الكتب بالشيخونية ، قرأ عليه متن الكافية لابن الحاجب[٢٦] ، وشرح الكافية لابن الحاجب أيضـاً ، وقرأ عليه مقدّمة إيساغوجي في المنطق وشرحها للكاتي[٢٧] ، وقطعةً من كتاب سيبويه ، وسمع عليه « شافية ابن الحاجب » وشرحها للجاربردي[٢٨] .. وفي الوقت نفسه كان السيوطي يكتب مسودات تصانيف ، فكتب شرحاً منثوراً « للآجُرُّومية »[٢٩] أتبعه بشرح منظوم ، وشرح كتاب « الجمل »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٢٥) شمس الدين الحنفي : محمد بن سعد المرزباني . خازن الكتب بالشيخونية ذكره في التحدث بنعمة الله ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ .

(٢٦) ابن الحاجب : عثمان بن عمر . ولد في الصعيد وتوفي في الإسكندرية عام ٦٤٦ . بغية الوعاة ٢ : ١٣٤ .

(٢٧) إيساغوجي : لفظ يوناني معناه الكليات الخمس ، أي : الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ، وهو باب من الأبواب التسعة للمنطق .. وصنف فيه كثيرون منهم فرفريوس الصوري وعبد اللطيف البغدادي . وشرحه المشار إليه هنا هو شرح حسام الدين حسن الكاتي المتوفى سنة ٧٦٠هـ (كشف الظنون ١ : ٢٠٦) .

(٢٨) الجابردي : أحمد بن الحسن فخر الدين . توفي في تبريز عام ٧٤٦هـ بغية الوعاة ١ : ٣٠٣ .

(٢٩) الآجرّومية : متن نحوي شديد الإيجاز ، وضعها ابن آجُرُّوم (٦٧٢ - ٧٢٣هـ) محمد بن محمد بن داود الصنهاجي . مولده ووفاته بفاس . وذكر الزركلي أن آجُرُّوم معناه بلغة البربر الفقير . الأعلام ٧ : ٣٣ ط ٤ .

للزجاجي[٣٠] ، ووضع شرحاً على الكافية الكبرى لابن مالك[٣١] . وكتب غير ذلك ، ثم غسل ماكتبه كلّه .. وليس من شك في أن جلال الدين كان يجرب مقدرته في التأليف ، ويدرّب قلمه ، وقد ملأت نفسه المطامع في أن يكون مؤلفاً يذكره التاريخ في أعلام رجاله ، وتدلّ أسماء مؤلفاته التي غسلها على توجّهاته ، وعلى الطريقة التي سيتّبعها بعد ذلك في مؤلفاته ، فإنه سيكون شأنه شأن علماء عصره في اتجاههم إلى شرح المتون ووضع الحواشي وجمع ما تفرق وإعادة تصنيفه ..

ونعود إلى سيرة جلال الدين الذي انصرف في شوال عام ٨٦٥هـ إلى الفقه ، ولزم دروس شيخه قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني ، وشرع بالقراءة عليه ، فقرأ جملةً من كتب الفقه لم يتمّها ، وإنما كان يقرأ من كل كتاب قسماً ، فقد قرأ عليه قطعة من كتاب « التدريب » لسراج الدين عمر البلقيني الشافعي ، بدأ من أوّله وانتهى إلى كتاب الزكاة ، وكذلك قرأ من أوّل « التنبيه »[٣٢] إلى الزكاة ، وسمع قطعةً من « الروضة »[٣٣] من باب القضاء ، وقطعة من « التكملة »[٣٤] للزركشي من إحياء الموات إلى نحو

(٣٠) الزجاجي : أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسحاق . عاش ببغداد ، وتوفي بطبرية ، وكتابه الجمل ، كتاب موجز في النحو ، له شروح كثيرة بعضها مطبوع . بغية الوعاة ٢ : ٧٧ .

(٣١) ابن مالك : أبو عبد الله محمد بن عبد الله . ولد بجيّان بالأندلس . وتوفي بدمشق عام ٦٧٢هـ . بغية الوعاة ١ : ١٣٠ .

(٣٢) التنبيه : في فروع الشافعية ، للشيخ أبي إسحاق الشيرازي إمام الشافعية في عصره . توفي سنة ٤٦٧هـ . كشف الظنون ١ : ٤٨٩ .

(٣٣) الروضة : في فروع الشافية = روضة الطالبين وعمدة المتقين للإمام يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ .

(٣٤) التكملة : تكملة شرح المنهاج للنووي . صنفها بدر الدين محمد بن عبد الله

الوصايا ، كما سمع عليه من أول « الحاوي الصغير »[٣٥] إلى باب العدد ، ومن أوّل كتاب « المنهاج »[٣٦] إلى الزكاة . وفي هذه السنة استيقظت في نفسه شهوة التصنيف ، فقادته أفكاره إلى أن يصنّف تصنيفاً يشرح فيه الاستعاذة والبسملة ، وتصنيفاً آخر يشرح فيه الحوقلة والحيعلة ، وقدّمهما إلى شيخه البلقيني ، ورغب الشيخ في تشجيع تلميذه والأخذ بيده ، ودفعه في طريق التصنيف ، فأخذهما ووقف عليهما ، وكتب له تقريظاً ، وفرح السيوطيّ بذلك ، واعتزّ بتقريظ شيخه ، وإن اعترف بعدئذٍ أنه لم يرض عنهما ، قال « وهذان الكتابان وإن اشتملا على فوائد يبتهج بها المبتدئ ، فإني لا أعتبرهما الآن ، ولولا أنّ شيخنا شيخ الإسلام وقف عليهما وشرّفهما بخطّه لغسلتهما في جملة ماغسلته »[٣٧] .

ولم يلبث شيخه البلقيني أن أجازه بالإفتاء والتدريس في شوال عام ٨٦٦هـ ولما يبلغ من العمر الثامنة عشرة ، وتأهب لشغل منصبه مكان أبيه ، مدرساً للفقه بالجامع الشيخوني . وطلب من شيخه أن يسمح له بمباشرة الدرس بنفسه ، فأجيب إلى ما أراد ، ولبّى شيخه شيخ الإسلام البلقيني طلب تلميذه السيوطي فحضر عنده في أول يوم تشريفاً له ، كما جرت العادة بذلك ، واحتفل السيوطي لدرسه الأول ، وتأهب له وأعد عدّته ، فإن عليه أن يثبت أنه بالتدريس جدير وعليه قدير أمام شيخه وأمام

= الزركشي ت ٧٩٢هـ وهو صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن . انظر كشف الظنون ١ : ١٨٧٤ والبرهان في علوم القرآن ١ : ٨ .

(٣٥) الحاوي الصغير في الفروع للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي ت ٦٦٥ ، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية .

(٣٦) انظر الحاشية رقم ١٥ .

(٣٧) بهجة العابدين ص ١٧ (مخطوط جستربيتي) .

الحضور ، وكانت نفسه مفعمةً بالرهبة من جلال الموقف ، وخاصة أنه لما أعلم الناس أن شيخ الإسلام سيحضر درسه كذبه بعضهم ، وهو يقول « فلم يصدّق أكثرُ الحسَدة »[٣٨] وذهب وزار مقام الإمام الشافعي وتوسل به ودعا ربّه أن يأخذ بيده .

وفي يوم الثلاثاء التاسع من ذي القعدة سنة ٨٦٧هـ حضر شيخ الإسـلام البلقيني ومعه نفر من الشيوخ ، وحضر جمهور من طلبة العلم وجمهور من الحسدة ليشهدوا أول درس لجلال الدين .

وكان السيوطي أعدّ خطبةً يفتتح بها درسه ، ولم يجد أنسب من أن يفتتح درسـه بخطبة الإمام الشـافعي التي صدّر بها كتابه العظيم « الرسالة »[٣٩] وهي خطبة اشتملت على نفيس الكلام وبديع القول ، وصيغت بأسـلوب رائع وعبارة معجبة بليغة ، فلا بدع أن كانت تحفظ وتفتتح بها الخطب أو الدروس ، لذلك سار السيوطي على سنن شيخه البلقيني الذي كان يسير على سنن أبيه وأخيه في الافتتاح بها ، وسرّ البلقيني من افتتاح الدرس بخطبة الإمام الشافعي ، ولم يحدثنا السيوطي عن وقع درسـه على نفوس الناس ، ويبدو أنه كان راضياً عن نفسه ، مطمئناً إلى ما قدّمه بين يدي شيخه وحضور درسه من الفضلاء والشيوخ .

لم يحدثنا السيوطي عن دروسه ولا عن تلاميذه في هذه المرحلة ، بل إنه أصرَّ في سيرته على أنه لم يتوانَ في طلب العلم ، وفي السعي إلى مجالسه ،

---

(٣٨) المرجع السابق : ص ١٨ .

(٣٩) كتـاب الرسـالة للإمام محمد بن إدريس الشـافعي ١٥٠ ـ ٢٠٤ هو أول كتاب ألف في أصول الفقه . قال الشيخ أحمد محمد شاكر : بل هو أول كتاب ألف في أصول الحديث أيضاً . انظر الرسالة : المقدمة : ١٣ .

وفي إقذاء الجفون بالسهر لتحصيل أوابده وجمع شوارده ، وكان – رحمه الله – يتبع نظاماً صارماً في حضور مجالس العلم ، فإنه لم ينقطع عن دروس شيخه البلقيني إلى أن توفي ، ولعلّه من المفيد أن أدع السيوطي يتحدث عن نظامه قال :

« واستمررت بعد ذلك – بعد الإجازة – ملازماً لدروس شيخنا شيخ الإسلام ، فلم أنفك عنه إلى أن مات ، وكنت أذهب من الفجر إلى دروس البلقيني فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر ، ثم أرجع إلى الشُّمُنّي[٤٠] ، فأحضر مجلسه إلى قرب العصر ، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة : السبت والاثنين والخميس . وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين[٤١] بكرةً ، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافيجي »[٤٢] وواضح أن السيوطي بعد أن ألقى درسه الأول لم يتفرّغ للتدريس ، وربما كان درسه الذي ألقاه مجرد إشعار بكونه مجازاً ثم تابع طلب العلم ، ربّما كان يدرّس درساً كل أسبوع أو درسين ؟ ولكن لا سبيل إلى الجزم بذلك ، كلّ ما يمكن أن نؤكده أنه كان منصرفاً إلى الشيوخ وإلى طلب العلم ، فقد ذكر اشتغاله على الشيخ شمس الدين

---

(٤٠) الشُّمُنّي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري (٨٠١ – ٨٧٢هـ) . حسن المحاضرة ١ : ٤٧٤ وبغية الوعاة ١ : ٣٧٧ .

(٤١) سيف الدين الحنفي : محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري (٨٠٠ – ٨٨١هـ) انظر حسن المحاضرة ١ : ٤٧٨ وبغية الوعاة ١ : ٢٣١ وشذرات الذهب ٧ : ٣٣٢ .

(٤٢) النص من بهجة العابدين ص ١٨ – ١٩ (نسخة جستربيتي) ومحيي الدين الكافيجي هو محمد بن سليمان بن سعد قال عنه السيوطي : أستاذ الدنيا في المعقولات . ولد قبل سنة ثمانمائة وتوفي سنة ٨٧٩هـ . حسن المحاضرة ١ : ٥٤٩ .

الحنفي خازن الكتب بالشيخونية ، وعلى قاضي طرسوس علاء الدين[٤٣] ، كما لزم دروس شيخ الإسلام شرف الدين أبي زكريا يحيى بن محمد المناوي[٤٤] قاضي القضاة ودروس العلّامة سيف الدين محمد بن محمد الحنفي وسمع عليه : الكشاف والتوضيح وحاشية الشيخ عليه ، وشرح الشذور وتلخيص المفتاح والعضد[٤٥] ، كما أنه لزم دروس الشيخ محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافيجي الحنفي الرومي ، فأخذ عنه الفنون قراءةً وسماعاً من تفسير وحديث وأصول دين وأصول فقه وعربيةٍ ومعان ، وسمع عليه الكشاف وحواشيه والمغني وحاشيته[٤٦] وغير ذلك من الكتب ، وكانت ملازمة السيوطي لشيخه هذا أربعة عشر عاماً واستفاد منه كثيراً ، قال « مادخلت إليه يوماً من الأيام إلا استفدت منه مالم أسمعه قبل ذلك من نفائس التحقيقات الجليلة[٤٧] » وهذا الشيخ أجاز السيوطي بتدريس سائر

---

(٤٣) ذكره صاحب بهجة العابدين نقلاً عن السيوطي ص ١٩ والنص في التحدث بنعمة الله ٢٤١ .

(٤٤) انظر الحاشية ١٩ .

(٤٥) الكشاف للزمخشري ، والتوضيح لابن هشام ، وهو المعروف بأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . (كشف الظنون ١ : ٥٠٨) . وشرح الشذور في النحو لابن هشام ، وتلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني وهو في المعاني والبيان والبديع ، أما العضد فيبدو لي أنه يقصد به العقائد العضدية لعضد الملّة والدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ . وإذا كانت كلمة « العضد » قد حرّفت عن العضدي فالمقصود بها كتاب الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي المتوفى ٣٧٧هـ .

(٤٦) المغني هو مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ، وعليه حواشٍ كثيرة .

(٤٧) التحدث بنعمة الله ٢٤٤ .

الفنون ، وقرره مدرساً للحديث بالشيخونية بعد وفاة الفخر المقسي[٤٨] .

وفي أثناء ملازمة السيوطي للكافيجي ، ظهرت من السيوطي بوادر تدلّ على انصرافه عن علوم المعقول ، وكان الإمام الكافِيجي من كبار العلماء بالمعقولات ، وذكر السيوطي أن شيخه صنّف كتاباً سماه « أنوار السعادة في علوم الكلام » وطلب منه أن يكتب له شرحاً ، لكنّ نفس السيوطي المنصرفة عن هذه العلوم أبت عليه ، وطلب من شيخه أن يعفيه من هذه المهمة ، وهذا الانصراف رغبة عن علم المعقول سيتحول إلى عداء لهذه العلوم عند السيوطي فيما بعد ، وسيؤلف كتابه « صون المنطق والكلام عن فنّ المنطق والكلام[٤٩] » . وتابع السيوطي طلب العلم موزّعاً في كل اتجاه ، فنراه يقرأ في علم الميقات والطب والفقه ، ويلازم الشُمنّي من أول سنة ٨٦٨هـ ، ويأخذ عنه الحديث والعربية والمعاني ، وذكر أنه قرأ عليه قطعة من « المطوّل »[٥٠] و« التوضيح »[٥١] لابن هشام ، ولما كان السيوطي متعجلاً متلهفاً ليعدّ في المؤلفين ، وليسلك في نظام المصنفين ، فإنه قدّم شرحاً صنّفه على ألفية ابن مالك إلى شيخه الشُمنّي فقرّظه ، وكذلك فعل لما قدّم له كتابه الآخر « جمع الجوامع في العربية »[٥٢] ولم

---

(٤٨) الفخر المقسي : عثمان بن عبد الله من فقهاء الشافعية . ورد ذكره في عدة مواضع في كتاب التحدث بنعمة الله : ١٠ ، ٩١ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ .

(٤٩) صون المنطق والكلام طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٧ بعناية علي بعناية علي سامي النشار وأعاد نشره سنة ١٩٧٠ في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

(٥٠) المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازاني (في البيان والمعاني والبديع) .

(٥١) التوضيح = أوضح المسالك .

(٥٢) جمع الجوامع في العربية : نشر مع شرحه (همع الهوامع) في مصر سنة ١٣٢٧هـ وفي الكويت بتحقيق د . عبد العال سالم مكرم .

ينفكّ السيوطي عن شيخه الشُمنّي حتّى توفي في ذي الحجة عام ٨٧٢هـ فرثاه بأربع قصائد(٥٣) .

كان السيوطي حريصاً على الإجازات من العلماء ، وعلى السماع منهم والرواية عنهم ، فلا غرابة أن جمع معجماً كبيراً بلغ فيه تعداد شيوخه الذين سمع منهم أو أجازوه أو أنشدوه شعراً نحواً من ستمائة نفس(٥٤) .

وفي عام ٨٦٩هـ اتجه السيوطي إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، ولم يفوّت في هذه الرحلة فرصة اللقاء مع العلماء والسماع منهم ، ومن الطريف أن السيوطي استفاد من الوقت وهو في السفينة ، فعمل على اختصار الألفية نظماً ، واختتم نظمه بقوله :

نظمتها في نحو ثلثي أصلها ولن ترى مختصراً كمثلها
ختمتها بظهر بحر القُلزُم مسافراً للبلدِ المحرّم
وفي ربيع لاح زهر نظمها وفي جمادى فاح مسك ختمها
من عام تسعة وستين التي بعد ثمان مائةٍ للهجرة(٥٥)

وبهذه المناسبة ألف كتابه « النحلة الزكية في الرحلة المكية » . وبعد عودته من الحجاز قام برحلة إلى دمياط والإسكندرية وأعمالهما، وتحدث عن هذه الرحلة في كتابه « قطف الزهر في رحلة شهر » والسيوطي لا يهتم بما يشاهده الرحالة عادة ، ولا يهتم بذكر انطباعاته ، فالحياة عنده كلها قراءة وسماع ورواية وإجازة ولقاء رجال ، وكان يطرب ويُسرّ إذا مُدح من قِبل أحد العلماء ، ويروي ما مُدح به ، فقد ذكر في هذه الرحلة أن الشيخ

---

(٥٣) التحدث بنعمة الله : ٤٣ وبهجة العابدين : ٢٢ .

(٥٤) التحدث بنعمة الله : ٧٩ .

(٥٥) المرجع السابق : ٨٤ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفاضل شمس الدين محمد بن علي العطائي سمع عشارياته وكتبها ، ثم مدح السيوطي وكتب له :

أرى شـابـاً مـا أرى مثـلـه ... في العلم والدين معاً والصلاحْ
تبسّـم الثغر بـه ضـاحـكاً ... وافـترّ عن درّ وشـهْـدٍ وراحْ
شـبهتـه لـمـا بـدا مقبـلاً ... بالشيخ محيي الدين وابن الصلاح

ولاشك أن السيوطي قد سرّ كثيراً ، وامتلأ عجباً بنفسه ، لما شبّه بمحيي الدين النووي وابن الصلاح الشهرزوري(٥٦) .

ورجع جلال الدين إلى القاهرة ، ونصب نفسه للتدريس في شوال عام ٨٧٠هـ ، وتوافد عليه الفضلاء كما يقول ، وقرؤوا تصانيفه ومنهم من لزمه عشر سنوات ، وأقام بالقاهرة حتى وفاته ، ولم تكن له رحلة إلى غير ما ذكرناه ، أي رحلة الحج ورحلة دمياط والإسكندرية ، وإن أولع المحدّثون واهمين بذكر رحلات له أخر(٥٧) .

وكان السيوطي مولعاً بالحديث النبوي الشريف ، بروايته ودرايته ومصطلحه ، لذلك رأيناه يعقد مجلساً لإملاء الحديث الشريف بالجامع الطولوني(٥٨) ، ويقول : إنه جدد بذلك ماكان انقطع من عشرين سنة ، وجعل مجلس الإملاء بعد صلاة الجمعة ، وكان بدء ذلك يوم الجمعة

(٥٦) ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن ٥٧٧ ـ ٦٤٣هـ توفي بدمشق أحد الفضلاء المقدّمين في الفقه والتفسير والحديث . وهو صاحب كتاب « معرفة أنواع الحديث » المعروف بمقدمة ابن الصلاح .

(٥٧) معظم الذين ترجموا له من المعاصرين وقعوا في هذا الوهم في مقدمات كتب السيوطي التي حققوها . انظر على سبيل المثال : المزهر ٢ : ٦٥٧ . الاقتراح في أصول النحو : ٨٣ ط د . فجّال . معترك الأقران ١ : ز .

(٥٨) الجامع الطولوني : بناه أحمد بن طولون ، وبدأ ببنائه سنة ٢٦٣هـ وفرغ منه سنة ٢٦٥هـ . انظر خطط المقريزي ٣ : ١٤٢ وحسن المحاضرة ٢ : ٢٤٦ .

مستهلّ عام ٨٧٢هـ ، ولم يطل به الحال ، فإنه سرعان ما قطع الإملاء في شعبان سنة ٨٧٣هـ بسبب وقوع الطاعون[٥٩] .. ثم جدد مجلس الإملاء عام ٨٧٤هـ فأملى ثلاثين مجلساً ثم قطع ذلك .

وفي هذه المرحلة نفسها – والسيوطي يعمل موزعاً في شتّى الاتجاهات – بدأ بالإفتاء ، وكان البدء عام ٨٧١هـ أي عندما كان في الحادي والعشرين من العمر . وستتراكم هذه الفتاوى ليجمعها بعد ذلك في مجلدات ثلاثة .

إنه لمن الصعوبة بمكان أن نتحدث عن السيوطي دون الإشارة إلى مؤلفاته ، إن مؤلفاته كانت نسيج حياته ، ومن خلالها وبها كان يؤكد ذاته ويعزز شخصيته ، ومن بداية حياته العلمية أراد أن يكون من المصنفين ، وأن يكون من المحدّثين ، وإلا فما معنى أن يعقد مجلساً لإملاء الحديث سوى أنه كان يتشبه بابن حجر[٦٠] أو بابن عساكر[٦١] ، وظنّ الأمر سهلاً ميسراً ، فعقد المجالس وتصدّرها ، لكن لم تلبث هذه المجالس أن انقطعت ، لماذا ؟ لا ندري ، ولكن نظنّ أن السيوطي والناس الذين يملي عليهم شعروا بعدم جدواها بعد أن تحمّسوا لها تقليداً للسلف الصالح ... وإذا صدّقنا مارمى به السخاويُّ السيوطيَّ من أنه جمع حوله طائفةً من العوام بجامع ابن

(٥٩) صنف السيوطي عدة رسائل في الطاعون منها : رسالة في الطاعون منها نسخة في المكتبة الصديقية بحلب ١٣٨ ومنها ما رواه الواعون في أخبار الطاعون منها نسخة في الظاهرية بدمشق . ١١٥٨ حديث وبدار الكتب المصرية ١٣٣ مجاميع ، ١٠٢ مجاميع وفي ليدن ٢/٤٥٥ والخزانة التيمورية .

(٦٠) انظر التعليق ٨ .

(٦١) ابن عساكر : علي بن الحسن بن هبة الله . محدّث الديار الشامية (٤٩٩ – ٥٧١) ، انظر طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ٢٧٣ .

طولون ، وأنه صار يملي على بعضهم ممن لا يحسنُ شيئاً(٦٢) ، كان لدينا سبب آخر وجيه لتعليل وقف مجالس الإملاء .

كانت أمنية السيوطي أن يصل في الفقه إلى رتبة سراج الدين البلقيني ، وأن يصل في الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر ، لذلك رأيناه – من خلال سيرته – يبالغ في قراءة الفقه وسماع الحديث ، بل يسرع في التصدّر لإملائه ، وقد ذكر أنه شرب ماء زمزم مستعيناً به لأمور من أهمّها أن يصل ببركته إلى رتبة هذين العلَمين في الفقه والحديث(٦٣) .

وكان السيوطي في مرحلة الطلب ، وفي المرحلة التي تلتها ، ملازماً للمدرسة المحمودية ، حتى إنّ السخاوي اتهمه بالإغارة على كتبها وادعائها لنفسه ، وكان لهذه المدرسة مكانة مرموقة ، قال المقريزي « أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار في سنة ٧٩٧هـ ، ورتّب بها درساً وعمل فيها خزانة كتب ، لا يُعرف اليوم بديار مصر والشام مثلها ، وهي باقية إلى اليوم ، لا يُخرج لأحدٍ منها كتاب إلا أن يكون في المدرسة ، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كلّ فن ، وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر(٦٤) » . وماندري ما نصيب تهمة السخاوي للسيوطي من الصحة ، ولا يمكننا إلا أن نحمل الأمر – وقد غير الجميع – على أنه ضرب من الطعن الذي تمليه ظروف المعاصرة ، ولكن الحقّ الذي لا يمكن إنكاره ، هو أنّ السيوطيّ استفاد فائدةً عظيمة من هذه المكتبة ، حتّى إنه أراد أن يغيّر شرط الواقف ، وأن يقررَ السماح بالإعارة إلى خارجها ، وصنف في ذلك « بذل

---

(٦٢) الضوء اللامع ٤ : ٦٦ .

(٦٣) بهجة العابدين : ٢٣ .

(٦٤) خطط المقريزي ٣ : ٣٦٨ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجهود في خزانة محمود » .

إذن بدأ السيوطي حياته الرسمية عام ٨٧٢هـ = ١٤٦٧ م عندما تولّى منصب المشيخة في المدرسة الشيخونية ، ثم تولّى مشيخة الصوفية بتربة برقوق[٦٥] نائب الشام وذلك في ربيع الآخر سنة ٨٧٥هـ . وفي عام ٨٩١هـ انتقل إلى مشيخة الخانقاه البيبرسية[٦٦] وقد شغرت بوفاة متوليها ، فوليها السيوطي ، وسأدع السيوطي يحدّثنا بنفسه عن ولايته البيبرسية وعن مواقفه من السلطان ، قال : « ثم شغرت مشيخة الخانقاه البيبرسية بوفاة الشيخ جلال الدين البكري[٦٧] فأرسل إليّ السلطان - ويعني به الأشرف سيف الدين قايتباي[٦٨] (٨٧٢ - ٩٠١هـ) - فطلعت إليه وولّانيها في ربيع الآخر من السنة ٨٩١هـ ، ولم أطلع إليه بعد ذلك مع إرساله إليّ مرات يطلب مني الطلوع أول كل شهر ، فأجبت قاصده بأني أحبّ سلوك طريق السلف ، فإنهم كانوا لا يترددون إلى الملوك إلا المرات اليسيرة في عمرهم ، فلما كان أول المحرم سنة تسع وتسعين [وثمان مئة] أتى قاصده إليّ يذكر أنه رسم بطلوعي إليه ، أنا وجماعة التربة ، فطلعت أنا والجماعة إليه ، ودخلت بطيلساني على العادة ، فقال : أنت مالكيٌّ حتى تتطيلس ؟ لأنه كان يظنّ أن الطيلسان مختصٌ بمذهب المالكية ، لكون القضاة الأربعة لا يطلع منهم بالطيلسان إلاّ المالكيّ فقط ، وهذه عادة حدثت قريباً ، وكان

---

(٦٥) برقوق ابن أنص الملك الظاهر (٧٣٨ - ٨٠١هـ) أول من ملك مصر من المماليك الجراكسة .

(٦٦) الخانقاه البيبرسية : انظر خطط المقريزي ٣ : ٤٠٤ وحسن المحاضرة ٢ : ٢٦٥ .

(٦٧) التحدث بنعمة الله ١٦٣ .

(٦٨) قايتباي : الأشرف قايتباي المحمودي . حسن المحاضرة ٢ : ١٢٢ .

في الزمن القديم إلى أيام السُّبكي[٦٩] الطيلسانُ شعارَ القاضي الشافعيّ ، وخاص به من بين القضاة ، وفي طبقات السبكي وغيرها إشارة إلى ذلك . فقلتُ له : الطيلسان سنّةٌ في كلّ مذهب ، لا يختصّ بالمالكية . فقال : هذا تكبّر وتجبّر ، وبالغ في التشديد . فقلت له : معاذ الله ، بل سنّة رسول الله ﷺ ، ثم إنه تأدّب في بقية المجلس ، وأحسن القول ، وصرف المعلوم المنكسر لي وللجماعة ، ثم رجعت من عنده . وكان بعد أيام بلغني أن إمامه إبراهيم بن الكركي قال له : ليس الطيلسان سنّة ، ولو كنت حاضراً وقال لك إنه سنّة ، لقلت له : إنّه سنّة اليهود . فقلت : إن كان ابن الكركي قال ذلك فقد كفر ، ولو كان حاضراً وقال ذلك لكفّرته بحضرته .. ثم ألفتُ مؤلفاً حافلاً سميته : الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان[٧٠] » ويتحدث السيوطي كثيراً عن مجابهته للسلطان ، وتأبيه عليه ، ويعتزّ بذلك ، وما ذلك إلا لأنه كان يعتقد أنّ أولي الأمر في أيامه لا حقّ لهم بإمرة الأمة ، وأن العلماء – وهو منهم – هم الأحقّ بولاية هذا الأمر ، ويؤكد ما نذهب إليه ، ما ذكره تلميذه عبد القادر الشاذلي[٧١] أنه كان عنده في جامع

---

(٦٩) السبكي : علي بن عبد الكافي ، تقي الدين ، أبو الحسن ، قاضي القضاة (٦٨٣ – ٧٥٦هـ) ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى لابنه تاج الدين ٦ : ١٤٦ وقد صنعت ترجمة لحياته وجريدة لمؤلفاته ونشرتها مجلة التراث العربي بدمشق ، العدد ١٧ محرم ١٤٠٥/ تشرين أول ١٩٨٤ .

(٧٠) الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان = في وصف .. نشر في القدس بتحقيق أرازي . الجامعة العبرية ١٩٨٦ .

(٧١) عبد القادر بن محمد بن أحمد الشاذلي ، تلميذ السيوطي ، ومصنف كتاب « بهجة العابدين بترجمة الشيخ جلال الدين » توفي بعد سنة ٩٤٥هـ . ففي كتابه بهجة العابدين ص ٩١ ذكر حادثة جرت سنة ٩٤٦هـ . وهذا أصح مما ذكره الزركلي من أن وفاته سنة ٩٣٥هـ . الأعلام ٤ : ٤٣ وإيضاح المكنون ١ : ٢٠٢ .

طولون » عندما أتى إليه نقيب الجيش يونس الطويل وخاطبه على لسان الملك الأشرف قانصوه[٧٢] بسبب شكوى أهل البيبرسية فيه ، وقال له : كلّم السلطان ... فقال الشيخ في الجواب وهو متكئٌ بذراعه الأيمن على وسادته ، وهو في غاية الرياضة ، لم يتحرك ولم يختلج : مالي وللسلطان ؟ إن كان للسلطان عندي حاجة فليأت إلى عندي .. فقال له نقيب الجيش ثانياً من باب الإغلاظ عليه : أجب وليّ الأمر ، فقال الشيخ : اسكت وإلا أنني أفتي بكفرك وضرب عنقك .. مَنْ هم أولو الأمر ؟ نحن أولو الأمر ، أولو الأمر العلماء .. مثلُك يخاطبني بهذا الكلام ؟! »[٧٣] .

وخلاصة الكلام أن السيوطي ترك مشيخة البيبرسية ولم يعد إليها ، مع أن السلطان قانصوه الغوري عرض عليه أن يكون شيخ مدرسته التي أنشأها بقصبة القاهرة فلم يقبل ، وعرض عليه العودة إلى مشيخة البيبرسية فلم يقبل ، واعتزل الناس منصرفاً إلى التصنيف . قال تلميذه عبد القادر الشاذلي : « فكان – رحمه الله – من الزاهدين في مشيخة الصوفية بالغورية ، وفي مشيخة التصوف بالبيبرسية ، وفي مشيخة الحديث بالشيخونية ، وفي مشيخة التصوف بالبرقوقية .. وترك الجميع وزهد فيها ولم يلتفت إليها ، وكان إذا احتاج إلى شيء من النفقة باع تركته وأكل من ثمنها ، وبعثُ له كتباً كثيرة على يدي ، ولم يسأل مخلوقاً في شيءٍ من أمر الدنيا ، ولم يُعلم بحاله أحداً »[٧٤] وقضى السيوطي ما تبقّى له من أيامه في بيته يؤلف

(٧٢) قانصوه السلطان الغوري بن عبد الله الجركسي . بويع بالسلطنة بقلعة الجبل في القاهرة سنة ٩٠٥هـ . هزم أمام السلطان سليم العثماني وقتل في مرج دابق قرب حلب سنة ٩٢٢هـ . در الحبب ج٢ ق١ : برقم ٣٨١ والبدر الطالع ٢ : ٥٤ وشذرات الذهب ٨ : ١١٣ والأعلام ٥ : ١٨٧ .

(٧٣) بهجة العابدين : ٦١ – ٦٢ .

(٧٤) المرجع السابق : ٦٠ .

ويصنّف ، ويتردد عليه تلامذته والراغبون في علمه ، حتى كان ثاني عشر من شهر جمادى الأولى سنة ٩١١هـ إذ داهمه المرض ، وكان ورماً شديداً في ذراعه اليسرى ، ومكث على ذلك سبعة أيام ، وتوفي سحرَ ليلة الجمعة في التاسع عشر من الشهر المذكور ، بمنزل سكنه وملكه بروضة مصر ، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وصلّى عليه الناس بجامع الأباريقي بالروضة عقب صلاة الجمعة ، وصلّى عليه مرةً ثانية خلائق كُثر بسبيل المؤمنين ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن بحوش قوصون بخطّ باب القرافة في قبر والده الشيخ كال الدين(٧٥) . ولما وصل نبأ وفاته إلى دمشق صلى عليه الناس فيها صلاة الغائب(٧٦) .

هذه سيرة السيوطي بإيجاز ، لم أعرض فيها لعلاقاته مع علماء عصره ، ولم أعرض لمؤلفاته ، ولم أتطرّق إلى تحليل دوافعه ورغباته في حياته ، ولم أناقش ما قيل فيه من مدح أو قدح ... لذلك كله رأيت أن أستوفي شيئاً ما مما أشرت إليه فيما يلي من هذا المقال .

إن من أقوى ما امتلأت به نفس السيوطي ، وفاض على قلمه رغبةً وتوقعاً ، وكاد يكون ادعاءً ، هو أنه مجدّد القرن التاسع ، وكان كثير اللهج بهذه الرغبة ، وفكرةُ مجدد القرن تستند إلى حديث نبويّ فحواه أن الله يبعث لهذه الأمة كل مائة سنة مَنْ يجدد لها أمر دينها ، وهذا المجدد لا يكون إلا مجتهداً ، فمن البدهي إذن أن تبدأ القضية بدعوى الاجتهاد ، وادّعاء الاجتهاد ليس سهلاً ، ولا يتمّ التسليم لصاحبه به إلا بعد لأي ، فكيف تمّ

(٧٥) المرجع السابق : ٨٤ .

(٧٦) مفاكهة الخلان ١ : ١٦٣ وذكر خطأً أنهم صلّوا عليه عام ٩٠٠ والصواب ماورد في الكتاب نفسه في أحداث ٩١١هـ .

للسيوطي ادّعاء الاجتهاد ، وهل سلّم له علماء عصره بما أراد ، وكيف بدأ ذلك ؟

في عام ٨٨٨هـ كان السيوطي يخوض جدالاً مع أحد علماء عصره في مسائل[٧٧] ، وانحرف الجدال إلى خلاف وتحول إلى ما يشبه الشجار ، وأخذ كل واحد من المتجادلين يطعن في الآخر ، وكان على رأس المشاحنين الشيخ الجوجري شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد ، فلمّا استهلّ عام ٨٨٩ ، والأقوال تكثر في السيوطي ، والضجة حوله قائمة ، أثار خصومه قضية دعوى الاجتهاد ، ودعوه إلى المناظرة ، فرفض بحجّة أنه مجتهد وهم مقلدون ، والمجتهد لا يناظر إلا مجتهداً ، فاشتدّت الثائرة عليه حتى قدم الشيخ عبد القادر الطحطوطي وسعى بالصلح[٧٨] .. ووضّح السيوطي أنه لم يصرّح بدعوى الاجتهاد علناً ، وإنما ذكرها أولاً في بعض الكتب ، فلما أشهر هذا الأمرَ خصومُه ، عدّ ذلك نعمةً من الله يجب التحدث بها ، ورفع عقيرته بدعوى الاجتهاد في مواضع من كتبه ، وبدعوى التفرد في مقدمات كتب أخر ، ثم حدّد تبحره في سبعة علوم ، قال : « قد رزقت – ولله الحمد – التبحّر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفة ، بحيث أن الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه ، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحدٌ من أشياخي فضلاً عمّن دونهم ، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الفرائض والإنشاء

---

(٧٧) التحدث بنعمة الله ١٨١ وكان الخصام مع الشيخ الجوجري شمس الدين محمد بن عبد المنعم المولود سنة ٨٢١هـ ، التحدث : ١٨٣ .

(٧٨) المرجع السابق ١٩٤ .

والترسّل[٧٩] » وتابع السيوطي تعداد العلوم التي أتقنها ولكن دون الأُول ، كالفرائض والقراءات والطب ، وذكر كراهيته لعلم الحساب وثقله على نفسه وضيق أخلاقه به ..

وذكر السيوطي العلوم التي بلغ فيها رتبة الاجتهاد المطلق ، فإنه بلغ هذه المرتبة في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبويّ وفي العربية ، وقلّ أن تجتمع صفة الاجتهاد في هذه الثلاثة لأحد ، وقد وصف بالاجتهاد المطلق أناس لم تجتمع فيهم هذه الأمور كما اجتمعت لدى السيوطي ، وعدّ منهم أبا إسحاق الشيرازي[٨٠] وأبا نصر بن الصباغ[٨١] وإمام الحرمين[٨٢] وحجة الإسلام أبا حامد الغزالي[٨٣] .

وتمكنت دعوى الاجتهاد في نفس السيوطي وترعرعت ، ولم تلبث أن نبتت منها فكرة المبعوثية ، وهي أمنية ما زال السيوطي يرددها في نفسه حتى جهر بها في مواضع ، وتمنّى أن يكون هو المبعوث على رأس المائة ليجدد للناس أمر دينهم ، واحتج بما رواه أبو داود في سننه والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال : « إن الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة

(٧٩) المرجع السابق ٢٠٣ .

(٨٠) أبو إسحاق الشيرازي : إبراهيم بن علي العلاّمة المناظر (٣٩٣ ـ ٤٧٦هـ) ، طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٨٨ والأعلام ١ : ٥١ .

(٨١) أبو نصر بن الصباغ : عبد السيد بن محمد (٤٠٠ ـ ٤٧٧) ، طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٢٣٠ ونكت الهميان ١٩٣ والأعلام ٤ : ١٠ .

(٨٢) إمام الحرمين : عبد الملك بن عبد الله الجويني أبو المعالي (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ) ، طبقات الشافعية ٣ : ٢٤٩ والأعلام ٤ : ١٦٠ .

(٨٣) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ، حجة الإسلام ٤٥٠ ـ ٥٠٥ طبقات السبكي ٤ : ١٠١ والأعلام ٧ : ٢٢ .

سنة من يجدّد لها دينها[٨٤] » . قال الحافظ أبو الفضل العراقي[٨٥] في تخريج أحاديث الإحياء[٨٦] : إسناده صحيح . وعدد السيوطي مَنْ يعتقد أنهم مجددو الدين خلال القرون الخالية ، فكان أولهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز[٨٧] في رأس المائة الأولى ، والإمام الشافعي محمد بن إدريس[٨٨] في المائة الثانية ، وأبو العباس بن سريج[٨٩] في الثالثة ، أما مجدد المائة الرابعة فقد اختلف في تحديده ، فذهب بعضهم إلى أنه الشيخ الإمام أبو حامد الإسفرائيني[٩٠] وبعضهم ذهب إلى أنه الأستاذ سهل بن أبي سهل الصُّعلوكي[٩١] ، ومجدد الخامسة حجة الإسلام أبو حامد الغزالي[٩٢] ، ومجدد السادسة الإمام فخر الدين الرازي[٩٣] ومجدد السابعة تقي الدين بن

(٨٤) الحديث في شرح الجامع الصغير ١ : ١٢٥ عن أبي داود والحاكم ، وعن البيهقي في المعرفة عن أبي هريرة . حديث صحيح .

(٨٥) أبو الفضل العراقي : عبد الرحيم بن الحسين ، زين الدين ت ٨٠٦هـ .

(٨٦) طبع كتابه المذكور بذيل كتاب إحياء علوم الدين للغزالي . ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٨٧) عمر بن عبد العزيز ، أمير المؤمنين (٦١ – ١٠١هـ) . تهذيب التهذيب ٧ : ٤٧٥ والأعلام ٥ : ٥٠ .

(٨٨) الشافعي محمد بن إدريس (١٥٠ – ٢٠٤هـ) . طبقات الشافعية ١ : ١٨٥ والأعلام ٦ : ٢٦ .

(٨٩) أبو العباس بن سريج : أحمد بن عمر (٢٤٩ – ٣٠٦هـ) فقيه الشافعية في عصره . طبقات الشافعية ٢ : ٨٧ والأعلام ١ : ١٨٥ .

(٩٠) أبو حامد الإسفرائيني : أحمد بن محمد (٣٤٤ – ٤٠٦هـ) ، طبقات الشافعية ٣ : ٢٤ والأعلام ١ : ٢١١ .

(٩١) الصُّعلوكي : سهل بن محمد بن سليمان ت ٣٨٧هـ . الأعلام ٣ : ١٤٣ .

(٩٢) انظر التعليق ٨٣ .

(٩٣) فخر الدين الرازي : محمد بن عمر (٥٤٤ – ٦٠٦هـ) الإمام المفسّر . طبقات الشافعية ٥ : ٣٣ والأعلام ٦ : ٣١٣ .

دقيق العيد[٩٤] ، أما مجدد الثامنة فهو الإمام سراج الدين البلقيني[٩٥] أو ناصر الدين بن بنت الميلق الشاذلي[٩٦] أو زين الدين العراقي ، وذلك لأن « تعيين المجدد إنما هو بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه[٩٧] » ويقول السيوطي عن نفسه بعد ذلك : « فنحن الآن في سنة ست وتسعين وثمانمائه ، ولم يجئ المهديّ ولا عيسى ولا أشراط ذلك ، وقد ترجّى الفقير من فضل الله أن ينعم عليه بكونه المجدد على رأس المائة ، وما ذلك على الله بعزيز[٩٨] » وكرر هذه الفكرة أو لنقل هذا الهاجس في مواضع عدة ، منها ما ورد بصيغة الترجي ، ومنها ما ورد بصيغة الادعاء ، ففي رسالته « رسالة فيمن يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة » يقول : « إني ترجيت من نعم الله وفضله ، كما ترجى الغزالي لنفسه ، أني المبعوث على رأس هذه المائة التاسعة لانفرادي عليها بالتبحّر في أنواع العلوم .. وقد اخترعت علم أصول اللغة وورّثته ، ولم أُسبق إليه ، وهو على نمط علم الحديث وعلم أصول الفقه ، وصارت مصنفاتي وعلومي في سائر الأقطار ووصلت إلى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور وامتدت إلى البحر المحيط ، ولا مشاركة لي في مجموع

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.co

---

(٩٤) ابن دقيق العيد : محمد بن علي (٦٢٥ ـ ٧٠٢هـ) . الأعلام ٦ : ٢٨٣ .

(٩٥) سراج الدين البلقيني : عمر بن رسلان (٧٢٤ ـ ٨٠٥) . حسن المحاضرة ١ : ٣٢٩ .

(٩٦) ناصر الدين بن الميلق . قاضي القضاة محمد بن عبد الدائم (٧٣١ ـ ٧٩٧) حسن المحاضرة ١ : ٥٢٧ .

(٩٧) التحدث بنعمة الله : ٢٢٥ .

(٩٨) المرجع السابق : ٢٢٧ .

ما ذكرته[٩٩] » فالرجل يربط بصراحة بين كثرة مصنفاته وتنوعها وبين كونه مبعوث المائة التاسعة ، وكأن استقرار هذه العقيدة في نفسه كان يدفعه إلى الإكثار من التأليف وإلى تنويعه .. وفي كتابه « الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف » وصل إلى حدّ الادّعاء صراحة بأنه المبعوث على رأس المائة التاسعة قال : « فإنّ ثم من ينفخ أشداقه ويدّعي مناظرتي ، وينكر عليّ دعوى الاجتهاد والتفرّد بالعلم على رأس هذه المائة ، ويزعم أنه يعارضني ، ويستجيش عليّ بمن لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد ، ونفخت عليهم نفخةً صاروا هباءً منثوراً[١٠٠] » .

إنّ مثل هذه الشخصية في مثل ذلك العصر لن يسلّم لها أقرانها بما تدّعيه ، ولن يقبلوا منها مثل هذا الادّعاء الذي يحمل كل معاني الكِبْر والإدلال ، فلا عجب أن طعن بعض معاصري السيوطي في علمه ، ونسبوه في تصانيفه إلى سرقة ما لغيره ، ولم يكن قلمه متواضعاً ولا رفيقا ، بل إنه كان إلى العنف والقسوة أقرب منه إلى الرفق ، فتراه يصنّف مثلاً « الكاوي لدماغ السخاوي » والسخاوي في طبقة شيوخه[١٠١] ، بل إن السيوطي تردد عليه في أول الطلب ، وتراه في أمر يسير يتطاول على علماء عصره ، فقد ذكر أنه سئل عام ٨٨٨هـ عن قوله « وإليك نسعى ونحفد » هل هو بالدال المهملة أو بالذال المعجمة ، فكتب أنه بالدال المهملة ، فشنّع عليه الجاهل – كما يقول – وأتباعه زاعمين أنها بالذال المعجمة ، فكتب السيوطي قائلاً « فانظروا بالله إلى هؤلاء الذين عاشوا في بلاد المسلمين ستين سنة ،

(٩٩) عن مقدمة نظم العقيان التي كتبها الدكتور فيليب حتي .

(١٠٠) المرجع السابق .

(١٠١) السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (٨٣١ – ٩٠٢) ، الضوء اللامع ٨ : ٢ والأعلام ٦ : ١٩٤ .

وهم يلحنون في قنوتهم وصلاتهم ، ولا يحسنون التلفظ فيها ، ومع ذلك يعتمّون بعمائم الفقهاء ، ويمدّون ألسنتهم للإنكار على أساطين العلماء[١٠٢] » – يعني نفسه – .

وخلاصة القول إن اعتداده الشديد بنفسه ، وزهوه بها ، والمباهاة بعلمه ، والإدلال باطلاعه ، ورمي غيره بالجهل ، كلها أمور أفسدت عليه قلوب أقرانه فمنهم من عفّ وغض الطرف ونزه لسانه وصان قلمه عن الخوض في السيوطي ، ومنهم من كال له بكيله ، وردّ عليه وجابهه .. ونستطيع اليوم أن نقول وقد فصلت بيننا وبينهم مئات السنين : إن ادّعاءات السيوطي لم تكن محتملة ، وهي الآن ليست محتملة ، كما أنّ تكبّره على أقرانه الذين يساوونه علماً وفضلاً وخلقاً أو يفوقونه بلا ادعاء منهم ، لم يكن مستساغاً وليس الآن مستساغاً ، كما أنّ مايدّعيه في مقدّمات بعض كتبه من ابتكار لعلم أصول النحو أو علم أصول اللغة أو غيرها ، إنما هو مجرد كلام تشتمل عليه مقدمة الكتاب ، فإذا ما رجعت إلى موضوعات الكتاب وفحصت عنها ، لم تجد له فيها شيئا ، إلا بعض الترتيب والتنسيق في بعض منها ، فهي فصول وصفحات منقولة ومجموعة من هنا وهناك كما ينصّ هو نفسه على ذلك ، وأوضح مثال نقدّمه كتابه « الاقتراح في علم أصول النحو[١٠٣] » فإنه صرّح في مقدّمته أنّ هذا الكتاب « لم تسمح قريحة

---

(١٠٢) التحدث بنعمة الله : ١٨١ .

(١٠٣) الاقتراح في أصول النحو وجدله : طبع في الهند مرتين ١٣١٠ و ١٣٥٩هـ ونشر بحلب مصوراً عن طبعة الهند . ثم نشر في القاهرة بتحقيق أحمد محمد قاسم ١٣٩٦هـ وفي كلية الآداب بإستانبول بتحقيق أحمد صبحي فرات . ثم نشر بتحقيق الدكتور محمود فجّال في السعودية وصدر عن مطبعة الثغر ١٤٠٩هـ . ونشر أيضاً كتاب الإصباح في شرح الاقتراح تأليف الدكتور فجال بدار القلم بدمشق ١٤٠٩هـ .

بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله ، في علم لم يسبقه أحد إلى ترتيبه(١٠٤) » . وعلماء العربية من عصر السيوطي إلى عصرنا هذا ، يعرفون أن أبا البركات كمال الدين بن الأنباري ، كان هو السبّاق في كتابه « لمع الأدلة في أصول النحو(١٠٥) » وكان السيوطي بذلك عارفاً ، لأنه نقل من هذا الكتاب ثمانية عشر فصلاً بتمامها ، ثم أعقبها بنقول من « الخصائص » لابن جني . وبذلك انتهى الكتاب ، وتبحث في هذه الفصول عن السيوطي وعن رأي له بسيط ، فلا تجده ، لأنه ليس له إلاّ المقدّمة ، وقل مثل ذلك أو قريباً منه في كتابه العظيم الذي جمع فيه فأوعى ، وهو « الإتقان في علوم القرآن » .

ومما له دلالة على طبعه ، وعلى ما اشتملت عليه نفسه من كبر وزهو ، ما حدث للإمام القسطلاني معه ، والقسطلاني هو الإمام شيخ الإسلام شهاب الدين ، كانت سنّه مقاربة لسنّ السيوطي ، فقد كانت ولادته عام ٨٥١هـ ، وكان السيوطي يزعم أن القسطلاني يغير على كتبه ، ويسرق منها – وهما ينهلان من المناهل نفسها – ولم يكن من القسطلاني إلا أن قصد إليه من القاهرة إلى مقر سكنه بالروضة حافياً مكشوف الرأس ، وقرع عليه الباب فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا القسطلاني جئت إليك حافياً مكشوف الرأس ليطيب خاطرك عليّ . فقال له : قد طاب خاطري عليك . ولم يفتح له الباب ولم يقابله(١٠٦) .

---

(١٠٤) الاقتراح ١١٧ طبعة الدكتور فجّال .

(١٠٥) لمع الأدلة : نشره الأستاذ سعيد الأفغاني مع كتاب الإغراب في جدل الإعراب بجامعة دمشق .

(١٠٦) انظر مقدمة المحقق لكتاب « لطائف الإشارات لفنون القراءات » ١ :

وبعد ، ومهما يكن من أمر ، فإن صغائر الأمور بددتها دورة الدهر ، ولم يبق من كِبْر السيوطي وزهوه إلا الحبر والورق ، وعلاقاته مع أقرانه غبرت فيما غبر ، ولم يبق بعدهم إلا أعمالهم وآثارهم التي عمّ الانتفاع بها إلى يوم الناس هذا ، ولا تزال كتب السيوطي إلى يومنا هذا مرجع العلماء ، رحمه الله رحمةً واسعة ، وسبحانه عزّ من قائل : ﴿ فأمّا الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾(١٠٧) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٠٧) الرعد ١٣/١٧ .

السيوطي والدعوة إلى الاجتهاد

الدكتور وهبة الزحيلي

مدخل :

كان من أبرز أعلام الإسلام وعلمائه رجال وضعوا علوماً جديدة مبتكرة ، من مثل علم الاجتهاد ، وعلم أصول الفقه وأصول الحديث ومصطلحه وحفظ الحديث النبوي سليماً من الوضع والدخيل والضعيف .

وكانت فتاوى رسول الله ﷺ جوامع الأحكام ، ومنار العلماء في تعرُّف أحكام الوقائع التي لا نص فيها ، وتتطلب فهماً سريعاً ، وحلاً مقبولاً لها ، لتكون منسجمة مع أصول التشريع الإسلامي .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وسار على نهج النبي ﷺ صحابته الكرام ، فكان كبار الصحابة سادة الأمة وأئمتها وقادتها في كل شيء ، وبخاصة في ميدان الاجتهاد ، واستنباط الأحكام الشرعية ، وضبط قواعد الحلال والحرام ، فهم سادات المفتين والعلماء . منهم المكثرون في الفتوى وأشهرهم سبعة : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر . والمتوسطون منهم في الفتيا ثلاثة عشر : أبو بكر الصديق ، وأم سَلَمة ، وأنس بن مالك ، وأبو سعيد الخُدري ، وأبو هريرة ، وعثمان بن عفّان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو موسى الأشعري ، وسعد بن أبي وَقّاص ، وسَلْمان الفارسي ، وجابر بن عبد الله ،

ومعاذ بن جبل . والباقون من الصحابة مقلون في الفتيا ، لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان ، مثل أبي الدرداء ، وأبي اليسر ، وأبي سَلَمة المخزومي ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وغيرهم .

ويلحق بفئة المتوسطين في الفتيا طلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمران بن حُصين ، وأبو بَكْرة ، وعبادة بن الصامت ، ومعاوية بن أبي سفيان .

وانتشر الدين والفقه والعلم في الأمة في المشارق والمغارب من بلاد الإسلام عن أصحاب ابن مسعود ، وأصحاب زيد بن ثابت ، وأصحاب عبد الله بن عمر ، وأصحاب عبد الله بن عباس ، من فقهاء التابعين .

وقامت في العصر الأموي ، بالرغم من كثرة الفتن والثورات الداخلية والحروب الكثيرة فيه ، ما يعرف بمدرسة الحديث في الحجاز ، ومدرسة الرأي في العراق ، وتزعم فقهاء التابعين لواء هاتين المدرستين ، وأئمة المذاهب الاجتهادية من بعدهم في عهد الدولة العباسية ، فكان أبو حنيفة رحمه الله إمام أهل الرأي ، وكان مالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله أئمة أهل السنة والحديث .

وقد ازدهرت الحركة العلمية الاجتهادية على يد هؤلاء وتلامذتهم ، وأبدع الفكر الإسلامي في القرون الثلاثة الهجرية الأولى وإلى نهاية القرن الرابع ثروة فقهية خصبة شاملة وكان باب الاجتهاد مفتوحاً لمن توافرت فيه أهلية الاجتهاد ، وتبوأ المكانة العلمية الرفيعة التي تمكن بها من استنباط الأحكام الجديدة للوقائع والحوادث الطارئة ، ووثق الناس بعلمه وفتياه وطريق اجتهاده .

وكان الفقه الصحيح متمثلاً في أئمة الأمصار الخمسة : وهم مالك

بالمدينة ، والشافعي بمكة ، وأبو حنيفة بالعراق ، والأوزاعي بالشام ، والليث بن سعد بمصر . وتابعهم آخرون مثل أبي ثور وابن جرير الطبري ، وأحمد بن حنبل ، وداود الظاهري ، وكان لهؤلاء الأئمة تلاميذ بلغوا رتبة الاجتهاد .

ثم جاء من بعدهم من منتصف القرن الرابع إلى أواخر القرن الخامس فئة اجتهدت في نطاق المذاهب ، وخرَّجت على أقوال الأئمة أحكاماً لمسائل لم تكن لدى السابقين . وتبع هؤلاء علماء عكفوا على تدوين المذاهب وتحريرها وبيان الراجح والمفتى به ، مع أنهم كانوا أهلاً للاجتهاد ، واستمر الحال على مضامين هذه الكتب المدونة منذ القرن السابع والثامن إلى الآن .

ومن أواخر القرن السابع والثامن كان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إمامي الاجتهاد في بلاد الشام . ولمع في القرن التاسع في مصر ابن حجر العسقلاني الذي أفتى في قضايا متعددة ، وتابعه تلاميذه ، ومن أشهرهم وأخصهم جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر : ٨٤٩ – ٩١١هـ الموافق ١٤٤٥ – ١٥٠٥م) الذي استقل بالفتوى على نحو كبير ، وندد بالتقليد ، وتأثر به علماء في المذهب الحنفي في القرنين العاشر والحادي عشر ، كأبي السعود وخير الدين الرملي ، وجماعة من علماء الهند واضعي الفتاوى الهندية .

وكان هناك تنافس واضح بين الأستاذ والتلميذ في ميدان الاجتهاد ، وكانت كتب هؤلاء المتأخرين من العلماء مترعة بصور حية من الاجتهاد ، وهي كتب ابن تيمية وابن القيم والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وابن سيد الناس وزين الدين العراقي وابن حجر العسقلاني والسيوطي ، إذ كل واحد من هؤلاء الأعلام الستة تلميذ من قبله ، وهو مثله في الإحاطة بعلوم

الاجتهاد .

وهذا دليل واضح على أن ما بعد انتهاء القرن الرابع الهجري حيث أُغلق باب الاجتهاد سداً للذرائع ، وحماية للأمة من الانقسام الديني والفكري وجاء دور التقليد ، كان الاجتهاد الفردي فيه قائماً على قدم وساق ، ومغطياً كل ما تحتاجه الأمة لمعرفة أحكام الحوادث المتجددة والقضايا الطارئة ، بل والترجيح بين أقوال الأئمة السابقين وآرائهم .

ومما لا ريب فيه أن السبق الزماني ، وازدهار العصر ، ونمو الحركة العلمية في عهود الصحابة والأمويين والعباسيين ، كان له كله تأثير واضح في علو كعب الاجتهاد . فإذا كان الصحابة والتابعون وأئمة المذاهب الإسلامية مجددين تجديداً شاملاً ، ولهم فضل السبق في إبداع أصول الاجتهاد ، فإن من جاء بعدهم لم يجد السبيل أمامه مفتوحاً في نطاق الأصول التي وضعها هؤلاء ، فاتجه إلى إعمال تلك الأصول والقواعد الكلية التي نضجت وتبلورت ودونت ، لمعرفة حكم الجديد من المسائل ، فكان للمتأخرين تجديد جزئي إذا قيس بالتجديد الكلي الشامل للأئمة المتقدمين العظام ، وكان لهم أيضاً مزية فريدة هي التصنيف والتأليف والجمع والتدوين ، والموازنة بين الآراء الفقهية والاجتهادات السابقة ، وهذا عمل عظيم بنّاء . وكان في كل عصر بعد القرن الرابع نخبة متميزة من مجتهدي المذاهب .

وكان السيوطي رحمه الله في القرن التاسع وأوائل العاشر من أبرز هؤلاء العلماء المجددين ، ومن طليعة العلماء المكثرين في التصنيف والتأليف ، فهو الإمام الحافظ المؤرخ اللغوي الأديب ، الذي له نحو ٦٠٠ ستمائة مصنف ، أكثرها وصل إلينا ، كالجامع الصغير والجامع الكبير في الحديث النبوي ، واللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، والإتقان في

علوم القرآن ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، والأشباه والنظائر في الفروع ، والأشباه والنظائر في اللغة ، والألفية في مصطلح الحديث ، وتاريخ الخلفاء . ومنها المفقود الذي لم يصل إلينا مثل « تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع في الفروع » كما ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون .

وهذه الثروة العلمية الضخمة من مصنفات السيوطي رحمه الله تجعله قميناً بأن يوصف بأنه « مجدد الدعوة إلى الاجتهاد » بعد إغلاق بابه ستة قرون من نهاية القرن الرابع إلى القرن العاشر ، وتجديد الدعوة إلى الاجتهاد كفيل وحده بمعرفة قدر السيوطي ، واستنارة عقله ، وتحرر فكره وإخلاصه لدينه وشرع ربه .

وبحثي هذا محصور في بيان معالم فكر السيوطي التي ضمنّها كتابه العظيم « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد رأيت أن أمهد لهذا البحث بدراسة موجزة لشخصية المؤلف بصورة عامة (قسم أول) ثم أتناول بشيء من التعمّق دراسة كتابه الذي هو موضوع البحث .

القسم الأول

شخصية السيوطي :

هذا القسم مخصص لدراسة المباحث التالية :

١ ــ تعدد العلوم التي برع فيها السيوطي :

كان السيوطي رحمه الله متعدد الجوانب والآفاق العلمية ، بارعاً في علوم اللغة والشريعة والأدب والتاريخ ، محلّقاً في بيانها ، مجدداً في إيضاحها ، مبسّطاً معانيها ، مبيّناً أهدافها وغاياتها . يقول عن نفسه في هذا المجال :

« رُزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع » . وقد فاق في بعضها أشياخه ، وصار حجة فيا لم يأخذه عن المشـايخ ، فقـال مبيناً ذلك : « والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العوم السبعة ، سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها ، لم يصل إليه ، ولا وقف عليه أحد من أشياخي ؛ فضلاً عمن هو دونهم . وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ؛ بل شيخي أوسع نظراً وأطول باعاً » .

ومما يؤكد براعته في العلوم المذكورة ، ووضوح أفكارها ، وانكشاف معانيها أنه قال : « ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها ، لقدرت على ذلك من فضل الله »(١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ موطنه ومزايا عصره :

عـاش السيوطي في القـاهرة عـاصمـة الخلافة في ظل الحكم المملوكي ، وعاصر دولة الجراكسة (٧٨٤ ـ ٩٢٢هـ) ونبغ في عصره غير واحد من العلماء كابن حجر العسقلاني (٨٥٣هـ) وهو أستاذه ، وابن عربشـاه (٨٥٤هـ) والعيني شـارح البخاري (٨٥٥هـ) وأبي المحاسن (٨٧٤هـ) والحافظ السخـاوي (٩٠٢هـ) وميرخند (٩٠٣هـ) وابن إياس (٩١٥هـ) .

وانتقلت النهضـة العلمية بسقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ إلى مصر ، وهاجر إليها العلماء والأدباء ، وغصَّت المدارس بخزائن الكتب من نفائس المصنفات . وما أشبه عصره بعصرنا الحاضر ، فإنه عُرف بعصر المجاميع والمعـاجم والمَعْلَمَـات (الموسوعات) . وقد تهيأ بذلك

(١) حسن المحاضرة ١/٣٣٥ ـ ٣٣٩ .

للسيوطي الوسط العلمي الزاخر من العلماء والمكتبات والمدارس ، وتوافرت روح المنافسة في بيئته بسبب الحسد ومحاولة كل عالم التفوق على أقرانه .

٣ ـ رتبته العلمية وإمامته في الفقه وغيره :

الذي أراه أن الجلال السيوطي إمام في التفسير والحديث والفقه واللغة ، صنف في كل واحد من هذه العلوم تصانيف مبتكرة ، وهو بالإضافة إلى عمله المعجمي والموسوعي ، والمقارنة بين المذاهب في القواعد الفقهية في كتابه « الأشباه والنظائر في الفروع عند الشافعية » يعد في تقديري مجتهداً مذهبياً في دائرة المذهب الشافعي .

٤ ـ اجتهاده وآراؤه :

ادعى السيوطي لنفسه بلوغه رتبة الاجتهاد ، ولكن لم يسلّم له ذلك كثير من العلماء المعاصرين ، وكثر الجدل حول هذه الدعوى ، وقال عن نفسه :

ولما بلغت درجة الترجيح ، لم أخرج في الإفتاء عن ترجيح النووي وإن كان الراجح عندي خلافه .

ولما بلغت درجة الاجتهاد المطلق ، لم أخرج في الإفتاء عن مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، كما كان القفّال وقد بلغ رتبة الاجتهاد ، يفتي بمذهب الشافعي لا باختياره .

والحق أن إطلاق لفظ « الإمام » ولفظ « المجتهد » على إنسان عالم ينبغي التروي فيه ، لأن الإمام أو المجتهد هو الذي يبتكر قواعد وأصولاً لنفسه ، يعتمد عليها في اجتهاده ، فلا يقلد غيره في الأصول ولا في الفروع . والسيوطي وأمثاله من المتأخرين لم يبتكروا قاعدة أصولية مطلقاً ، وإنما التزموا أصول أئمتهم ، مما يجعل الواحد منهم في مرتبة « المجتهد المنتسب

في المذهب » وهو الذي يقلد إمامه في الأصول ، وقد يخالفه في الفروع ، ولا يقال لأحدهم « إمام » إلا بالمعنى اللغوي أي المؤتم به ، القدوة في علمه وعمله ، لا بالمعنى الاصطلاحي .

لذا لا نسلِّم له قوله : فقد بلغت ولله الحمد والمنة رتبة الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبوي وفي العربية . هذا بالرغم من أن الشاعر شمس الدين القادري أقرَّ له بالاجتهاد ، فقال عنه :

إمام اجتهاد ، عالم العصر ، عالم بجامع فضل ، ناسك ، متهجّدُ
فحق له دعوى اجتهاد لأنه هو البحر علماً ، زاخر الملح مزبدُ

٥ ـ تجديده الدعوة إلى الاجتهاد :

لم يساير السيوطي الفكرة السائدة منذ نهاية القرن الرابع الهجري إلى عصره بإغلاق باب الاجتهاد والتزام التقليد ، ولقد أحسن بفكره المتحرر وعقله النيّر إذ قال بفرضية الاجتهاد الدائمة في كتابه « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض » والذي قسمه إلى أربعة أبواب ، وذكر في مقدمته :

إن الناس قد غلب عليهم الجهل . وعمّهم وأعماهم حب العناد وأصمهم ، فاستعظموا دعوى الاجتهاد ، وعدوه منكراً بين العباد ، ولم يشعر هؤلاء الجهلة أن الاجتهاد فرض من فروض الكفايات في كل عصر ، فواجب على أهل كل زمان أن يقوم به طائفة في كل قطر .

وهذه الدعوة الحرّة تنسجم مع ميله ورغبته الذاتية وادعائه الاجتهاد كما بينا ، وتلتقي بحق مع أصول الشريعة ، ومع مقتضيات المصلحة والحاجة والتطورات الزمنية ، وتتجاوب مع مبدأ خلود الشريعة ووفائها بحاجات الناس وصلاحها لكل زمان ومكان ، وكل ذلك إخلاص لشريعة الله ، وحرص

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على بقائها ذات هيمنة كاملة شاملة لجميع الأحداث والوقائع ، وتغطية التطلعات الراغبة في الانضواء تحت مظلة الشريعة في كل مسألة وقضية متجددة أو طارئة .

وأكد الشوكاني في كتابه « إرشاد الفحول »(1) صحة مقولة السيوطي قائلاً مثله : ومن حَصَر فضل الله على بعض خلقه ، وقصر فهم هذه الشريعة على ما تقدم عصره ، فقد تجرأ على الله عز وجل ، ثم على شريعته الموضوعة لكل عباده ، ثم على عباده الذين تعبدهم الله بالكتاب والسنة .

القسم الثاني

دراسة كتاب « الرد على من أخلد إلى الأرض » :

يتضمن هذا الكتاب أربعة أبواب وخاتمة ، نعرض لها تباعاً فيما يلي :

أ ـ أيّد السيوطي دعوته إلى الاجتهاد **في الباب الأول** من كتابه « الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض » بإيراد نصوص العلماء وأقوالهم الدالة على أن الاجتهاد في كل عصر فرض من فروض الكفايات ، وأنه لا يجوز إخلاء العصر منه .

وأول من نصَّ عن ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه ، ثم صاحبه المُزَني ، مبيِّناً كلاهما إيجاب النظر والاجتهاد والنهي عن التقليد . وتبعهما أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي في أول كتابه (الحاوي الكبير) ، ثم (الرُّوياني في البحر) . ونص على الحكم المذكور محيي السنة أبو محمد البغوي في كتابه (التهذيب) ، وهو من أجلّ الكتب المصنفة في الفقه ، قال في أوله :

---

(1) ص٢٢٤ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلم ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية . وفرض الكفاية : هو أن يتعلم ما يبلغ رتبة الاجتهاد ومحل الفتوى والقضاء ، ويخرج من عداد المقلدين ، فعلى الناس كافة القيام بتعلمه ، غير أنه إذا قام من كل ناحية واحد أو اثنان ، سقط الفرض عن الباقين ، فإذا قعد الكل عن تعلمه عصوا جميعاً ، لما فيه من تعطيل أحكام الشرع ، قال الله تعالى :﴿ فلولا نَفَر من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقَّهوا في الدين ﴾ [التوبة :١٢٢] .

وممن نص على ذلك القاضي حسين شيخ البغوي ، والزبيدي فقال :« لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة ، في كل وقت وعهد وزمان ، وذلك قليل في كثير . فأما أن يكون غير موجود فليس بصواب ؛لأنه لو عدم المجتهدون لم تقم الفرائض كلها ، ولو بطلت الفرائض كلها ، لحلَّت النقمة بذلك على الخلق ، كما جاء الخبر : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس »[(١)] ونحن نعوذ بالله أن نؤخذ مع الأشرار » .

وجعل ابن سراقة أحد أئمة الشافعية في أول كتابه « إعجاز القرآن » ترك الاجتهاد مؤدياً إلى إبطال الشريعة ، وسقوط المثوبة الحاصلة بالاجتهاد .

وقال إمام الحرمين الجويني في كتاب « السِّيَر » بعد تقسيمه طلب العلم قسمين : فرض عين ، وفرض كفاية ؛ وأما ما يقع فرضاً على الكفاية فهو ما يزيد على المتعين إلى بلوغ رتبة الاجتهاد ، فإن قوام الشرع بالمجتهدين .

وجعل مُجلّي في الذخائر في كتاب « السير » وأبو حامد الغزالي في كتابه « البسيط » في باب السير ، وابن الرفعة ، والرافعي .. جعل كل واحد من هؤلاء طلب رتبة الاجتهاد فرضاً ، وجعله مقدماً على الفور على الحج

(١) رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه .

حيث شغر البلد عن المجتهد ، والظاهر الصحيح أنه يجوز سفر الولد لتلك المهمـة بغـير إذن الوالدين ، أما الحج فهو على التراخي في رأي هؤلاء الشافعيين

وأورد عبارة **الشهرستاني** الجميلة الرائعة في كتابه « الملل والنحل » حيث قال ما نصه « وبالجملة نعلم قطعاً ويقيناً أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعاً أيضاً أنه لم يرد في كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك أيضـاً ، والنصوص إذا كانت متناهية ، والوقائع غير متناهية ، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى ، عُلِمَ قطعاً أنَّ الاجتهـاد والقيـاس واجب الاعتبـار ، حتى يكون بصـدد كل حادثة اجتهاد » .

وبعد بيان الشهرستاني شروط الاجتهاد قال : ثم الاجتهاد من فروض الكفايات ، لا من فروض الأعيان ، حتى إذا اشتغل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع ، وإن قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه ، وأشرفوا على خطر عظيم ، فإن الأحكام الاجتهادية إذا كانت مرتبة على الاجتهاد ، ترتيب المسبب على السبب ، ولم يوجد السبب ، كانت الأحكام عاطلة ، والآراء كلها فائلة ، فلا بد إذن من مجتهد[(١)] .

قال السيوطي : فانظر كيف حكم بعصيان أهل العصر بأسرهم إذا قصَّروا في القيام بهذا الفرض ، وأقام على فرضيته دليلاً عقلياً لا شبهة فيه .

وذكر السيوطي أيضاً ما قاله تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح في كتاب « أدب الفتيا » : المجتهد المطلق : هو الذي يتأدى به فرض الكفاية . وأما المجتهد المقيد : فظاهر كلام الأصحاب أنه لا يتأدّى به فرض الكفاية .

(١) الملل والنحل : ١/١٩٩ .

ولشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام ، ومحرر المذهب الشافعي محيي الدين النووي ، وابن الرفعة ، وبدر الدين الزركشي كلام مشابه لكلام ابن الصلاح .

ولم يقتصر استشهاد السيوطي بأقوال الشافعية فقط ، وإنما ذكر أيضاً ما قاله ابن القصَّار القاضي أبو الحسن علي بن عمر البغدادي من أئمة المالكية في كتابه « المقدمة في أصول الفقه » : مذهب مالك وجمهور العلماء وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد لقوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] ثم قسم العلم قسمين : فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين الواجب على كل أحد : هو علمه بحالته التي هو فيها ، وفرض الكفاية : هو العلم الذي لا يتعلق بحالة الإنسان ، فيجب على الأمة أن تكون منهم طائفة يتفقهون في الدين ليكونوا قدوة للمسلمين ، حفظاً للشرع من الضياع ، والذي يتعين لهذا من الناس : من جاد حفظه ، وحسن إدراكه ، وطابت سجيته ، ومن لا فلا .

ونصَّ أئمة الحنفية والحنابلة والمالكية كابن الحاجب وابن الساعاتي على أنه لا يجوز خلو العصر من مجتهد ؛ لأن الاجتهاد فرض كفاية ، والخلو منه يستلزم اتفاق الأمة على الباطل .

ويدل على وجوب النظر والاجتهاد قول الله تعالى ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ [الحشر : ٢] وقوله : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ [النساء : ٨٢] وهذا حث منه تعالى على النظر في آياته وما تشتمل عليه من الأحكام .

واشترط الفقهاء بلوغ رتبة الاجتهاد في الوظائف التالية : وهي الإمامة العظمى ، ووزارة التفويض (وهي أن يستوزر الإمام من يفوض إليه

تدبير الأمور برأيه وإمضائها على اجتهاده) والقضاء ، والإفتاء[١] ، ومنصب نواب القاضي وخلفائه ، ووالي المظالم . أما المحتسب وهو الآمر بالمعروف إذا ظهر تركه والناهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، فالأصح كما ذكر الماوردي عدم اشتراط الاجتهاد في حقه ؛ لأنه ليس له أن يحمل الناس على رأيه . ويشترط في عاقد الأنكحة أن يكون من أهل الاجتهاد في باب النكاح خاصة ، وكذا ساعي الزكاة يشترط أن يكون مجتهداً في باب الزكاة خاصة .

ب – وأورد في الباب الثاني نصوص العلماء على أن الدهر لا يخلو من مجتهد ، وأنه لا يجوز عقلاً ولا يمكن خلو العصر منه . ومن هذه النصوص ما يلي : ذهبت الحنابلة بأسرهم إلى أنه لا يجوز خلو الزمان من مجتهد ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله »[٢] ولأن الاجتهاد فرض كفاية ، فيستلزم انتفاؤه اتفاق المسلمين على الباطل ، وذلك محال لعصمة الأمة عن اجتماعها على الباطل . قال الزركشي في « البحر » : ولم ينفرد بذلك الحنابلة ، بل جزم به أيضاً جماعة من أصحابنا – أي الشافعية – منهم الأستاذ أبو إسحاق الشيرازي والزبيدي في « المسكت » . وعبارة الأستاذ الشيرازي : وتحت قول الفقهاء « لا يخلي الله زماناً من قائم لله بالحجة ، سر عظيم ، وكأن الله تعالى ألهمهم ذلك ، ومعناه : أن الله تعالى لو أخلى زماناً من قائم بالحجة ، لزال التكليف ، إذ التكليف لا يثبت إلا بالحجة الظاهرة ، وإذا زال التكليف بطلت الشريعة .

وقال ابن دقيق العيد : هذا هو المختار عندنا ، لكن إلى الحد الذي

---

(١) القضاء : إخبار بالحكم الملزم للخصمين ، والإفتاء ، إخبار بحكم غير ملزم .
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

ARCHIVE
http://Archive.beta.Sakhrit.com

تنقضي به القواعد ، بسبب زوال الدنيا في آخر الزمان . قال الزركشي : وله وجه حسن ، وهو أن الخلو من مجتهد يلزم منه اجتماع الأمة على الخطأ ، وهو ترك الاجتهاد الذي هو فرض كفاية .

وعقب السيوطي بقوله : وقول الأستاذ أبي اسحاق : « وكأن الله ألهمهم ذلك » يشعر بأنه لم يقف له على مستند من الحديث ، مع أن له مستنداً ، فأخرج أبو نُعَيم في الحلية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة ، لكيلا تبطل حجج الله وبيناته ، أولئك هم الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله قدراً »[١] وهذا موقوف له حكم الرفع[٢] ؛ لأن مثل ذلك لا يقال من قبل الرأي ، وله شواهد مرفوعة وموقوفة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

منها : ما أخرجه الدارمي في مسنده عن وهب بن عمرو الجمحي أن النبي ﷺ قال : « لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها ، فإنكم إن لا تعجلوها قبل نزولها ، لا ينفكُّ المسلمون وفيهم إذا هي نزلت من إذا قال وفِّق وسُدِّد » .

ومنها : ما أخرج البيهقي في المدخل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرفوعاً نحوه ، وكلاهما مرسل ، وكل منهما . وهي شهادة من النبي ﷺ لأمته بأنهم لا ينفكون عمن يقول في الحادثة ، فيصيب وذلك هو المجتهد .

وأخرج الدارمي والبيهقي عن معاذ بن جبل أنه قال : « أيها الناس ، لا تَعجَّلوا بالبلاء قبل نزوله ، فيذهب بكم ها هنا وها هنا ، وإنكم إن لم

---

(١) حلية الأولياء ١/٨٠ .

(٢) أي أن هذا الحديث موقوف على الصحابي ، ولكنه في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ .

تعجلوا بالبلاء قبل نزوله ، لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سُدِّد ، وإذا قال وُفِّق » .

وأخرج البيهقي عن عمر بن الخطاب قال : إياكم وهذه العُضَل ، فإنها إذا نزلت ، بعث الله لها من يقيمها أويفسرها .

وقال ابن دقيق العيد في أول شرح « الإلمام » : والأرض لا تخلو من قائم لله بالحجة ، والأمة الشريفة لا بد فيها من سالك إلى الحق على واضح المَحَجَّة ، إلى أن يأتي أمر الله في أشراط الساعة الكبرى ، ويتتابع بعده ما لا يبقى معه إلا قدوم الأخرى .

وقال ابن عبد السلام أحد أئمة المالكية : لا يخلو الزمان من مجتهد إلى زمن انقطاع العلم ، كما أخبر به النبي ﷺ ، وإلا كانت الأمه مجتمعة على الخطأ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذكر الفخر الرازي والتبريزي والزركشي أنه لو لم يبق من المجتهدين إلا واحد ، كان قوله حجة .

والخلاصة : هذه الكلمة المشهورة : وهي لا يُخلي الله زماناً من قائم بالحجة ، كأنها كلمة إجماع ، مع ما تقدم من كونها حديثاً أو أثراً .

وأضاف ابن عبد السلام قوله : إن رتبة الاجتهاد مقدور على تحصيلها ، وهي شرط في الفتوى والقضاء ، وهي موجودة إلى الزمان الذي أخبر عنه عليه الصلاة والسلام بانقطاع العلم ، ولم نصل إليه إلى الآن ، وإلا كانت الأمة مجتمعة على الخطأ ، وذلك باطل .

وعلّق السيوطي على هذه العبارة بقوله : فانظر كيف صرَّح بأن رتبة الاجتهاد غير متعذرة ، وأنها باقية إلى زمانه ، وبأنه يلزم من فقدها اجتماع الأمة على الباطل ، وهو محال .

وقد صنَّف السيوطي مراتب المجتهدين على نحو يفتح باب الأمل والرجاء في بقاء المجتهدين في الأمة ، دون اقتصار على أئمة المذاهب ، فقال : « لهج كثير من الناس اليوم بأن المجتهد المطلق فقد من قديم ، وأنه لم يوجد من دهر إلا المجتهد المقيد ، وهذا غلط منهم ، ما وقفوا على كلام العلماء ، ولا عرفوا الفرق بين المطلق والمجتهد المستقل ، ولا بين المجتهد المقيد ، والمجتهد المنتسب ، وبين كلٍ مما ذكر فرق ، ولهذا ترى أن من وقع في عبارته : إن المجتهد المستقل مفقود من دهر ينص في موضع آخر على وجود المجتهد المطلق .

والتحقيق في ذلك أن المجتهد المطلق أعم من المجتهد المستقل وغير المجتهدالمقيد .

أما المجتهد المستقل : فهو الذي استقل بقواعده لنفسه ، يبني عليها الفقه خارجاً عن قواعد المذاهب المقررة . وهذا شيء فُقد من دهر ، بل لو أراده الإنسان اليوم لامتنع عليه ولم يجزْ له ، نصَّ عليه غير واحد .

وأما **المجتهد المطلق غير المستقل** : فهو الذي وجدت فيه شروط الاجتهاد التي اتصف بها المجتهد المستقل ، ثم لم يبتكر لنفسه قواعد ، بل سلك طريقة إمام من أئمة المذاهب في الاجتهاد ، فهذا مطلق منتسب لا مستقل ولا مقيد .

وأما المجتهد المقيد أو مجتهد التخريج :فهو المقيد في مذهب إمامه ، المستقل في تقرير أصوله بالدليل ، غير أنه لا يتجاوز في أدلته أصول إمامه وقواعده . وشرطه : كونه عالماً بالفقه وأصوله وأدلة الأحكام تفصيلاً ، بصيراً بمسالك الأقيسة والمعاني ، تام الارتياض في التخريج والاستنباط ، قيِّماً بإلحاق ما ليس منصوصاً عليه لإمامه بأصوله ، ولا يعرى عن شوب تقليد له لإخلاله ببعض أدوات المستقل بأن يخلّ بالحديث أو العربية ،

وكثيراً ما أخل بهما المقيد ، ثم يتخذ نصوص إمامه أصولاً يستنبط منها كفعل المستقل بنصوص الشرع ، وربما اكتفى في الحكم بدليل إمامه ولا يبحث عن معارض ، كفعل المستقل في النصوص ، وهذه صفة أصحابنا أصحاب الوجوه[1] ، والعامل بفتوى هذا مقلد لإمامه لا له .

وأما **مجتهد الترجيح** : فهو ألا يبلغ رتبة أصحاب الوجوه ، لكنه فقيه النفس ، حافظ لمذهب إمامه ، عارف بأدلته ، قائم بتقريرها ، يصوّر ، ويحرر ، ويقرر ، ويمهد ، ويرجّح ، لكنه قصَّر عن أولئك لقصوره عنهم في حفظ المذهب أو الارتياض في الاستنباط ومعرفة الأصول ونحوها من أدلتها .

وأما **مجتهد الفتيا** : فهو أن يقوم بحفظ المذهب ونقله وفهمه في الواضحات والمشكلات ، ولكن عنده ضعف في تقرير أدلته وتحرير أقيسته ، فهذا يعتمد نقله وفتواه فيما يحكيه من مسطورات مذهبه .

وبعد بيان مراتب المجتهدين المذكورة قال السيوطي رحمه الله : والذي ادَّعيناه هو الاجتهاد المطلق ، لا الاستقلال ، بل نحن تابعون للإمام الشافعي رضي الله عنه ، وسالكون طريقه في الاجتهاد **امتثالاً لأمره ، ومعدودون** من أصحابه ، وكيف يُظن أن اجتهادنا مقيد ، والمجتهد المقيد : إنما ينقص عن المطلق بإخلاله بالحديث أو العربية ، وليس على وجه الأرض من مشرقها إلى مغربها أعلم **بالحديث والعربية** مني إلا أن يكون الخَضِر أو القطب ، أو ولياً لله ، فإن هؤلاء لم أقصد دخولهم في عبارتي ، والله أعلم .

حـ - وتناول في الباب الثالث ذكر من حثَّ على الاجتهاد وأمر به

---

(١) اشتهر أصحاب الشافعي بالوجوه المستنبطة من أقوال الشافعي ، أي بالآراء المخرجة بالاعتماد على اجتهادات الشافعي في بعض المسائل ، فيتخذونها أصلاً في التفريع ومعرفة حكم المسائل الجديدة التي تشبه مسألة الإمام .

وذمَّ التقليد ونهى عنه قال رحمه الله : اعلم أنه ما زال السلف والخلف يأمرون بالاجتهاد ويحضُّون عليه، وينهون عن التقليد ويذمّونه ويكرهونه ، وقد صنَّف جماعة لا يحصون في ذم التقليد ، وهم المزني صاحب الإمام الشافعي ، والزركشي ، وابن حزم ، وابن عبد البر ، وأبو شامة ، وابن دقيق العيد ، وابن قيم الجوزية ، والمجد الشيرازي صاحب القاموس .

قال : الشافعي رضي الله عنه في كتاب الرسالة : « فكل ما أنزل الله تعالى في كتابه رحمة وحجة ، عَلِمه من عَلِمه ، وجهله من جهله ، ولا يجهله من علمه . وللناس في العلم طبقات ، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به » .

واستدل الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني على عدم التقليد بإجماع العلماء على أنه لو حفظ العالم مذهب الأئمة من تقدمهم ، ثم أراد أن يحكم به ويفتي ، لم يكن له ذلك ؛ لأنه جاهل بدليل هذا المذهب ، فكما حرِّم عليه تقليد الميت لجهله بدليل قوله ، حرم عليه تقليد الحي .

والتقليد عند جماعة من العلماء غير الاتباع ؛ **فالاتباع** : هو أن تتبع القائل على ما بان من فصل قوله وصحة مذهبه ، أي أنه اتباع الغير بعد معرفة دليله . أما التقليد فهو أن تقول بقوله ، وأنت لا تعرف وجه القول ولا معناه : أي أنه الأخذ بقول الغير من غير معرفة دليله ، أو هو قبول قول بلا حجة ، وقد حدث التقليد في القرن الرابع .

وقد ذم الله التقليد في غير موضع من كتابه ، فقال :﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ [التوبة : ٣١] قال حذيفة وغيره : لم يعبدوهم من دون الله ، ولكن أحلوا لهم وحرّموا عليهم ، فاتبعوهم . وقال تعالى : ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا

قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون . قل : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ [الزخرف : ٢٣] فمنعهم الاقتداءُ بآبائهم عن قبول الاهتداء ، فقالوا : ﴿ إنا بما أُرسلتم به كافرون ﴾ [الزخرف : ٢٤] وفي هؤلاء ومثلهم قال الله تعالى : ﴿ إنَّ شرَّ الدواب عند الله الصمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلون ﴾ [الأنفال : ٢٢] وفي القرآن آيٌ كثيرة في ذم تقليد الآباء والرؤساء . وقال ابن مسعود : ألا لا يقلدنَّ أحدكم دينه رجلاً .

وقال القاضي عبد الوهاب المالكي : التقليد لا يُثْمر علماً ، فالقول به ساقط ، وهذا الذي قلناه قول أهل العلم كافة .

والخلاصة : التقليد باطل ؛ لأنه قول في الدين بلا برهان ، وهو أن يفتي في الدين فتيا ؛ لأن فلاناً الصاحب ، أو فلاناً التابع ، أو فلاناً العالم أفتى بها بلا نص في ذلك . قال السيوطي : التقليد : هو أن يقلد غيره ويتبعه من غير دليل ظهر له ، وإنه من أفعال الكفر ، قال الله تعالى حاكياً عنهم :﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

ولكن يجب أن نلاحظ أن منع التقليد في هذه الآية وأمثالها التي تندّد بفعل الكفار إنما هو في التقليد في الاعتقادات وأصول الدين ، لأن المطلوب فيها الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل ، والتقليد لا يفيد فيه ، لأنه قبول قول الغير بلا حجة ، كما قال الغزالي . أما التقليد في الفروع الفقهية والاجتهادات المذهبية فهو أمر جائز وواقع من أغلبية المسلمين غير المتخصصين بقضايا الاجتهاد ، بل لا سبيل أمامهم لممارسة عباداتهم ومعاملاتهم إلا بتقليد غيرهم من المفتين ؛ لأنه لا قدرة لديهم ولا أهلية ولا كفاءة عندهم لاستنباط الحكم الشرعي مباشرة من الدليل ، مما

يجعلهم في أمس الحاجة إلى تقليد غيرهم ، ولا حرج ولا إثم عليهم في ذلك .

أما المجتهد فيحرم عليه التقليد ، ويجب في حقه الاجتهاد ، فهذا هو الذي يطالب بالاجتهاد ، ويمنع من التقليد .

د - وجمع في الباب الرابع فوائد منثورة تتعلق بالاجتهاد :

منها : ندرة المجتهد في هذه الأعصار ، وليس ذلك لتعذر حصول آلة الاجتهاد ، بل لإعراض الناس في اشتغالهم عن الطرق المفضية إلى ذلك .

ومنها في آداب المتعلم : ينبغي أن يعتني بالتصنيف إذا تأهل له ، فيه يطلع على حقائق العلوم ودقائقها ، وبه يتصف المحقق بصفة المجتهد .

ومنها : لا يلزم في الاجتهاد الإحاطة بجميع نصوص الكتاب والسنة ، بل تكفيه الاحاطة بما يتعلق منها بالأحكام ، وهو خمسمائة آية من الكتاب ، وأحاديث مضبوطة بالكتب ، وإن لم تكن محصورة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومنها : أن الإنسان كلما كمل في هذه العلوم التي لا بد منها في الاجتهاد ، كان منصبه في الاجتهاد أعلى وأتم .

وأهم العلوم للمجتهد : علم أصول الفقه ، ففيه تذليل طرق الاجتهاد للمجتهدين .

ومنها : بيان طريق معرفة المجتهد : وهذا إما من المجتهد نفسه أو من العامي . أما المجتهد أو العالم فيعرف ذلك من نفسه ، بأن يعلم أنه أتقن الآية كل الإتقان ، ويجد له ملكة وقدرة على الاستنباط واستخراج الأحكام الخفية من الأدلة البعيدة . وأما معرفة العامي بالعالم الذي وصل إلى حد الاجتهاد فلا تمكن إلا بإخبار المجتهد عن نفسه ؛ لأن الاجتهاد معنى قائم بالنفس ، لا اطلاع للعامي عليه . وهذا إذا كان عدلاً .

وقد يُدْرك ذلك بكثرة الاختبار لمن له أهلية الاختبار .

ثم تابع السيوطي رحمه الله في بيان الفوائد المتعلقة بالاجتهاد ، حتى أوفاها على السابعة والأربعين فائدة ، وأغلبها في تقديري من شأن أهل الاختصاص وهواة الترف العلمي ، وكلها نقول عن العلماء البارزين ليستكمل القارئ صورة الاجتهاد ، وربما تصور سهولة الطريق ، ولكن دون ذلك مشاق ومصاعب لا يمكن تذليلها إلا بالتمكن في فهم القرآن والسنة واللغة العربية وأصول الفقه ومقاصد الشريعة ومعرفة أجاميع العلماء ووجوه القياس والناسخ والمنسوخ من النصوص .

ومما يساعد على بلوغ رتبة الاجتهاد لدى المتأخرين تدوين العلوم المختلفة وكثرة تداولها وانتشارها وتبسيطها وإمكان معرفة مناهج المجتهدين الأوائل وكيفية استنباطهم الأحكام الشرعية من مصادرها المعتمدة .

وفي الخاتمة أقول : لقد تمكن السيوطي رحمه الله بكتابه « الرد على من أخلد إلى الأرض » من العودة إلى أصالة الحكم الإسلامي بفرضية الاجتهاد ، وهو الحكم الذي أصَّله رسول الله ﷺ ، وسار على نهجه الصحابة الكرام ، الذين توسعو وفتحوا للعلماء باب القياس والاجتهاد ، وبينوا لهم سبيله ، وهل يعقل - كما ذكر ابن القيم[1] - أن النبي ﷺ لما قال : « لايقضي القاضي وهو غضبان »[2] إنما قصد الغضب وحده أم كل ما في معناه ؟ الواقع إنما كان ذلك ؛ لأن الغضب يشوِّش عليه قلبه وذهنه ، ويمنعه من كمال الفهم ، ويحول بينه وبين استيفاء النظر ، ويعمِّي عليه طريق العلم والقصد ، فمن قَصَر النهي على الغضب وحده دون الهمّ المزعج

---

(١) أعلام الموقعين ٢١٧/١ .

(٢) رواه أحمد وأصحاب الكتب الستة عن أبي بكرة .

والخوف المقلق والجوع والظمأ الشديد وشُغْل القلب المانع من الفهم ، فقد قلَّ فقهه وفهمه ، والتعويل في الحكم على قَصْد المتكلم ، والألفاظ لم تقصد لنفسها وإنما هي مقصودة للمعاني ، والتوصل بها إلى معرفة مراد المتكلم ، ومراده يظهر من عموم لفظه تارة ، ومن عموم المعنى الذي قصده تارة ، وقد يكون فهمه من المعنى أقوى ، وقد يكون من اللفظ أقوى ، وقد يتقاربان ، كما إذا قال الدليل لغيره : لا تسلك هذا الطريق ، فإن فيها من يقطع الطريق ، أو هي مَعْطَشَة مخوفة ، عَلِم هو وكل سامع أن قصده أعم من لفظه ، وأنه أراد نهيه عن كل طريق هذا شأنها .

أي أن النهي لمعنى معين في نص لا يقتصر عليه ، وإنما يشمل كل ما في معناه مما يسمى بعلة القياس ، وإن الداعية إلى الاجتهاد هو المتصف بكمال الفهم وسداد الرأي وعمق البصيرة والإخلاص للشريعة .

ولقد استطاع السيوطي بدعوته لتجديد الاجتهاد هدم الستار الحديدي الذي طال سَدْله على الأفكار والعقول بالدعوة إلى إغلاق باب الاجتهاد ، لقد اخترق السيوطي هذا السور المنيع متأثراً بمشايخه الأحرار بدءاً بشيخ الإسلام ابن تيمية وانتهاء بمجدد القرن الثامن ابن حجر العسقلاني (٨٥٣هـ) أستاذه المباشر في التصنيف والتأليف والتدوين ، وكلهم كانوا في عصور يقولون عنها : إنها خالية من المجتهدين .

والسيوطي بهمته العالية وتفرغه للتصنيف والتأليف والعمل المعجمي والموسوعي ومحاولته الاجتهاد الجزئي أهّله كل ذلك ليكون إمام المئة العاشرة في الاجتهاد ، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

الرواية عند السيوطي

في تفسير الجلالين

الدكتور نور الدين العتر

تفسير الجلالين تفسير مشهور ، كثير التداول بين الناس لوجازته واختصاره . وسبب تسمية هذا التفسير بذلك أنه اشترك في تأليفه إمامان ، يلقب كل واحد منهما « جلال الدين » :

الأول : جلال الدين محمد بن أحمد المَحَلّي ، الفقيه الأصولي الشافعي المتوفى سنة ٨٦٤هـ .

الثاني : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي العلامة الامام الشهير ، المتوفى سنة ٩١١هـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن لطائف المقادير أن الإمام المحلي بدأ عمله من أول النصف الثاني من المصحف من سورة الكهف إلى آخره ، وسلك هذه الطريقة ، لأنه وجد أناساً شرعوا في التفسير ثم لم يكملوه ، لكن المنية حالت دون الأمنية ، فتوفي المحلي دون أن يتمكن من تفسير النصف الأول ، فجاء الإمام السيوطي بعده ، وأكمل العمل على خطة المحلي نفسها ، فصار التفسير مشهوراً بهذا الاسم « تفسير الجلالين » . وحسبك بكتاب موجز جد الإيجاز يُعنى به إمامان جليلان .

وبدراستنا لهذا التفسير وجدنا أن عمل الإمامين مع تشابهه من حيث الظاهر يتميز عن بعضه لدى التدقيق ، والذي يمكن أن نلخصه : أن

جانب التفسير بالمأثور أكثر توفراً لدى السيوطي في عمله هنا من عمل المَحَلِّيِّ .

والتفسير المأثور هو الأصل الأول في تفسير القرآن الكريم ، لا يستغني عنه المفسر ، مهما أوتي من العلم وعمق النظر ودقة الفهم . ويعتمد التفسير المأثور على تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالحديث النبوي .

وقد تلقى الصحابة تفسير القرآن عن النبي ﷺ ، ونقلوه للناس ، وأضافوا من اجتهاداتهم تفسيراً لما لم يتلقوا تفسيره ، وكذلك تلقى التابعون التفسير عن الصحابة ، واجتهدوا كذلك .

ومن هنا صار لتفسير الصحابة والتابعين شأن كبير لكثرة ما دخل في تفسيرهم من الحديث النبوي ، ولقرب عهدهم من عهد النبوة ، والصحابةُ في ذلك أعظم من التابعين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومع الاختصار الشديد في تفسير الجلالين ، فقد احتل الاستشهاد بالحديث حجماً لا بأس به ، ونتكلم عن عمل السيوطي في الاستشهاد بالحديث النبوي في تكملة تفسير الجلالين فيما يلي :

أولاً : أسباب النزول :

سبب النزول : هو : ما نزلت الآية أو الآيات تتحدث عنه أيام وقوعه ، فهو يتناول أيّ حَدَث نزلت الآيات بشأنه ، من قول يقال ، أو سؤال يطرح ، أو واقعة تحدث . واشترطوا فيه « أيام وقوعه » لأمرين هامين :

١ ـ صيانة الدارس عن أن يخلط بين سبب النزول ، وبين موضوعات الآيات التاريخية من وقائع الأمم الماضية التي أخبر عنها القرآن ،

وقصها على الناس ، فليست تلك الوقائع مثل قصة إبراهيم وموسى وعيسى وأصحاب الكهف وغيرها ليست أسباب نزول للآيات ، لأنها لم تقع أيام نزول القرآن .

٢ ـ عبروا بقولهم « أيام وقوعه » بالجمع ، لأنه قد ينزل القرآن بعد السبب بقليل ، مثل آيات قصة الكهف ، نزلت بعد خمسة عشر يوماً من سؤال المشركين للنبي ﷺ ، وهناك آيات نزلت بعد شهر من سببها[١] . ومعلوم أن القرآن لم ينزل كله على أسباب ، بل منه ما نزل ابتداء غير مسبوق بسبب ، على المعنى الذي شرحناه ، ومنه ما أنزل على أسباب . ولمعرفة سبب النزول فوائد في غاية الأهمية نذكر منها ما يلي بإيجاز :

١ ـ الاستعانة على فهم المعنى المراد ، لما هو معلوم من الارتباط بين السبب والمسبَّب .

قال الواحدي : « لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها »[٢] .

وقال ابن تيمية : « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب » .

٢ ـ معرفة وجه الحكمة التي ينطوي عليها التشريع مما يكون أدعى لتفهمه وتقبّله : فمن قرأ أسباب نزول آيات تحريم الخمر متدرجة واحدة تلي الأخرى أدرك ضرورة تحريم الخمر ، وَبَعَثَهُ موقف الصحابة وامتثالهم العجيب عند نزول تحريمها البات لأن يقتدي بهم ، ويأتسي بعملهم .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ١ : ٣١ ، ومناهل العرفان للزرقاني : ١ : ١٠١ ، والمدخل إلى دراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبة : ١٣٣ .

(٢) مطلع كتاب أسباب النزول للواحدي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ - كشف أسرار البلاغة في القرآن العظيم :

وذلك أن ركن البلاغة الأساسي هو : « مطابقة الكلام لمقتضى الحال » ، ومن العسير أن يصل دارس القرآن إلى بلاغته وخصائص أسلوبه دون علم أسباب النزول ، التي يدرك بها خصوصيات مقاصد الأسلوب ، حيث يجد أن القرآن الكريم راعى مقتضى حال المخاطبين في عصر نزوله على أعلى مستوى معجز ، في الوقت ذاته الذي تلاءَم أسلوبه مع مقتضى حال العالمين إلى يوم الدين[٣] .

ولهذه المكانة لأسباب النزول تشدد السلف في البحث عن أسباب النزول ، حتى قال الإمام محمد بن سيرين : « سألتُ عَبِيدَة (أي السلماني) عن آية من القرآن فقال : « اتق الله وقل سَداداً ، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله القرآن »[٤] .

ومن هنا كان البَدَهي أن يعتمد السيوطي في تفسيره للقرآن على علم أسباب النزول ، كيف وهو مؤلف « لُبَابِ النُّقول في أسباب النزول » و « الدرالمنثور في التفسير بالمأثور » . لكن هذا لا يُلزمه أن يذكر أسباب النزول في كل المواضع ، بل حسبه أن يكون عمله مبنياً على هذا العلم . ومع ذلك فقد ذكر جملة صالحة من أسباب النزول ، بطريقة الإيجاز والإشارة ، مراعاة للاختصار الذي بُنِيَ هذا التفسير عليه .

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ يَزْعُمونَ أنهم آمَنُوا بما أُنْزِلَ إليك

---

(٣) انظر دراسة موسعة مع الأمثلة التطبيقية في كتابنا « القرآن الكريم والدراسات الأدبية » : ٥٨ - ٦٧ .

(٤) الموافقات للشاطبي : ٤٢٢ - ٤٢٣ ، والإتقان : ١ : ٣١ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ ، يُريدونَ أنْ يَتحاكَمُوا إلى الطَّاغُوتِ وقد أُمِرُوا أنْ يَكْفُروا به .. ﴾ .

قال السيوطي : « ونزل – لما اختصم يهودي ومنافق ، فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ ، فأتياه فقضى لليهودي ، فلم يرض المنافق ، وأتيا عمر فذكر له اليهودي ذلك ، فقال للمنافق : أكذلك قال ؟ قال : نعم . فقتله – : ﴿ أَلَم تر إلى الذين يزعمون .. ﴾(٥) » .

ففي هذه القصة روايات كثيرة ، كثير منها لا يذكر الذهاب إلى عمر ، ولا يذكر كعب بن الأشرف ، وقتل عمر للمنافق(٦) ، لكن السيوطي هنا اختار هذه الرواية لكونها أجمع الروايات ، واختصر سياقها قليلاً ، وكأنه لحظ فيها المناسبة لما يأتي بعد في الآيات من ذكر المصيبة التي أصابت المنافقين بما كسبت أيديهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : ﴿ ويُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيْبُ بِها مَنْ يشاء وهُمْ يُجادِلُونَ في الله ﴾ .

قال السيوطي في هذا النص : « نزل(٧) في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه ، فقال : مَنْ رسول الله ؟ وما الله ؟ أَمِنْ ذهب هو أم من فضة أم نحاس ؟ . فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه »(٨) .

---

(٥) سورة النساء : الآية : ٥٩ ، وقوله : ﴿ ألم تر ﴾ في محل رفع فاعل لنزل . تفسير الجلالين : ١١٥ .

(٦) انظر الدر المنثور ٢ : ١٧٨ – ١٧٩ ، ولباب النقول بذيل الجلالين : ١٧٠ .

(٧) أي النص المذكور ، وهو قوله تعالى : ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ .

(٨) سورة الرعد : الآية : ١٤ ، وانظر تفسير الجلالين : ٣٢٩ .

وهذا تلخيص لسبب النزول الذي ورد من عدة طرق يقوي بعضها بعضاً[٩] .

وهكذا يورد السيوطي ما كان ثابتاً من أسباب النزول مقتصداً في ذلك ، مع تلخيص الرواية مراعاة لطبيعة الكتاب ، واعتماداً على كتب التفسير المأثورة وكتابه « لباب النقول في أسباب النزول »[١٠] .

لكن يستثنى من ذلك موضع يستدعي وقفة تأمل لعمل السيوطي في أسباب النزول ، بل التعجب ، ذلك هو سبب النزول الذي ذكره في الآيات : ٧٦ ـ ٧٨ من سورة التوبة ، فقد ذكر السيوطي سبب النزول مدمجاً بالآيات هكذا :

﴿ ومِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانا مِنْ فَضْلِه لَنَصَّدَّقَنّ ولَنَكُونَنّ مِنَ الصَّالِحين ﴾ : وهو ثعلبة بن حاطب ، سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ، ويؤدي منه كل ذي حق حقه . فدعا له ، فوسّع عليه ، فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِه بَخِلُوا بِه وتَوَلَّوا وهُمْ مُعْرِضُون . فَأَعْقَبَهُم نِفاقاً في قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَه بما أَخْلَفُوا اللهَ ما وَعَدُوه وبما كانوا يَكْذِبون ﴾ فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته ، فقال « إن الله منعني أن أقبل منك ، فجعل يحثو التراب على رأسه . ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ، ثم إلى عمر فلم يقبلها ، ثم إلى عثمان فلم يقبلها ، ومات في زمانه »[١١] .

---

(٩) انظر تفسير ابن كثير ٢ : ٥٢٤ ، ولباب النقول : ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

(١٠) انظر مثلاً تفسير الآيات التالية من الجلالين : سورة النساء آية ٦٨ ، و ١٠٤ والمائدة آية ٣٦ و ١٠٤ والأنعام : ٩٣ و ١١٤ وغيرها .

(١١) سورة التوبة : الآيات : ٧٦ ـ ٧٨ [تفسير الجلالين : ٢٦١ ـ ٢٦٢] .

هكذا أورد السيوطي قصة سبب النزول ملخصة عن رواية فيها تفاصيل وسرد يشبه أسلوب القصاص ، وحبكهم للحكايات ، وكان ذلك من أسباب ذيوع القصة وانتشارها على ألسنة الوعاظ والخطباء ، ولعل هذا الذيوع جعل السيوطي يوردها هكذا ، مع أن فيها إشكالات في السند وفي المتن ، نبيّنها بإيجاز فيما يلي :

أما في السند :

فقد اختلف الرواة في ذكر اسم صاحب القصة . فبعض الرواة سماه « ثعلبة بن حاطب » ، وبعضهم لم يسمه إطلاقاً بل أغفله[١٢] .

ونلاحظ بالدراسة للأسانيد أن الروايات التي ورد فيها تعيين الاسم أنه ثعلبة بن حاطب ضعيفة ، قال الإمام البيهقي[١٣] بعد أن أوردها : « هذا حديث مشهور بين أهل التفسير ، وإنما يُروى موصولاً بأسانيد ضعاف » .

بينما نجد الروايات الأخرى التي لم يذكر فيها اسم الصحابي ، ولا إشكالات المتن التي سنذكرها ثابتة بالأسانيد من صحيح وحسن . فكانت هي العمدة في هذه القصة .

وأما المتن فمشكل من وجوه ، نذكر منها ما يلي :

١ - في القصة أن صاحبها هو ثعلبة بن حاطب ، وثعلبة بن حاطب صحابي أنصاري ، قديم الإسلام شهد بدراً[١٤] ، فهو إذن ثابت

---

(١٢) انظرها بأسانيدها في جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٤ : ٣٦٩-٣٧٤ .

(١٣) دلائل النبوة : ٥ : ٢٩٢ .

(١٤) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٣ : ٤٦٠ ، والاستيعاب لابن عبد البر ١ : ٢٠٠ هامش الإصابة ، والثقات لابن حبان ٣ : ٣٦ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العدالة ، لا يمكن وصفه بالنفاق ، لأن عدالة الصحابة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع[١٥] ، فضلاً عن كونه من أهل بدر ، وفضلهم ثابت بالتواتر .

٢ ـ تعارض تسمية صاحب القصة ، فهناك من يقول : إنه ثعلبة بن حاطب ، وقيل : ثعلبة بن أبي حاطب ، وقيل : حاطب بن أبي بَلْتَعَة . وكأن التسمية وردت لذهن بعض الرواة تواردا مصادفاً دون مستند ثابت .

٣ ـ أن نص القرآن حكى الواقعة عن جماعة ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ ﴾ ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا .. ﴾ ، والرواية تجعله واحداً . فهي تخالف نص القرآن .

٤ ـ أن القصة تصادم قواعد الشرع في قبول التوبة ، فقد ذكرت أن الرجل تاب وأتى بزكاة ماله إلى النبي ﷺ فرفضها ، ثم إلى أبي بكر فلم يقبلها ، وهكذا عُمر وعثمان . وذلك خلاف قواعد الشرع في قبول التوبة من الذنب .

إن أصول الشرع في إجْراءِ الأحكام تُلْزِمُ بتطبيقها على الناس كلهم ، على قدم المساواة ، وأخذاً بظواهر أحوالهم التي هي الإسلام ، دون تفتيش عن بواطنهم ، وقد كان النبي ﷺ يعامل المنافقين بحسب ظاهر إسلامهم ، حتى رأس المنافقين عبد الله بن أُبَيّ بن سلول ، عامله النبي ﷺ بحسب ما يُظْهِرُ من الإسلام ، فكيف تُخالفُ هذه القاعدة هنا في هذا الرجل ؟!! .

(١٥) انظر هذه الدلائل في كتابنا : منهج النقد في علوم الحديث ص ١٢١ ـ ١٢٤ .

ثانياً : تفسير القرآن بالحديث :

نجد في عمل السيوطي ، في تكملة تفسير الجلالين ، جملة جيدة من الأحاديث ، يستشهد بها لمناسبة شرحه معنى الآية ، كما نوضح ذلك فيما يلي : فمنه قوله تعالى : ﴿ الذينَ آمَنُوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أولئكَ لَهُمُ الأَمْنُ وهم مُهْتَدُون ﴾ .

قال السيوطي : « ولم يلبسوا (يخلطوا) إيمانهم بظلم (أي شرك ، كما فُسِّرَ بذلك في حديث الصحيحين »[١٦] .

فقد فسّر الآية بالحديث ، مقتصراً على الإشارة إلى الحديث وتخريجه . وهو حديث صحيح متفق عليه ، عن ابن مسعود قال : (لما نزلت : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ شق ذلك على المسلمين ، وقالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : « يابُنَيّ لا تُشرك بالله إنّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم »[١٧]) .

ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ لَنْ تَراني ، ولَكِنِ انْظُرْ إلى الجَبَلِ فانِ اسْتَقَرَّ مكانَه فَسَوْفَ تَراني فلما تَجَلّى رَبُّه لِلْجَبَلِ جَعلَه دكّاً وخَرّ مُوسى صَعِقا ﴾ .

قال السيوطي : (﴿ فلما تجلى ربه ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر ، كما في حديث صححه الحاكم ...)[١٨] .

(١٦) سورة الأنعام الآية ٨٢ ، وتفسير الجلالين : ١٨٢ .

(١٧) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٢ : ٥٦ .

(١٨) سورة الأعراف : الآية : ١٤٢ وتفسير الجلالين : ٢٢١ .

ففسر الآية بالحديث ، مشيراً إليه وإلى مصدره وحكمه .

والحديث أخرجه أيضاً أحمد والترمذي وقال : « حسن صحيح »[١٩] . فاختصر السيوطي وعزا الحديث للحاكم فقط وذكر درجته . وكان عزوه للترمذي أولى ، لكن يبدو أنه اعتمد في اقتباسه على لفظ الحاكم .

وهكذا درج في مواضع أخرى أيضاً ، يقتبس جملة من الحديث ، ويعزوه إلى مصدره[٢٠] .

وقد يفسر السيوطي القرآن بالحديث على الطريقة المتقدمة في الاقتباس المختصر ، لكن دون عزو لمصدر الحديث :

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في آخر آية الكرسي : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السماواتِ والأَرْضَ ولا يَؤُودُهُ حِفْظُهُما وهُوَ العَلِيُّ العَظِيم ﴾ .

قال السيوطي : (﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ قيل : أحاط علمه بهما ، وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته ، لحديث : « ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلْقِيَتْ في ترس »)[٢١] .

وهذا الحديث غريب جداً ، والمشهور « ما السموات السبع » ، وفي رواية « ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة ، وما موضع كرسيه من العرش إلا مثل حلقة في أرض فلاة »[٢٢] .

---

(١٩) تفسير ابن كثير : ٢ : ٢٢٤ .

(٢٠) انظر الصفحات : ١٢٥ ، ١٥٦ ، ١٩٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧ ، ٣٤٠ ، ٣٥٠ ، ٣٨٦ ، من تفسير الجلالين .

(٢١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ ، وتفسير الجلالين : ٥٦ .

(٢٢) الدر المنثور : ١ : ٣٢٨ .

لكنه لا يفيد اشتمال الكرسي على السموات . وهذا الحديث الأخير أورده السيوطي بشواهد له بمعناه في الدر المنثور[٢٣] ، ولم يذكر فيه الحديث الذي ذكره في تكملة تفسير الجلال المحلي ، مما يدل على شدة غرابته . وقد خرجه الطبري بسنده عن ابن زيد عن أبيه مرفوعاً ، فهو ضعيف ومرسل[٢٤] ومثل هذا الصنيع في الرواية نادر عند السيوطي ، وأكثر ما يغفل التخريج في أسباب النزول ، لكنه يتخير فيها ما هو قريب ، إلا ما تعقبناه في قصة ثعلبة .

ثالثاً : الإسرائيليات :

المراد بالإسرائيليات اللون اليهودي والنصراني من الثقافة والأخبار عن الأمم السابقة . وقد كثر النقل لهذا اللون في بعض كتب التفسير ، دون تمييز بين ما يُقبل وما لا يُقبل وما يُتوقف فيه ، وكان لذلك أثر سيئ في التفسير ، خصوصاً ما كان من القصص الخيالي المخترع .

وتنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى أقسام ثلاثة نوضحها مع حكمها فيما يلي :

القسم الأول : ما يُعلم صحته بأن نُقل عن النبي ﷺ نقلاً صحيحاً ، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام ، أنه الخضر ، فقد ثبت ذلك صريحاً في الحديث في صحيح البُخاري . كذلك ما كان له شاهد من الشرع يؤيده ، وهذا القسم صحيح مقبول .

القسم الثاني : ما يُعلم كَذِبُه ، بأن يناقِض ما عرفناه من الشرع ، أو

(٢٣) الموضع السابق .

(٢٤) انظر ابن كثير ١ : ٣١٧ . وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف ، ضعفه أحمد والدارقطني ، كما في المغني في الضعفاء رقم ٣٢٦٨ ، وأبوه تابعي ولم يذكر الواسطة وذلك ضعف آخر .

كان لا يتفق مع العقل . وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته إلا مع التحذير منه .

القسم الثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا هو من قَبيل الأول ولا هو من قبيل الثاني . وهذا القسم نتوقف فيه ، فلا نؤمن به ولا نكذبه . لأنه إن قبلناه قد يكون غير ثابت لما دخل تراثهم ، ونقلهم من الكذب . وإن كذّبناه فقد يكون ثابتاً ، لذلك نتوقف فيه .

وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا اختلافاً كثيراً ، وقد تختلف عبارات بعض المفسرين مع بعض بسبب ذلك ، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا موسى ومن أي الشجر كانت . وأسماء الطيور التي أحياها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ، وتعيين بعض البقرة الذي ضُرب به قتيل بني إسرائيل فأحياه الله وبيَّن قاتله ، قال : قتلني ابنُ أخي .

إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن ، لحكمة جليلة ، مثل عدم شغل القارئ بما لا فائدة فيه ، في أمر ديني ولا دنيوي[٢٥] . ونجد السيوطي يورد نبذاً من الإسرائيليات في تفسيره هذا متنوعة ، منها ما يمكن قبوله ، لموافقته مقصد نص القرآن .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ واتبَعُوا ما تتْلو الشَّياطِيْنُ على مُلْكِ سُلَيانَ وما كَفَر سُلَيْمان ولكن الشياطين كفروا ... ﴾ .

---

(٢٥) انظر في مسألة الإسرائيليات مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير : ١٣ ـ ١٤ و ٢٦ ـ ٢٧ ، والتفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١ : ١٩٩ ـ ٢٠١ ففيه بحث واسع .

قال السيوطي : (﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ﴾ من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما فزع ملكه .؟!! .

أو كانت تسترق السمع – يعني إلى السماء – وتضم إليه أكاذيب ، وتلقيه إلى الكهنة ، فَيُدَوِّنُونَه ، وفشا ذلك وشاع أن الجنّ تعلم الغيب ، فجمع سليمان الكتب ودفنها ، فلما مات دلت الشياطين عليها الناس ، فاستخرجوها ، فوجدوا فيها السحر ، فقالوا : إنما ملككم بهذا فتعلموه ، ورفضوا كتب أنبيائهم ..)[٢٦] .

فقوله: « أو كانت تسترق ... »، موافق لمقصود الآية، وهو افتراء اليهود وقلبهم الحقائق ، وجعلهم عمل سليمان من السحر ، مع أنه كان حرباً على السحر عليه السلام ، مما يجعل إيرادها ممكن القبول .

ومن الإسرائيليات عنده ما يتوقف فيه لغرابته :

ومن أمثلة ذلك قوله في شأن البقرة التي أمر بنو إسرائيل بذبحها ، ومراجعتهم في صفاتها ، فقال : « فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملءِ مَسْكها ذهباً »[٢٧] . فقوله « بملء مَسْكِها » أي جلدها غريب حقاً ، والقصة طويلة ، اختصرها السيوطي ، وفيها حبك غريب ، الله أعلم بحقيقتها .

ومن الإسرائيليات المشكلة عند السيوطي ما أورده في تفسير قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ ولقد هَمَّتْ بِهِ وهَمَّ بِها لَوْلاَ أنْ رأى بُرْهَانَ ربه ﴾ .

قال السيوطي : « قال ابن عباس : مُثّل له يعقوب فضَرَب صدره ،

---

(٢٦) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢ ، وتفسير الجلالين : ٢١ .

(٢٧) سورة البقرة : الآيات : ٦٧ – ٧٣ ، وتفسير الجلالين : ١٥ .

فخرجَت شهوَتُه من أنامله ، وجواب لولا لجامعها »[٢٨].

وهذا مشكل غير مقبول ، لما هو معلوم من عصمة الأنبياء عن القبائح ، قبل النبوة وبعدها ، وهذا لا يتفق مع العصمة ، لأنه يؤدي إلى أنه ترك الفاحشة لأمر مُلْجِئ .

وقوله : « وجواب لولا لجامعها » غير مُسَلَّم . بل المعنى « لولا أن رأى برهان ربه لهَمَّ بها » . أي أنه لم يَهِمّ بها إطلاقاً . كما تقول : « سافر فلان ، وسافرتُ لولا المرض » . أي أنك لم تسافر .

وفي تفسير الجلالين عدة روايات وإسرائيليات باطلة لا يجوز قبولها ولا تصديقها بحال ، بعضها عند السيوطي ، وأكثرها وأشدها خطراً عند المحلّي ، لغلَبَةِ اشتغاله بالفقه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٨) الآية : ٢٤ من سورة يوسف ، وتفسير الجلالين : ٣١٢ .

المراجع

– الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

– أسباب النزول للواحدي ، تحقيق سيد أحمد صقر . ط. دار المعارف – القاهرة .

– الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، بحاشية الإصابة . ط . الخانجي .

– تفسير الجلالين . ط. دار مروان – الدار الغربية .

– تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن كثير . ط. دار المعرفة – بيروت .

– التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبي . ط. دار إحياء التراث العربي . – بيروت .

– الثقات ، لمحمد بن حبان البستي . ط. الهند .

– جامع البيان في تأويل آي القرآن . للطبري . ط. دار المعارف – مصر .

– حاشية الصاوي على تفسير الجلالين . ط. دار الفكر . بيروت .

– الدار المنثور في التفسير المأثور . للسيوطي . ط. دار الثقافة – بيروت .

– دلائل النبوة ، للبيهقي . تحقيق عبد المعطي قلعه جي . دار الفكر .

– الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد . ط. دار بيروت . لبنان .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

- القرآن الكريم والدراسات الأدبية . للدكتور نور الدين عتر . ط. جامعة دمشق .
- لباب النقول في أسباب النزول . بذيل تفسير الجلالين .
- المدخل إلى دراسة القرآن الكريم . لمحمد محمد أبو شهبة . ط. مصر .
- المغني في الضعفاء للإمام شمس الدين الذهبي . تحقيق الدكتور نور الدين عتر . ط. دار المعارف . حلب .
- مقدمة في أصول التفسير ، لابن تيمية . ط. مطبعة الترقي ، دمشق .
- مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزرقاني . ط. دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الثانية بالقاهرة .
- منهج النقد في علوم الحديث ، للدكتور نور الدين عتر . ط. دار الفكر . الطبعة الثالثة .
- الموافقات ، للشاطبي . ط. المكتبة التجارية . مصر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيوطي وعلوم القرآن

الأستاذ محمد يوسف الشربجي

يعد السيوطي من أبرز الشخصيات ذات الإنتاج الثرّ في جميع العلوم والفنون حتى يمكن أن يطلق عليه « المفكر الموسوعي » وذلك لأن دراساته قد تعددت وشملت أكثر فروع المعرفة التي كانت مزدهرة في عصره .

ولما كان هذا البحث سينشر ضمن بحوث عن الإمام السيوطي بمناسبة مرور خمسمائة سنة على وفاته فسأشير بإيجاز شديد إلى ملامح شخصية هذا العَلَم مركّزاً على جهوده في علوم القرآن .

جلال الدين السيوطي هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري[1] الشافعي أبو الفضل ، ولد بالقاهرة مستهل شهر رجب سنة (٨٤٩هـ)[2] من أسرة علم ومعرفة ، فقد كان والده كمال الدين أبو بكر بن محمد من فقهاء الشافعية ، وولي درس الفقه بالجامع الشيخوني ، وخطب بالجامع الطولوني ، وكان ذا سيرة حميدة ، وعفة ونزاهة[3] ، ولما

(١) نسبة إلى الخضيرية وهي محلة ببغداد ، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (ط دار صادر بيروت ١٩٨٤م) : ٣٧٧/٢ .

(٢) حسن المحاضرة للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١ عيسى البابي الحلبي مصر ١٩٦٧م) : ٣٣٦/١ ، والتحدث بنعمة الله للسيوطي ، تحقيق اليزابيت ماري سارتين (ط ، المطبعة العربية الحديثة ١٩٧٢) ص : ٣٢ .

(٣) حسن المحاضرة : ٤٤١/١ ، التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي (نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر)ص : ٣٥٦ .

توفي سنة (٨٥٥هـ) لم يكن السيوطي – الابن – قد تجاوز السادسة من عمره ، فعهد به والده قبل وفاته إلى أحد أصدقائه وهو كمال الدين بن الهمام الحنفي صاحب « فتح القدير » المتوفى سنة (٨٦١هـ)[٤] ، وقد لحظه بنظره ، وأولاه عنايته ورعايته ودعا له[٥] .

وظهرت على جلال الدين السيوطي منذ نعومة أظافره علامات الفطنة وأمارات الذكاء فحفظ القرآن وهو دون الثامنة من عمره[٦] ، ثم حفظ متون الفقه والنحو وأخذهما عن جماعة من شيوخ عصره ، ولزم العلاّمة شيخ الإسلام علم الدين البلقيني إلى أن توفي سنة ٨٦٨هـ ، وكذلك لزم الإمام شرف الدين المناوي المتوفى سنة ٨٧١هـ ، ودرس عليه إلى أن مات ، ولزم في الحديث والعربية تقي الدين الشمني المتوفى سنة ٨٧٢هـ ، ومن الذين لازمهم السيوطي كثيراً الإمام العلاّمة محيي الدين الكافيجي المتوفى سنة ٨٧٩هـ ، فقد لزمه السيوطي أربع عشرة سنة[٧] ،

---

(٤) هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد المعروف بابن الهمام . انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي (نشر مكتبة الحياة ، بيروت) : ١٢٧/٨ ، وبغية الوعاة في طبقات النحاة للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١ عيسى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦١م) : ١٦٦/١ .

(٥) انظر طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة ، للسيوطي ، مطبوعة ضمن (شرح مقامات السيوطي) بتحقيق سمير الدروبي (ط مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٩م) ٨١٥/٢ وللفتح المبين ، للمراغي (ط دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٧٤م) ٦٥/٣ .

(٦) حسن المحاضرة : ٣٣٦/١ ، بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي لتلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي ، مخطوطة محفوظة بمكتبة شستربتي رقم ٤٤٣٦ ق ٩/ب .

(٧) التحدث بنعمة الله ص : ٢٤١ ، وحسن المحاضرة : ٣٣٨/١ .

وقد ذكر الشيخ الشعراني - تلميذ السيوطي - في طبقاته الصغرى أن شيوخ السيوطي بلغوا ستمائة نفس ورتبهم في أربع طبقات :

الأولى : من يروي عن أصحاب الفخر بن النجار ، والشرف الدمياطي ، ووزيره ، والحجار ، وسليمان بن حمزة ، وابن أبي نصر الشيرازي ، ونحوهم .

الثانية : من يروي عن السراج البلقيني ، والحافظ ابن أبي الفضل العراقي ، ونحوهم وهم دون التي قبلها في العلو .

الثالثة : من يروي عن الشرف ابن الكويك ، والجمال الحيلي ، ونحوهم وهم دون الثانية .

الرابعة : من يروي عن أبي زرعة العراقي ، وابن الجوزي ، ونحوهما ، وهذه لتكثير العدة وتكبير الحجم(٨) . ولم أرو عنهم شيئاً لا في الإملاء ولا في التخريج ولا في التأليف(٩) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد حرص السيوطي على ترجمة مشايخه الذين أخذ عنهم العلم فوضع فيهم خمسة مصنفات وهي :

١ - حاطب ليل وجارف سيل ، وهو معجم شيوخه الكبير ، أشار إليه عند ذكر مؤلفاته في كتابه « حسن المحاضرة » في فن التاريخ

(٨) الطبقات الصغرى للشيخ عبد الوهاب الشعراني ، تحقيق عبد القاهرة عطا (ط١ ، ١٩٧٠م نشر مكتبة القاهرة) ص : ١٩ . وانظر التحدث بنعمة الله للسيوطي ص : ٤٣ ، وفهرس الفهارس والأثبات للشيخ عبد الحي الكتاني : ١٠١٣/١ (ط ، دار الغرب الإسلامي بيروت) .

(٩) التحدث بنعمة الله ص : ٤٣ ، والمنجم في المعجم للسيوطي : ق ١/ب مخطوطة محفوظة بمكتبة الشيخ عارف حكمت في المدينة المنورة رقم ٩٠٠/٢٣١ ، وبهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين لتلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي ق ١٢/ب .

والأدب[١٠] .

٢ – زاد المسير في الفهرست الصغير ، ورد ذكره في فهرست مؤلفاته[١١] .

٣ – فهرست المرويات ، ويسمى « إنشاب الكتب في أنساب الكتب » ، وقد ورد ذكره في فهرست مؤلفاته ، وأشار إليه حاجي خليفة في كشف الظنون[١٢] .

٤ – المنتقى ، وهو المعجم الصغير ، وقد ذكره السيوطي في كتابه حسن المحاضرة[١٣] .

٥ – المنجم في المعجم وقد ذكره في فهرس مؤلفاته في فن التاريخ وتعليقاته ، وقد قال في مقدمته : « هذا معجم ذكرت فيه أعيان الشيوخ الذين سمعت منهم الحديث أو أجازوا لي وهي ثلاث طبقات »[١٤] ، وقد تقدم ذكرهم .

---

(١٠) حسن المحاضرة : ٣٤٤/١ ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة : ٩٤٨/٢ ، فهرس الفهارس : ١٠١٨/٢ .

(١١) فهرست الكتب التي صنفها شيخ الإسلام السيوطي ، مخطوط محفوظ بمكتبة الأسد الوطنية رقم (٥٨٩٦) ق ٣٧/ب ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي لمحمد الشرقاوي إقبال (ط ، الرباط ١٩٧٧م) ص : ٢١٤ .

(١٢) فهرست الكتب التي صنفها السيوطي للسيوطي ، مخطوط ق ٣٦/ب ، حسن المحاضرة : ٣٤١/١ ، كشف الظنون : ٦٧٠/٦ ، فهرس الفهارس : ١٠٢٠/٢ ، مكتبة الجلال السيوطي ص : ٩٣ و ٢٧١ .

(١٣) حسن المحاضرة : ٣٤٤/١ ، فهرس الفهارس : ١٠٢٠/٢ .

(١٤) المنجم في المعجم ق : ١/ب ، وانظر فهرست مؤلفاته ق : ٣٩/أ .

وقام السيوطي بعدة رحلات ضمن مصر وخارجها فرحل إلى الفيوم والمحلة ودمياط والرشيد والإسكندرية[١٥]، وحج وشرب من ماء زمزم ودعا أن يصل في الفقه إلى رتبة شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر[١٦] . وقد جمع فوائد هذه الرحلة وما وقع له وما ألفه أو طالعه أو نظمه أو أخذ عن الشيوخ في كتاب سماه «النحلة الزكية في الرحلة المكية»[١٧] . ولما رجع من هذه الرحلة انتصب للتدريس فلم يرد طالباً ولا مبتدئاً ولا فاضلاً كما حدث عن نفسه[١٨] ، وذلك من شوال سنة سبعين وثمانمائة .

وبدأ إملاء الحديث بالجامع الطولوني ، وتصدى للإفتاء من سنة إحدى وسبعين ، وقد بلغ درجة الترجيح والاجتهاد يقول في كتابه التحدث بنعمة الله : « ولما بلغت درجة الترجيح لم أخرج في الإفتاء عن ترجيح النووي وإن كان الراجح عندي خلافه ، ولما بلغت رتبة الاجتهاد المطلق لم أخرج في الإفتاء عن مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه »[١٩] .

وولي تدريس الحديث بالشيخونية[٢٠] ، وتولى عدة مناصب أخرى ، وقد تتلمذ له كثيرون من الفطاحل والنابغين منهم ابن إياس الحنفي صاحب بدائع الزهور الذي يطلق على الشيخ كلما ذكر « شيخنا » ،

---

(١٥) التحدث بنعمة الله ص : ٨٣ .

(١٦) حسن المحاضرة : ٣٣٨/١ ، التحدث بنعمة الله ص : ٧٩ .

(١٧) التحدث بنعمة الله ص : ٧٠ .

(١٨) التحدث بنعمة الله ص : ٨٨ ، ونقل ذلك عنه تلميذه الشاذلي في بهجة العابدين : ق ١٣/أ .

(١٩) التحدث بنعمة الله ص : ٩٠ ، وانظر الطبقات الصغرى : ٢٠ ـ ٢١ .

(٢٠) التحدث بنعمة الله ص : ٩٠ ، وانظر الضوء اللامع للسخاوي : ٦٦/٤ .

ومنهم أيضاً الشيخ عبد القادر الشاذلي المتوفى سنة ٩٣٥هـ صاحب كتاب « بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين » ، ومنهم المحدث محمد بن علي شمس الدين الداودي المالكي صاحب طبقات المفسرين ، وله كتاب في ترجمة الحافظ السيوطي شيخه ، ومنهم أيضاً المحدث والمؤرخ ابن طولون الصالحي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٠هـ صاحب « القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية » ، والإمام العلاّمة محمد بن عبد الرحمن العلقمي المتوفى سنة ٩٦٩هـ صاحب المؤلفات العديدة في الحديث وغيره .

وقد كملت عنده آلات الاجتهاد ورزق التبحر في كثير من العلوم كما يحدث بذلك عن نفسه تحدثاً بنعم الله تعالى لا فخراً ورياء . وصنف الكتب الكثيرة حتى صار يطلق عليه ابن الكتب[٢١] ، وقد جمع الأستاذ محمد الشرقاوي إقبال كتب الإمام السيوطي في كتاب سماه « مكتبة الجلال السيوطي » فبلغ عدد مؤلفاته فيه (٧٢٥) كتاباً منها ما هو مكرر ومنحول .

يقول السيوطي متحدثاً بنعم الله عليه : « ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت ذلك من فضل الله لا بحولي ولا بقوتي ... »[٢٢] .

وكان آية كبرى في سرعة التأليف حتى قال تلميذه الداودي : « عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً وكان

---

(٢١) وذلك لأن ولادته كانت بين الكتب ، انظر المنح البادية للفاسي ق : ٣ ، والنور السافر للعيدروسي ص : ٥١ .

(٢٢) حسن المحاضرة : ٣٣٠/١ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع ذلك يملي الحديث ويجيب عن المتعارض عنه بأجوبة حسنة »[٢٣] .

وقد انتشرت كتبه في حياته شرقاً وغرباً ، وشهرة كتبه تغني عن ذكرها[٢٤] .

وقد عد من مناقبه كثرة كتبه ومؤلفاته قال تلميذه الشعراني : « ومناقب الشيخ كثيرة مشهورة ، ولو لم يكن له من الكرامات إلا إقبال الناس عليه في سائر الأقطار ، وعلى كتبه ومؤلفاته ومطالعتها لكان ذلك كفاية لما اشتملت عليه من العلوم والمعارف[٢٥] » .

ولما بلغ الشيخ السيوطي أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاشتغال به صرفاً والإعراض عن الدنيا وأهلها حتى كأنه لم يعرف أحداً منهم ، وشرع في تحرير مؤلفاته وترك الإفتاء والتدريس وألف كتاباً سماه « التنفيس في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس »[٢٦] . وأقام في روضة المقياس فلم يتحول منها إلى أن مات . ولم يفتح طاقات بيته التي على النيل مدة سكناه[٢٧] .

وكان رحمه الله تعالى مترفعاً على أهل الدنيا بل على ملوكها وسلاطينها متعززاً عليهم متعففاً عنهم معرضاً عما في أيديهم لا يلتفت إليهم ولا يداهنهم ولا يرائيهم بل لا يتردد إلى أحد أصلاً ، لا في الخلوة ولا في

(٢٣) شذرات الذهب لابن العماد : ٥٣/٨ ، وفهرس الفهارس : ١٠٢٠/٢ .

(٢٤) قسمها في كتابه التحدث بنعمة الله ص : ١٠٥ إلى سبعة أقسام ، وذكر ذلك الشاذلي في بهجة العابدين ق ١٤/أ .

(٢٥) الطبقات الصغرى ص : ٣٦ ، وانظر شذرات الذهب : ٥٤/٨ .

(٢٦) عرض لها الأستاذ مرزوق علي إبراهيم في مجلة الاعتصام جانفي ١٩٠٠م .

(٢٧) بهجة العابدين ق ٢٩/ب ، والطبقات الصغرى ص : ٣٢ ، وشذرات الذهب : ٥٣/٨ .

الملأ ، وألف في ذلك رسالة سماها « ما رواه الأساطين في المجيء إلى السلاطين[٢٨] » .

قال ابن العماد : « وكان الأمراء والأغنياء يأتون إلى زيارته ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردها ، وأهدى إليه الغوري[٢٩] خصياً وألف دينار ، فرد الألف وأخذ الخصي ، فأعتقه وجعله خادماً في الحجرة النبوية ، وقال لقاصد السلطان : « لا تعد تأتينا بهدية قط ، فإن الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك »[٣٠] .

وفي سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة توفي الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في منزله بروضة المقياس بعد أن تمرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه اليسرى يقال إنه الخلط الحاد ، وقد استكمل من العمر إحدى وستين وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة ، رحمه الله تعالى[٣١] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٨) وقد قام بتحقيقها الأخ الصديق طه بوسريح التونسي ، وهي قيد الطباعة .

(٢٩) هو السلطان الأشرف قانصوه الغوري الجركسي ، ولد سنة ٨٥٠هـ ، وترقى في المناصب إلى أن صار سلطاناً ، قتل في معركة قرب مرج دابق شمالي حلب ٩٢٢هـ ، ولم يعثر له على أثر . انظر بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي ، تحقيق د. محمد مصطفى (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤م) : ٨٦ – ٨٧ ، وشذرات الذهب : ١١٣/٨ .

(٣٠) شذرات الذهب : ٥٣/٨ ، وانظر الطبقات الصغرى ص :٣٤ ، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزي ، تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور (ط٢ ، بيروت ١٩٧٩) : ٢٢٨/١ .

(٣١) الطبقات الصغرى ص : ٣٦ ، بهجة العابدين ق : ٤٣/أ ، شذرات الذهب : ٥٥/٨ ، النور السافر ص : ٥١ ، الكواكب السائرة : ٢٣١ ، وللعلامة أحمد تيمور باشا رسالة في قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه .

جهود الإمام السيوطي في علوم القرآن :

لقد فطر الله تعالى الإمام السيوطي على حب القرآن الكريم وحفظه منذ الصغر ، فقد ذكر أنه حفظ القرآن وهو دون ثماني سنوات[٣٢] ، وهذا دليل ذكائه ونبوغه ، فمن كان هذا حاله لا يستبعد أن يدهشنا بمثل هذه المؤلفات التي تركها والتي يعجز الواحد منا عن قراءتها فضلاً عن تحريرها وتأليفها .

وقد ابتدأ السيوطي تأليفه بالقرآن الكريم ، فكان أول شيء ألفه « شرح الاستعاذة والبسملة » ، وقد اطلع عليه شيخه البلقيني فأقره وأعجبه وكتب عليه تقريظاً[٣٣] ، ثم توالى تأليفه بعد ذلك .

وقد رزقه الله تعالى عقلية خصبة وفكراً معطاء وذكاءً وقاداً مما جعله يتبحر في كثير من العلوم والفنون ، وقد كانت علوم القرآن من جملة العلوم التي ذكرها أثناء تحدثه عن نعم الله عليه . فقال : « ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة ، بحيث أن الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عمن دونهم »[٣٤] .

والسيوطي شديد الاعتداد بنفسه وكتبه ، وكثيراً ما يقول : « إن هذا الكتاب لم يؤلف مثله » ، وهو عندما صنف مؤلفاته في كتابه

---

(٣٢) حسن المحاضرة : ٣٣٦/١ .

(٣٣) ذكر الإمام السيوطي نص التقريظ في كتابه « التحدث بنعمة الله » ص : ١٣٧ .

(٣٤) حسن المحاضرة : ٣٣٨/١ ، التحدث بنعمة الله ص : ٢٠٣ .

« التحدث بنعمة الله » جعل القسم الأول لما تفرد فيه ولم يسبقه إليه أحد فقال : « ولا يعلم لهذا القسم نظير في الدنيا » وهذا لا على سبيل عجز المتقدمين وإنما لعدم تصديهم لمثل هذه الموضوعات ، أما علماء عصره فيقول : « فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله لما يحتاج إليه من سعة النظر وكثرة الاطلاع وملازمة التعب والجد »[٣٥] ومن جملة ما ذكره تحت هذا القسم في علوم القرآن خاصة :

١ ـ الإتقان في علوم القرآن .

٢ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

٣ ـ ترجمان القرآن .

٤ ـ أسرار التنزيل (وهو المسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار) .

٥ ـ الإكليل في استنباط التنزيل .

٦ ـ تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور[٣٦] .

هذا وقد وقفت على مخطوطة لكتب الإمام السيوطي ذكرها تلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي في كتابه « بهجة العابدين » ذكر فيها : "هذا فهرست العالم العلاّمة حافظ العصر الجلال السيوطي من نسخة عليها خط المؤلف سامحه الله ورحمنا به دنيا وأخرى[٣٧] » وسأنتقي منها ما يتعلق بعلوم

(٣٥) التحدث بنعمة الله ص : ١٠٥ ، بهجة العابدين ق : ١٤/أ .

(٣٦) لقد بالغ السيوطي رحمه الله تعالى في دعواه هذه فقد استعان هو نفسه بكتب من سبقه ، وقد اطلع على كتاب البرهان للزركشي وأعجب به ، وكذلك على كتاب شيخه البلقيني ، وقد سبقه إلى ما ادعاه من تأليف ابن أبي حاتم في التفسير ، وكذلك الطبري ، والبقاعي في كتابه « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » .

(٣٧) بهجة العابدين ق : ٣٥/أ، وهناك نسخة أخرى مخطوطة محفوظة في مكتبة الأسد الوطنية رقم ٥٨٩٦ ضمن مجموع ، وقارن مع حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ ـ ٣٤٠ .

ARCHIVE http://Archive...

القرآن وتعلقاته :

١ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور (اثنا عشر مجلداً كباراً) .

٢ ـ التفسير المسند ويسمى (ترجمان القرآن) خمس مجلدات .

٣ ـ الإتقان في علوم القرآن (مجلد ضخم) .

٤ ـ الإكليل في استنباط التنزيل .

٥ ـ لباب النقول في أسباب النزول .

٦ ـ الناسخ والمنسوخ في القرآن .

٧ ـ مفحمات الأقران .

٨ ـ أسرار التنزيل يسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار) كتب منه إلى آخر سورة براءة ، في مجلد ضخم .

٩ ـ تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلي ، وذلك من أول القرآن إلى آخر سورة الإسراء (مجلد لطيف ممزوج) .

١٠ ـ تناسق الدرر في تناسب السور .

١١ ـ حاشية على تفسير البيضاوي تسمى (نواهد الأبكار وشوارد الأفكار) أربع مجلدات .

١٢ ـ التحبير في علوم التفسير (جزء لطيف) .

١٣ ـ معترك الأقران في مشترك القرآن .

١٤ ـ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب .

١٥ ـ خمائل الزهر في فضائل السور .

١٦ ـ ميزان المعدلة في شأن البسملة .

١٧ ـ شرح الاستعاذة والبسملة .

١٨ ـ مراصد المطالع في تناسب المطالع والمقاطع .

١٩ ـ الأزهار الفائحة على الفاتحة .

٢٠ – فتح الجليل للعبد الذليل في قوله تعالى ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ الآية ، استنبط منها مائة وعشرين نوعاً من أنواع البديع .

٢١ – اليد البسطى في تعيين الصلاة الوسطى .

٢٢ – المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة ، يتعلق بقوله تعالى ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ .

٢٣ – دفع التعسف عن إخوة يوسف .

٢٤ – إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة .

٢٥ – الحبل الوثيق في نصرة الصديق ، يتعلق بقوله تعالى ﴿ وسيجنبها الأتقى ﴾ .

٢٦ – الفوائد البارزة والكامنة في النعم الظاهرة والباطنة ، يتعلق بقوله تعالى ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ .

٢٧ – المحرر في قوله تعالى ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ .

٢٨ – مفاتيح الغيب ، كتب منه من ﴿ سبح ﴾ إلى آخر القرآن في مجلد .

٢٩ – ميدان الفرسان في شواهد القرآن (كتب منه يسير) .

٣٠ – مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن (وهو مختصر مجاز القرآن للشيخ عز الدين بن عبد السلام ، كتب منه يسير) .

٣١ – [ألفية في القراءات العشر][٣٨] .

٣٢ – شرح الشاطبية (ممزوج) .

---

(٣٨) من نسخة دار الكتب الوطنية بدمشق العامرة .

٣٣ ـ الدر النثير في قراءة ابن كثير .

٣٤ ـ منتقى من تفسير الفريابي .

٣٥ ـ منتقى من تفسير عبد الرزاق .

٣٦ ـ منتقى من تفسير ابن أبي حاتم (مجلد) .

٣٧ ـ القول الفصيح في تعيين الذبيح .

٣٨ ـ الكلام على أول سورة الفتح ، وهو تصدير المتوكلي .

انتهى ما ذكر من مؤلفات الإمام السيوطي في المخطوط . ويمكنني أن أضيف على ما ذكر السيوطي في فهرست مؤلفاته من كتابه « حسن المحاضرة » كتاب :

٣٩ ـ مجمع البحرين ومطلع البدرين (الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية) الذي جعل « الإتقان » مقدمة له .

٤٠ ـ المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات الحبشية والفارسية والرومية والهندية إلخ .. وقد ذكره بروكلمان(٣٩) .

٤١ ـ وله رسالة في أصول التفسير جردت من كتابه « النقاية »(٤٠) .

وبالنظر في عناوين كتب الإمام السيوطي في علوم القرآن أو حتى في غيرها من الفنون نراه كثيرا ما يهدف من تآليفه إلى تكوين مدرسة ثقافية متكاملة للفنون العلمية التي يتناولها بالبحث ، وهذه الحقيقة ظاهرة في مؤلفاته الكثيرة ، فكل مجموعة منها تمثل فناً متكاملاً بحث فيه كل ما يندرج تحت ذلك الفن من المسائل الجزئية والكلية . وقد رأينا ذلك واضحاً من

(٣٩) تاريخ الأدب العربي : G. II. 181

(٤٠) طبعت مع عدة رسائل في دمشق سنة ١٣٣١هـ ، بعناية الشيخ جمال الدين القاسمي .

خلال سرد كتبه في علوم القرآن ، فكل واحد منها يشكل حلقة مكملة لغيرها ، وتشكل في مجموعها فناً شاملاً وكاملاً لكل ما يتعلق بعلوم القرآن من فنون . وقد نبه السيوطي نفسه إلى هذه الحقيقة في مقدمة كتابه « قطف الأزهار » التي تعد مقدمته خير مثال يوضح جهوده في هذا النص ، وكيف أن كتبه يكمل بعضها بعضاً ، فقد جاء فيها قوله[٤١] :

« وبعد فإن الله سبحانه وله الحمد قد منّ علي بالنظر في علوم القرآن وحقائقه ، وتتبع أسراره ووقائعه حتى صنفت في تعلقاته كتباً شتى منها التفسير الملقب « ترجمان القرآن » وهو الوارد بالإسناد المتصل عن رسول الله ﷺ وأصحابه الذين شاهدوه وتلقوا منه الوحي والتنزيل ، وسمعوا منه التفسير والتأويل ، ولما كان هذا التفسير المشار إليه نقلاً محضاً ليس فيه إعراب ولا سرّ بياني أردفته بكتب ، من ذلك كتاب « الإتقان في علوم القرآن » وهو كالمقدمة لمن يريد التفسير وأكثر قواعده كلية ... ، ثم وضعت في الأحكام كتاب « الإكليل في استنباط التنزيل » وهو مجلد لطيف يشتمل على جميع ما ذكره المصنفون في أحكام القرآن ... ، ثم أفردت كتاباً في أسباب النزول سميته « لباب النقول » بالغت في إيجازه وتحريره بحيث فاق الكتب المؤلفة في نوعه ، ثم أفردت كتاباً وجيزاً في المبهمات لم يؤلف في نوعه أجمع ولا أوجز (يعني بذلك كتاب « مفحمات الأقران في مبهمات

---

(٤١) لم أستطع الحصول على هذا الكتاب ، وقد رجع اليه الدكتور محمد سلمان في كتابه « السيوطي النحوي » ونقلت منه مقدمة السيوطي ص : ١٢٩ — ١٣٠ ، والمخطوط موجود في المكتبة السليمانية باستنبول تحت رقم (٤١) مراد بخاري ، وقد أشار السيوطي الى هذا الكتاب وبيّن محتوياته في مقدمة كتابه « تناسق الدرر في تناسب السور » ، تحقيق عبد الله الدرويش (ط دار الكتاب العربي سورية ١٩٨٣) ص : ٢٥ — ٢٦ .

القرآن ») ... ، ثم أفردت كرّاسة في ما وقع فيه (أي القرآن) من الألفاظ المعربة سميتها « المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب » ... ، ثم كرّاسة سميتها « معترك الأقران في مشترك القرآن » فائقة معناها ، ثم مختصراً يسمى « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » وهذا لم يتم بعد ، ثم كتاباً يسمى « خمائل الزهر في فضائل السور » ، وهذا كتاب (يعني كتاب قطف الأزهار) شفعت به تلك ، ونظمته معها في سلك أسرار التنزيل ، أذكر فيه جميع ما وصل إلى علمي من كلام العلماء في النظم القرآني ... ، فإذا تم هذا الكتاب وانضم إلى تلك الكتب استغنى بها محصلوها عن جميع التفاسير » .

إلا أن هذا الكتاب لم يتم ، فقد ذكر السيوطي في فهرست مؤلفاته أنه كتب فيه إلى آخر سورة براءة ، وهو مجلد ضخم(٤٢) .

وبالنظر في كتب الإمام السيوطي نجد أن معظمها عبارة عن رسائل صغيرة ، وقد تداخلت أحياناً بعضها في بعض ، فمثلاً كتاب « مفحمات الأقران في مبهمات القرآن »(٤٣) نجده كله أو خلاصته في كتاب « معترك الأقران »(٤٤) ثم نجد كتاب « معترك الأقران » جزءاً من كتاب « الإتقان »(٤٥) .

(٤٢) فهرست مؤلفات السيوطي ق : ٣٥/أ ، انظر كشف الظنون : ١٣٥٢/٢ .

(٤٣) طبع عدة مرات ، فقد قام الأستاذ الدكتور مصطفى البغا بضبطه والتعليق عليه ، وطبع في مؤسسة علوم القرآن بدمشق ،الطبعة الثانية ١٩٨٣م ، وقام الأخ إياد خالد الطباع بتحقيقه وطبعه في مؤسسة الرسالة عام ١٩٨٦م .

(٤٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين ، طبع في دار الكتب العلمية ١٩٨٨م ، وكان قد سبقه إلى تحقيقه علي البجاوي ، وطبع في مصر .

(٤٥) الإتقان في علوم القرآن ، طبع عدة مرات أيضاً بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع في بيروت ١٩٧٨م ، وكذلك قام الدكتور مصطفى البغا بالتعليق على هذا

و« تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور » ملخص من كتابه « أسرار التنزيل » وذكر ذلك في النوع الثاني والستين في مناسبة الآيات والسور من « الإتقان »[٤٦] ، وكذلك الأمر ينطبق على كتابيه « المهذب فيما وقع القرآن من المعرب »[٤٧] و« المتوكلي »[٤٨] فعندما طلب منه الخليفة العباسي « المتوكل على الله » أن يؤلف له كتاباً في الألفاظ التي وقعت في القرآن الكريم وذكر أنها بلغة الحبشة أو الفرس أو غيرهم مما سوى العرب ، أجابه إلى طلبه وقام بإعادة ترتيب كتاب « المهذب » من حروف المعجم إلى ترتيب يقوم على أساس اللغات الحبشية ثم الفارسية ثم الرومية .. الخ ، وسماه « المتوكلي » باسم الخليفة ، وقد ورد جلّ ما في هذين الكتابين في كتابه « التحبير في علوم التفسير »[٤٩] النوع الأربعون (المعرب) وخلاصة هذه

ARCHIVE

= الكتاب ، وطبع في دار ابن كثير عام ١٩٨٧م في مجلدين ، وقارن كتاب « مفحمات الأقران » بـ « الوجه الثالث والثلاثين » من وجوه إعجاز القرآن .. في كتاب معترك الأقران : ٣٦٦/١ – ٣٨٤ « والنوع السبعون في المبهمات » من كتاب الإتقان : ١٠٨٩/٢ – ١١١٠ .

(٤٦) انظر الإتقان في علوم القرآن : ٩٧٦/٢ ، وقارن مع كتاب « تناسق الدرر .. » .

(٤٧) قام الدكتور التهامي الراجي الهاشمي بتحقيقه ، وطبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة الإمارات العربية المتحدة في مطبعة فضالة بالمغرب .

(٤٨) طبع في دار البلاغة ، بيروت ١٩٨٨م بتحقيق الدكتور عبد الكريم الزبيدي .

(٤٩) التحبير في علم التفسير وهو أقدم من كتاب « الإتقان » ويحتوي على مائة واثنين من أنواع علوم القرآن ، وموضوعات الكتابين متقاربة ، وقام الدكتور فتحي عبد القادر فريد بتحقيقه وطبعه في دار العلوم في الرياض ١٩٨٢م ، وسبق أن نشره في لاهور ، باكستان .

الكتب الثلاثة تجدها في الإتقان : النوع الثامن والثلاثون (فيا وقع فيه – أي القرآن – بغير لغة العرب) وذكر فيه أنه أفرد في هذا النوع كتاباً سماه « المهذب فيا وقع في القرآن من المعرب » .

ومن هنا يمكننا القول : إن كتاب « الإتقان » يحوي أكثر ماكتبه السيوطي عن القرآن في كتبه الأخرى فكأنه ، كتبها رسائل من مباحث مختلفة ترتبط بالقرآن من أسباب التنزيل إلى المتشابه فالمبهمات وتناسب السور والمعرب ... الخ ، ثم جمعها كلها في « الإتقان في علوم القرآن » الذي جعل اسمه أميل إلى الشمول ليضم مختلف البحوث الأخرى التي اتجه كل منها إلى مبحث خاص .

وانطلاقاً من هذا المبدأ فسأقتصر في بحثي عن علوم للقرآن عند الإمام السيوطي على كتاب يعدُّ من أعظم ما ألف السيوطي وهو :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإتقان في علوم القرآن

بين لنا الإمام السيوطي في مقدمة كتاب الإتقان – كعادته في كل مؤلفاته – منهجه في هذا الكتاب وأهمية كتابه والمصادر التي رجع إليها والزيادات الضرورية التي ارتآها والتي لم يسبق إليها فقال : « ولقد كنت في زمن الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتاباً في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ، فسمعت شيخنا أستاذ الأستاذين ، وإنسان عين الناظرين ، خلاصة الوجود ، علاّمة الزمان ، فخر العصر وعين الأوان ، أبا عبد الله محيي الدين الكافيجي[٥٠] – مدّ الله في أجله ،

(٥٠) هو محمد بن سليمان بن سعد الدين بن مسعود محيي الدين الكافيجي ، أبو عبد الله سمي بالكافيجي لكثرة قراءته « الكافية » لابن الحاجب ، ولد قبل لثمانمائة تقريبا ،

وأسبغ عليه ظله – يقول : قد دونت في علوم التفسير كتاباً لم أسبق إليه ، فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جداً ، وحاصل ما فيه بابان :

الأول : في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية .

والثاني : في شروط القول فيه بالرأي .

وبعدهما خاتمة في آداب العالم والمتعلم(*) .

فلم يشف لي ذلك غليلاً ، ولم يهدني إلى المقصود سبيلاً ، ثم أوقفني شيخنا شيخ مشايخ الإسلام قاضي القضاة وخلاصة الأنام حامل لواء المذهب المطلبي علم الدين البلقيني(٥١) رحمه الله تعالى ، على كتاب لأخيه قاضي القضاة جلال الدين سماه « مواقع العلوم من مواقع النجوم » فرأيته تأليفاً لطيفاً ، ومجموعاً ظريفاً ، ذا ترتيب وتقرير ، وتنويع وتحبير ... وذكر فيه ستة أمور تحتوي على خمسين نوعاً من أنواع علوم القرآن ، ثم تكلم في كل نوع منها بكلام مختصر يحتاج إلى تحرير وتتمات وزوائد مهمات ، فصنفت في ذلك كتاباً سميته « التحبير في علوم التفسير » ضمنته ما ذكر البلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها ، وأضفت إليه فوائد سمحت القريحة بنقلها » .

= وتوفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة . انظر ترجمته في حسن المحاضرة : ١/٥٤٩ – ٥٥٠ ، بغية الوعاة : ١/١١٧ – ١١٩ ، الضوء اللامع : ٧/٢٥٩ ، المنجم في المعجم : ق : ٢٦/أ ، مخطوط محفوظ بمكتبة الشيخ عارف حكمت رقم : ٩٠٠/٢٣١ .

(*) هذا الكتاب اسمه التيسير في قواعد علم التفسير ، طبع بتحقيق ناصر بن محمد المطرودي (في دمشق ، دار القلم ، ١٩٩٠م) .

(٥١) هو شيخه قاضي القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين ، حامل لواء المذهب الشافعي في عصره ، ولد سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وقد أخر السيوطي ترجمته بالتأليف ، وتوفي سنة ثمان وستين وثمانمائة . انظر حسن المحاضرة : ١/٤٤٤ – ٤٤٥ ، شذرات الذهب : ٧/٣٠٦ .

وقال في مقدمته بأن علوم القرآن كفنّ بقيت مهملة إلى أن عمل البلقيني كتابه « مواقع العلوم » فنقحه وهذبه وقسم أنواعه ورتبه ، ولم يسبق إلى هذه المرتبة ، ولكن كل مبتكر أمراً لابد أن يكون صغيراً ثم يكبر ، وقليلاً ثم يكثر ، كما قال أبو السعادات ابن الأثير في مقدمة نهايته : « كل مبتدئ لشيء لم يسبق إليه ، ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر(٥٢) » .

فظهر لشيخنا السيوطي استخراج أنواع لم يسبق إليها ، وزيادة مهمات لم يستوف الكلام عليها فجرد الهمة إلى وضع كتاب في هذا العلم وجمع به شوارده ، وضم إليه فوائده حتى إذا تمّ وكمل سماه « التحبير في علم التفسير » وقسمه إلى مائة ونوعين ، وذكرها ، وتم هذ الكتاب كما يقول في سنة اثنتين وسبعين [وثمانمائة] .

ARCHIVE

ويتابع السيوطي مقدمته على الإتقان فيقول :

« ثم خطر لي بعد ذلك أن أؤلف كتاباً مبسوطاً ، ومجموعاً مضبوطاً ، أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء ، هذا كله وأنا أظن أني متفرد بذلك غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك ، فبينا أنا أجيل في ذلك فكراً ، أقدم رجلا وأؤخر أخرى إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، أحد متأخري أصحابنا الشافعيين ، ألف كتاباً في ذلك حافلاً يسمى « البرهان في علوم القرآن » . فتطلبه ووقف عليه فازداد به سروراً وحمد الله كثيراً وقوى عزمه على إبراز ما أضمره وشدد الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصده ، فوضع كتابه

(٥٢) النهاية في غريب الحديث والأثر : ٥/١ . لابن الأثير ، تحقيق طاهر أحمد = الزاوي ومحمود محمد الطناحي (نشر المكتبة الإسلامية) : ٥/١ .

« الإتقان » ورتب أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب « البرهان » كما يقول : « وأدمجت بعض الأنواع في بعض ، وفصلت ما حقه أن يبان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد ، والقواعد والشوارد ، ما يشنف الآذان وسميته « الإتقان في علوم القرآن » وقسمته إلى ثمانين نوعاً كل نوع منه يصلح أن يكون بالتصنيف مفرداً » .

والإمام السيوطي قد ذكر في مقدمته أن كتابه « الإتقان » جعله مقدمة للتفسير الكبير الذي شرع فيه وسماه « مجمع البحرين ومطلع البدرين ، الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية » . من خلال هذه المقدمة التي بين فيها السيوطي رحلته مع هذا الكتاب نخلص إلى ما يلي :

١ ـ إن الدافع له على تأليف هذا الكتاب هو ندرة الكتب المؤلفة في هذا العلم وعدم شمولها ، وأنه لم يشف غليله ما كتبه شيخه الكافيجي ، وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ قبل أن يؤلف « الإتقان » ألف كتاب « التحبير في علوم التفسير » ضمنه ما وقف عليه من كتب من سبقه وأضاف إليه ما أفاضت عليه قريحته من نقول .

٣ ـ وأنه لما عزم على تأليفه « الإتقان » سمع بـ « البرهان » للزركشي فلما وقف عليه سرّ به وأضاف إليه وأدمج ما يحتاج إلى إدماج وفصل ما يحتاج إلى فصل .

٤ ـ جعل كتاب « الإتقان » مقدمة لتفسير كبير له سماه « مجمع البحرين » .

هذا وقد لخص حاجي خليفة مقدمة السيوطي فقال : « الإتقان في علوم القرآن ـ مجلد أوله الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ... الخ ،

للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى ٩١١هـ، وهو أشبه آثاره وأفيدها، ذكر فيه تصنيف شيخه الكافيجي واستصغره، و« مواقع العلوم » للبلقيني واستقله، ثم أنه وجد « البرهان » للزركشي كتاباً جامعاً بعد تصنيفه « التحبير » فاستأنف وزاد عليه إلى ثمانين نوعاً وجعله مقدمة لتفسيره الكبير الذي شرع فيه وسماه « مجمع البحرين » قال: « وفي غالب الأنواع تصانيف مفردة »[٥٣].

وفي ختام مقدمة « الإتقان » ذكر الإمام السيوطي ما وقف عليه من تصانيف وهو معتد بنفسه وبكتبه كثيراً فيصف كتبه بالضخامة والفخامة وكتب غيره بالقلة والضآلة فيقول: « ومن المصنفات في مثل هذا النمط ـ أي الإتقان ـ وليس في الحقيقة مثله ولا قريباً منه، وإنما هي طائفة يسيرة ونبذ قصيرة مثل:

« فنون الأفنان في علوم القرآن » لابن الجوزي.

« وجمال القراء » للشيخ علم الدين السخاوي.

« والمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز » لأبي شامة.

« والبرهان في مشكلات القرآن » لأبي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذله.

وكلها بالنسبة إلى نوع من هذا الكتاب كحبة رمل عالج[٥٤]، ونقطة قطر في حيال بحر زاخر.

ويمتاز السيوطي في ذكر مراجعه بتصنيفها، فهو لا يذكرها كلها جملة واحدة، وإنما يصنفها طبقاً لموضوعاتها، وقد صنف مراجعه في

(٥٣) كشف الظنون: ٨/١.

(٥٤) عالج: موضع في جزيرة العرب به رمال.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« الإتقان » إلى نقلية ، فبلغ عددها (١٩) كتاباً ، ويذكر أنه رجع إلى جوامع الحديث والمسانيد ما لا يحصى ، وإلى كتب القراءات وتعلقات الأداء ، فبلغت (١٣) كتاباً ، وإلى كتب اللغات والغريب والعربية والإعراب فبلغت (٢٤) كتابا ، وإلى كتب الأحكام وتعلقاتها فبلغت (١٦) ، وإلى الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة فكانت (٥١) كتاباً ، وإلى كتب الرسم (٣) ، وإلى الكتب الجامعية (٧) ، وإلى تفاسير غير المحدثين فبلغت (٢١) تفسيراً ، فيكون مجموع ما ذكره ونص عليه (١٥٤) كتاباً عدا ما أغفله من كتب الحديث وغيرها .

وقد ساعده في الحصول على هذه الكتب تردده إلى المكتبة المحمودية ، وألف السيوطي فيها رسالة سماها « بذل المجهود في خزانة محمود »(٥٥) ، وكان أحد شيوخه وهو محمد بن سعد السيرامي خازناً لكتب الشيخونية والذي قال عنه السيوطي عندما ترجم له في كتابه « نظم العقيان » : « كان عالماً بالفنون مشهوراً بالصلاح، متصدياً لنفع الطلبة »(٥٦)

أما منهج السيوطي في كتابه « الإتقان » فإنه يتمثل في تسمية النوع الذي يتحدث عنه وذكر أهم الكتب التي تناولته ، ثم شرح وتوضيح هذا النوع ، وبيان أهميته في تدبر القرآن الكريم وتفهم معانيه والاستشهاد على كل ما يقوله بالقرآن الكريم وكلام الرسول ﷺ وأقوال العلماء وإبداء رأيه في

---

(٥٥) وقد نشرها فؤاد سيد في مجلة معهد المخطوطات العربية (مصر) المجلد الأول ، الجزء الرابع ، مايو ١٩٥٨م ، ص : ١٢٨ .

(٥٦) نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي تحقيق د. فيليب حتي (ط ، نيويورك ١٩٢٧م) ص : ١٤٩ .

(٧٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق د. يوسف المرعشلي وغيره : ٤٨٠/٢ .

كثير من الأحيان ، فعلى سبيل المثال لو رجعنا إلى النوع التاسع في « الإتقان »(٥٧) وهو معرفة سبب النزول نجده يقول : « أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم علي بن المديني شيخ البخاري ، ومن أشهرها كتاب الواحدي على ما فيه من إعواز ، وقد اختصره الجعبري فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً » .

وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر كتاباً مات عنه مسوّدة ، فلم نقف عليه كاملاً . وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته « لباب النقول في أسباب النزول »(٥٨) .

قال الجعبري : « نزل القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال ، وفي هذا النوع مسائل » . وذكر خمس مسائل .

وهو أثناء ذكره ذلك يستشهد بأقوال الأئمة فيقول : قال ابن دقيق العيد ... وقال ابن تيمية ... قال الشافعي ... قال إمام الحرمين ... قال الزمخشري ... قال ابن جرير ... قال الحاكم في علوم الحديث ... وقال الزركشي في « البرهان » ... وقال ابن حجر في شرح البخاري ...

وهو لا يكتفي بنقل الأقوال فقط بل نجده يناقش العلماء في أقوالهم ويرد عليهم ويصحح رأي الآخرين ويوهم غيرهم فمثلاً في المسألة الثانية يقول : اختلف أهل الأصول : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب ، يقول : والأصح عندنا الأول ... ثم يقول « قلت : ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ : احتجاج الصحابة وغيرهم في وقائع بعموم آيات

(٥٧) الإتقان : ٩٢/١ .

(٥٨) طبع عدة مرات مستقلاً ، وعلى هامش تفسير الجلالين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نزلت على أسباب خاصة ، شائعاً ذائعاً بينهم »[٥٩] .

ثم يقول : « فإن قلت فهذا ابن عباس ، لم يعتبر عموم ﴿لا تحسبن الذين يفرحون ... ﴾ قلت : أجيب عن ذلك بأنه لا يخفى عليه أن اللفظ أعم من السبب » .

وهو ينبه إلى أن الآية إذا نزلت في معين ولا عموم للفظها ، فإنها تقصر عليه قطعاً ويغلط من ذهب إلى غير ذلك[٦٠] .

وهو بعد ذكره أقوال العلماء في مسألة ما يخرج بنتيجة تلك الأقوال فعلى سبيل المثال يقول في المسألة الرابعة : « قال الواحدي :لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب ... » ، وبعد ذكره أقوال العلماء في هذه المسألة يقول : « قلت : والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة » .

وفي آخر هذا النوع ينبّه فيقول : « تأمل ما ذكرته لك في هذه المسألة ، واشدد به يديك ، فإني حررته واستخرجته بفكري من استقراء صنيع الأئمة ومتفرقات كلامهم ، ولم أسبق إليه »[٦١] .

وإذا انتقلنا إلى النوع الثاني والستين في مناسبة الآيات والسور نجده يطبق منهجه بذكر من أفرد ذلك النوع بالتصنيف ، ويذكر أقوال العلماء فيه ، ويعرف المناسبة ، ويذكر فائدته وأسبابه ... الخ .

فيقول : أفرده بالتأليف العلاّمة أبو جعفر بن الزبير – شيخ أبي

(٥٩) الإتقان : ٩٦/١ .
(٦٠) الإتقان : ٩٨/١ .
(٦١) الإتقان : ١٠٩/١ .

حيّان – في كتاب سماه « البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن » . ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه « نظم الدرر في تناسب الآي والسور » . وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات ، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة . وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته « تناسق الدرر في تناسب السور »(٦٢) .

ثم ذكر أهميته وأقوال العلماء فيه فمثلاً يقول : قال الإمام فخر الدين في تفسيره ، وقال ابن العربي ، وقال غيره ، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وقال الشيخ وليّ الدين الملوي ، ... ثم عرّف المناسبة فقال : « فضل المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما ... » ثم قال : « وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ... » ثم شرح ذلك بقوله : « ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلام بعضه ببعض ، وإما ألا يظهر الارتباط ... » وبدأ بذكر الحالات في العطف بين الآيات وعدم العطف وأسباب ذلك ، وأردف ذلك بفصل في مناسبات فواتح السور وخواتمها ، وقد أفرده السيوطي بالتأليف وسماه « مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع »(٦٣) .

ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها ويأتي بالأمثلة على ذلك .

---

(٦٢) الإتقان : ٩٧٦/٢ .

(٦٣) يوجد منه عدة نسخ في المكتبة الأحمدية بتونس رقم ٨٧٢/١٥٨٥ ، وفي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم ٦٥/١٠٦١٧ ميكرو فيلم ، ويوجد نسخة أخرى في جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وهي مصورة عندي .

وهكذا يسير في كتابه كله متنقلاً من نوع إلى نوع ، وطبقاً لما ذكرته لك سابقاً[٦٤] . والسيوطي رحمه الله تعالى شديد الإعجاب بكتبه والحق معه فقد بذل في كتابه هذا جهده ، وجمع ما لم يتسن لغيره جمعه من المصادر والكتب وقد حفظت لنا كتبه الكثير من الكتب التي تعتبر في هذه الأيام في حكم المفقود ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء .

ففي آخر « الإتقان » يقول : « وقد منّ الله تعالى بإتمام هذا الكتاب البديع المثال ، المنيع المنال ، الفائق بحسن نظامه على عقود اللآل ، الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع في كتاب قبله في العصور الخوال ، أسست فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل ، وبينت فيه مصاعد يرتقي فيها للإشراف على مقاصده ويتوصل ، وأركزت فيه مراصد تفتح من كنوزه كل باب مقفل ، فيه لباب العقول ، وعباب المنقول ، وصواب كل قول مقبول ، مخضتُ فيه كتب العلم على تنوعها ، وأخذت زبدها ودرها ، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها ، واقتطفت ثمرها وزهرها ، وغصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرها ودررها ، وبقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها ، وسبكت فقرها ، فلهذا تحصل فيه من البدائع ما تبتّ عنده الأعناق بتاً ، وتجمع في كل نوع منه ما تفرق في مؤلفات شتى ... الخ »[٦٥] .

ولذلك فهو في آخر خطته على « الإتقان » يقول بعد سرده أنواعه : « فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج ، ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في

(٦٤) ينظر للتوسع في ذلك النوع الثالث والخمسون : التشبيه والاستعارة ، والناسخ والمنسوخ ٢/٧٠٠ ، ولو نظرت في كل أنواع الإتقان لرأيت منهجه واحداً .

(٦٥) الإتقان : ٢/١٢٠٠ ، تعليق د. بغا .

ضمنها لزادت على الثلاثمائة وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة ... »[٦٦] .

وقبل أن أختم هذا الفصل عن منهج الإمام السيوطي في « الإتقان » لابد من الإشارة إلى كتاب « البرهان في علوم القرآن » للزركشي[٦٧] وبيان مدى تأثر الإمام السيوطي به .

المقارنة بين الإتقان والبرهان

ذكر السيوطي في مقدمة كتابه « الإتقان » أنه اطلع على « البرهان » قبل الشروع في تأليف كتابه هذا فقال : « هذا كله وأنا أظن أني متفرد بذلك ، غير مسبوق بالخوض في هذه المسالك ، فبينا أنا أجيل في ذلك فكراً ، أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، إذ بلغني أن الشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي أحد متأخري أصحابنا الشافعيين ألف كتاباً في ذلك حافلاً يسمى « البرهان في علوم القرآن » فتطلبته حتى وقفت عليه »[٦٨] . وذكر أنه فرح بهذا الكتاب وازداد سروراً به ، ولكنه لم يثن عزمه عن وضع كتابه « الإتقان » بعد اطلاعه على « البرهان » ، فهل وجده ناقصاً أم أنه كان يخطط لوضع كتاب أكثر بسطاً وتفصيلاً ،

(٦٦) الإتقان : ٢٠/١ .

(٦٧) هو الإمام بدر الدين محمد بن الله بن بهادر ، أبو عبد الله المنهاجي الزّركشي التركي الأصل المصري الشافعي ، أحد علماء القرن الثامن الهجري (٧٤٥ ـ ٧٩٤هـ) والزركشي على وزن جعفري ، نسبة لصناعة الزركش ، ولقب بذلك لأنه كان يشتغل بنسج الحرير قبل طلبه العلم . انظر مقدمة الدكتور يوسف المرعشلي على كتاب البرهان (ط دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٠م) : ١١/١ ـ ١٢ ، وقد سبق أن طبع في أربعة أجزاء بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٦٨) الإتقان : ١٤/١ .

يستقصي فيه كل ما وصل إليه من علوم كما قال : « خطر لي ان أؤلف كتاباً مبسوطاً ومجموعاً مضبوطاً ، أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشي فيه على منهاج الاستقصاء »(٦٩) ، فلم يجد ضالته في كتاب « البرهان » لما تميز به من عقلية موسوعية ، يقول السيوطي : « ولما وقفت على هذا الكتاب – أي البرهان – ازددت به سروراً ، وحمدت الله كثيراً ، وقوي العزم على إبراز ما أضمرته ، وشددت الحزم في إنشاء التصنيف الذي قصدته ، فوضعت هذا الكتاب العلي الشأن ، الجلي البرهان ، الكثير الفوائد والإتقان »(٧٠) .

وقد ذكرت لك منهجه فيه وهو يذكر أنه خالف فيه ترتيب الزركشي فيقول : ورتبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب « البرهان » وأدمجتُ بعض الأنواع في بعض ، وفصلت ما حقه أن يبان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد والقواعد والشوارد ما يشنف الآذان ، وسميته بـ « الإتقان في علوم القرآن »(٧١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلغت الأنواع عند السيوطي ثمانين نوعاً ، بينما هي عند الزركشي سبعة وأربعون نوعاً ، فيكون بذلك قد أضاف ثلاثة وثلاثين نوعاً على ما في « البرهان » ، وهو عدد كبير يقارب ثلثي أنواع « البرهان » .

وهذه الزيادة منها ما هو توسعة لنوع واحد عند الزركشي ، كالنوع العاشر في « البرهان » وهو معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل ، جعله السيوطي نوعين هما السابع : أول ما نزل ، والثامن : آخر ما نزل ، وكالنوع الحادي والأربعين في « البرهان » وهو تفسير القرآن ، جعله السيوطي خمسة أنواع هي : السابع

(٦٩) الإتقان : ١٣/١ .
(٧٠) الإتقان : ١٣/١ .
(٧١) الإتقان : ١٦/١ – ١٧ .

والسبعون : في معرفة شروط المفسر وآدابه ، والتاسع والسبعون : في غرائب التفسير ، والثمانون : في طبقات المفسرين ، وكان قد جعل النوع الثاني والأربعين : في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها ، وخير ما يمثل هذا ما ذكره الزركشي في النوع السادس والأربعين : في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن وفنونه البليغة ، وقد قال عنه : « وهو المقصود الأعظم من هذا الكتاب ، وهو بيت القصيد »[٧٢] ، وقد بلغ عدد صفحاته (٧١٠)[٧٣] ، بينما ذكر السيوطي ذلك في عدة أنواع ، في « النوع التاسع والعشرون » : بيان الموصول لفظاً المفصول معنًى ، والرابع والأربعون : في مقدمه ومؤخره ، والسادس والأربعون : في مجمله ومبينه ، والتاسع والأربعون : في مطلقه ومقيده ، والثالث والخمسون : في تشبيهه واستعاراته ، والسادس والخمسون : في الإيجاز والإطناب . والثامن والخمسون : في بدائع القرآن ، وهكذا .

ومنها ما هو جديد لم يذكره الزركشي في « البرهان » كالنوع الثاني : الحضري والسفري ، والثالث : النهاري والليلي ، والرابع : الصيفي والشتائي ، والخامس : الفراشي والنومي الخ . بينما لم أجد ما تفرد به الزركشي إلا نوعاً واحداً وهو النوع الأربعون : « معاضدة السنة للكتاب » . أما ما ذهب اليه بعض الباحثين[٧٤] من أن الزركشي انفرد في

(٧٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تحقيق د. يوسف المرعشلي وغيره : ٤٨٠/٢ .

(٧٣) وقد بلغت في النسخة المصرية بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (٧٨١) صفحة .

(٧٤) انظر مقدمة الدكتور يوسف المرعشلي على كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي : ٨٢/١ (ط دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٠م) .

خمسة عشر نوعاً فغير صحيح ، وذلك لأن السيوطي ذكر هذه الأنواع في سياق أنواع أخرى ، ولم يفرد لها عنواناً كالزركشي ، فمثلاً النوع التاسع عشر : معرفة التصريف ، ذكر السيوطي مضمونه في ثلاثة أنواع هي الحادي والثلاثون : في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب ، والثاني والثلاثون : في المد والقصر والنوع الثالث والثلاثون : في تخفيف الهمز .

وكذلك الأمر في « النوع الحادي والعشرون » : بلاغة القرآن « معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح ، ذكر السيوطي مضمون هذا النوع في ثلاثة أنواع أيضاً هي : الثالث والخمسون في تشبيهه واستعارته ، والسادس والخمسون : في الإيجاز والإطناب ، والثامن والخمسون في بديع القرآن ، ولم يذكر السيوطي نوعاً في بلاغة القرآن ، وهذا لا يعني أن الزركشي قد تفرّد بهذا النوع وأن السيوطي قد أغفله ولم يأت على ذكره وإن لم يفرد له عنواناً مستقلاً .

ومما ذكره السيوطي أيضاً في مقدمته من وجوه المقاربة بينه وبين « البرهان » : « إدماج بعض الأنواع في بعض » .

فمن أمثلة إدماجه بعض الأنواع في بعض إدماجه النوع الحادي عشر : معرفة على كم لغة نزل ، والنوع الثاني عشر : في كيفية إنزاله ، جعلهما السيوطي نوعاً واحداً وهو السادس عشر : في كيفية إنزاله ، وذكر من جملة مسائله « الأحرف السبعة » وتوسع بها أكثر من الزركشي الذي جعلها تحت عنوان مستقل في النوع الحادي عشر .

وكذلك الأمر في النوع الثالث والعشرين في « البرهان » : معرفة توجيه القراءات ، نجد السيوطي لم يفرد له نوعاً ، وإنما نبه على هذا الأمر في نهاية النوع السابع والعشرين في التنبيه السادس : « من المهم معرفة توجيه

القراءات ... » الخ .

وكذلك في النوع الثلاثين حيث ذكر الزركشي فيه : « هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن » ، ذكر السيوطي ذلك أيضاً في آخر النوع الخامس والثلاثين وهو في آداب تلاوته وتاليه حيث قال : « فصل في الاقتباس وما جرى مجراه » . ومن الأمور التي ذكرها السيوطي في معرض المقارنة بينه وبين « البرهان » أنه فصّل ما حقه أن يبان ، وزاد على ما فيه من الفوائد والفرائد والقواعد والشوارد ... » .

فمن أمثلة ذلك أنه جعل غريب القرآن في (٦٣) صفحة بينما هو عند الزركشي في (٦) صفحات ، وهذه الزيادة ناشئة عن تضمينه أقوال العلماء في هذا النوع وما ساقه مما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة في غريب القرآن والمسائل التي وقعت بين ابن عباس ونافع بن الأزرق ، وقد ذكرها كاملة لتستفاد .

وكذلك الشأن في النوع السبعين : مبهمات القرآن ، فقد جعله في إحدى عشرة صفحة بينما هو عند الزركشي في ثمان صفحات فقط ، ومنشأ هذه الزيادة أنه اختصر هنا كتابه مفحمات الأقران في مبهمات القرآن »[٧٥] .

هذا وقد انفرد الزركشي بنوع واحد هو الأربعون : في بيان معاضدة السنة القرآن ، فلم أجد السيوطي قد تعرض له في إتقانه .
أما السيوطي فقد زاد على الزركشي أنواعاً كثيرة سأذكرها ضمن الجدول التالي :

(٧٥) انظر الإتقان : ١٠٩١/٢ – ١١١٠ .

جدول يبين ما انفرد به السيوطي أو زاد على الزركشي

رقم النوع	موضوعه
٢	الحضري والسفري
٣	النهاري والليلي
٤	الصيفي والشتائي
٥	الفراشي والنومي
٦	الأرضي والسمائي
١٠	ما نزل على لسان بعض الصحابة
١١	ما تكرر نزوله
١٢	ما تأخر حكمه عن نزوله ، وما تأخر نزوله عن حكمه
١٣	ما نزل مفرقاً ، وما نزل جمعاً
١٤	ما نزل مشيعاً ، وما نزل مفرداً
١٥	ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ
٢١	العالي والنازل
٢٩	بيان الموصول لفظاً ، المفصول معنى
٣٠	الإمالة والفتح وما بينهما
٣٤	كيفية تحمله
٤٢	قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها
٤٥	خاصه وعامه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

رقم النوع	موضوعه
٤٦	مجمله ومبينه
٤٩	مطلقه ومقيده
٥٠	منطوقه ومفهومه
٥٥	الحصر والاختصاص
٥٦	الإيجاز والإطناب
٦٧	أقسام القرآن
٦٩	الأسماء والكنى والألقاب
٧١	أسماء من نزل فيهم القرآن
٧٤	مفردات القرآن
٧٨	شروط المفسر وآدابه
٧٩	غرائب التفسير
٨٠	طبقات المفسرين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا لا يعني أن الزركشي قد أغفل الحديث عن هذه الأنواع جملة ولكن قد تعرض للحديث عنها أو بعضها أحياناً ضمن نوع آخر ، وذلك لتداخل علوم القرآن وارتباطها بعضها ببعض والمراد أنه لم يفرد لها نوعاً مستقلاً .

والإمام السيوطي عندما أضاف هذه الأنواع لا يعني أنه قد أتى بشيء يعد بدعاً في علوم القرآن ، ولكن يعود الفضل إليه في لم شملها ، وجمع شتات هذه الأنواع في كتاب واحد ، حتى صارت وحدة متناسقة متكاملة ، وهذا ما أشار اليه السيوطي في آخر كتابه « الإتقان » بعد أن منّ

الله تعالى عليه بإتمامه فقال : « مخضت فيه كتب العلم على تنوعها وأخذت زبدها ودرها ، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها ، واقتطفت ثمرها وزهرها ، وغصت بحار فنون القرآن ، فاستخرجت جواهرها ودررها ، وبقرت عن معادن كنوز فخلّصت سبائكها ، وسبكت فقرها ، فلهذا تحصل فيه من البدائع ما تبت عنده الأعناق بتاً ، وتجمع في كل نوع منه ما تفرق في مؤلفات شتى ... »[٧٦] .

وهذه قدرة عجيبة من السيوطي ، تدل على ذهنية متوقدة ، اتجهت به إلى مثل هذا الموضوع الفريد ، فطاف على مؤلفات كثيرة العدد ، مختلفة المشارب ، كثيرة الأقوال ، والمذاهب فحقق فيها ودقق حتى استبانت له وجوه الصواب فحشدها في كتاب ، بعد أن زودها بما له من ثاقب رأي وصائب فكر . مما جعل بعض الباحثين يقول[٧٧] :

« وهذا الكتاب في بابه شبيه بالمزهر في بابه ، وكل منها الغاية التي بلغها العلم الذي دوّن فيه . ولئن استطاع علماء اللغة من بعد السيوطي أن يضيفوا شيئاً جديدا إلى ما كتبه في « المزهر » فإن علماء القرآن وتاريخه لم يضيفوا إلى ما كتبه في « الإتقان » ، نظن ذلك غير آثمين » .

---

(٧٦) الإتقان : ١٢٩٠/٢ .

(٧٧) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (المطبعة النموذجية ، مصر) ، ٣٧٥/٣ .

السيوطي
وكتاب الأشباه والنظائر في الفقه

الدكتور محمد الزحيلي

درس السيوطي الفقه ودرَّسه ، وتبحر فيه ، وحلَّق به ، ثم مارس الإفتاء لبيان الأحكام الشرعية في المسائل والأسئلة المعروضة عليه ، وبلغ القمة العليا فيه ، ثم وصل إلى رتبة المجتهدين ، وصرّح بنسبة الاجتهاد المطلق لنفسه .

ولئن نازعه العلماء في دعوى الاجتهاد الذي يقتضي وضع مبادئ أصولية ، وقواعد اجتهادية مستقلة ، وهو لم يفعل ذلك في الحقيقة ، ولزم منهج الإمام الشافعي في أصول الفقه ، فلم ينازعه أحد في إدراك الغاية القصوى في الفقه . ويتمثل ذلك في الاشتغال الواسع فيه ، والممارسات الواسعة فيه ، والممارسات الواسعة في جوانبه ، ومعرفة أحكامه، وسبر أغواره ، وكشف أسراره ، وبيان علله وحِكمه ، والتعمق في المقاصد العامة ، والمسائل المتشابهة ، والفروق الدقيقة ، مما يفتح الباب أمامه لصياغة القواعد الكلية ، والضوابط الفقهية ، والفروق الفروعية ، وما يتصل بها مما ضمنه في كتبه ، مع ما استفاده من جهود السابقين في هذا المضمار بدراسته وفهمه وهضمه ، ثم بالزيادة عليه ، والتوسع فيه .

فلم يكن غريبا – بعد ذلك – أن يساهم السيوطي رحمه الله تعالى في تدوين القواعد الفقهية ، وأن يصنّف فيها كتابه الشهير « الأشباه والنظائر

في قواعد وفروع فقه الشافعية »[١] .

وكان موضوع « الأشباه والنظائر » ماثلاً في [illegible] سيوطي وفكره ، ومستقراً في عقله وباطنه ، وشاغلاً باله ووقته ، [illegible] ه العناية والرعاية ، وصنَّف فيه كتابين : الأول :« الأشباه والنظائر » في الفقه ، والثاني : « الأشباه والنظائر في النحو »[٢] .

وكان السيوطي – رحمه الله تعالى – يلم بالكتب التي صنفت في القواعد الفقهية خاصة ، وكتب الأشباه والنظائر عامة ، فيقول في مقدمة كتابه « الأشباه والنظائر في النحو » :« أول من فتح هذا الباب شيخ الإسلام ابن عبد السلام في « قواعده الكبرى » ، فتبعه الزركشي في « القواعد » ، وابن الوكيل في « أشباهه » . وقد قصد ابن السبكي بكتابه تحرير كتاب ابن الوكيل ، وذلك بإشارة والده »[٣] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) طبع هذا الكتاب المشهور عدة مرات في مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ومطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، ومطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة ، وطبع أيضاً بمكة ، وصُوِّر عدة مرات في بيروت وغيرها ، واعتمدت في هذا البحث على الطبعة الأخيرة سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م من مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ويقع في مجلد كبير ، ويتألف من (٥٥٦) صفحة .

(٢) طبع كتاب « الأشباه والنظائر في النحو » في شركة الطباعة الفنية بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، وطبع مرات أخرى وصوِّر [منها طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق في أربعة أجزاء سنة ١٩٨٥ – ١٩٨٧م/المجلة] .

(٣) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ص٥ ، وذكرنا سابقاً كتب الأشباه والنظائر في الفقه على المذهب الشافعي ، وهي :« الأشباه والنظائر » لابن الوكيل ، و« الأشباه والنظائر » لابن السبكي ، و« الأشباه والنظائر » للإسنوي ، و« الأشباه والنظائر » لابن الملقن ، وغيرها ، ولا شك أن السيوطي اطلع على أكثرها أو كلها ، واستفاد منها ، وأضاف لها الشيء الكثير ، كما هو الشأن في اعتماد اللاحق على السابق ، (انظر : كشف الظنون ١/١٠٧) .

وقد رأينا أن نقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام ، نتناولها تباعاً فيما يلي :

القسم الأول
دراسة شاملة للكتاب

يتألف هذا القسم من أربعة مباحث :

١ ـ الفقه المذهبي :

إن هذا الكتاب الذي هو موضوع البحث « الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية » ، فهو في الفقه أولاً ، وفي مذهب الإمام المطلبي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) ثانياً ، وهو أحد المذاهب الفقهية المشهورة في العالم العربي والإسلامي ، ويتبعه مئات الملايين من المسلمين ، وقام على خدمته والتأليف فيه والتدريس آلاف العلماء والفقهاء ، والتزم العمل به والسير على أحكامه كثير من البلاد الإسلامية ، كما اعتمده كثير من القضاة في فصل المنازعات ، والحكم في الخلافات ، والبت في الدعاوى ، ويتعبَّد به ملايين الناس طوال التاريخ الإسلامي منذ العصر العباسي ، وحتى اليوم[1] .

وحصر الكتاب في فقه المذهب الشافعي لا يضير الكتاب ، ولا ينقص من أهميته ، لسببين :

الأول : أن التصنيف والتأليف كان في الغالب والشائع منحصراً في أحد المذاهب ، ولذلك وجدت كتب القواعد الفقهية ، والأشباه والنظائر

(١) انظر : كتابنا « تعريف عام بالعلوم الشرعية » طبع دار طلاس ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، وكتابنا « مرجع العلوم الإسلامية » طبع دار المعرفة بدمشق ، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ففيهما دراسة مختصرة ، ومسهبة عن المذهب الشافعي .

في مختلف المذاهب ، وتنافس العلماء والفقهاء في هذا الخصوص ، وهو تنافس محمود ومشكور ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [سورة المطففين/٢٦] ، حتى وصلنا تراث فقهي زاخر ، وثروة تشريعية نضاهي بها العالم .

الثاني : أن القواعد الفقهية ، أو الأشباه والنظائر ، متشابهة بين المذاهب الفقهية ، وتكاد أن تكون متطابقة ، ومتفقة مع بعضها ، وواحدة في الصياغة والتعبير والأسلوب ، ولكن تختلف في الفروع والجزئيات والمسائل والتطبيقات المقررة على القاعدة . ومن هنا استفاد العلماء والفقهاء والمصنفون من مختلف المذاهب من بعضهم ، واقتبس كثير منهم القواعد من كتب المذهب الآخر ، وطبقها على فروع مذهبه وأحكامه . ويذكر أن أول من بدأ في تدوين القواعد - فيما وصلنا - أبو طاهر الدّباس ، إمام الحنفية فيما وراء النهر في القرن الرابع الهجري . ولما بلغ ذلك القاضي حسين ، إمام الشافعية في زمانه ، ردَّ جميع مذهب الشافعي إلى أربع قواعد .

وهذا ما صرح به ابن نجيم الحنفي رحمه الله تعالى في محاكاته كتاب « الأشباه والنظائر » لابن السبكي الشافعي ، فقال : « وأن المشايخ الكرام قد ألفوا لنا ما بين مختصر ومطول من متون وشروح وفتاوى ، واجتهدوا في المذهب والفتوى ، وحرروا ونقحوا ، شكر الله سعيهم . إلا أني لم أر لهم كتاباً يحكي كتاب الشيخ تاج الدين السبكي الشافعي ، مشتملاً على فنون الفقه ... فألهمت أن أصنع كتاباً على النمط السابق »[١] .

(١) الأشباه والنظائر ، ابن نجيم ص ١٥ .

٢ ـ أهمية فن الأشباه والنظائر :

القواعد الفقهية مهمة جداً ، وتنطبق أهميتها على علم الأشباه والنظائر لأن القواعد الفقهية جزء من فن الأشباه والنظائر ، وتشكل المنطلق الأول له ، وتحتل مكان الصدارة فيه . يضاف إلى هذه الأهمية والفوائد ما يحققه علم الأشباه والنظائر في بقية الجوانب والفروع كالقواعد الكلية ، والضوابط الفقهية ، والقواعد الأصولية ، والقواعد المختلف فيها كأساس لعلم الخلاف المعروف في الفقه الإسلامي ، والنظائر المتشابهة في أبواب الفقه ، وما أضافه بعض العلماء كابن نجيم ، كفن الألغاز ، والحيل ، والحكايات والمراسلات .

وكان السيوطي رحمه الله تعالى يدرك أهمية فن الأشباه والنظائر ، وحقيقة هذا العلم النافع المفيد ، ولذلك نبه عليه ، وصرح به في مقدمة كتابه ، فقال : « وكان من أجلّ أنواعه (الفقه) : معرفة نظائر الفروع وأشباهها ، وضم المفردات إلى أخواتها وأشكالها »[١] . ودلل السيوطي رحمه الله تعالى على أهمية هذا العلم بصعوبة العمل فيه ، ودقة البحث فيه ، ووعورة الطريق لسالكه ، فقال : « إن هذا الفن لا يدرك بالتمني ، ولا ينال بسوف ، ولعل ، ولو أني ، ولا يبلغه إلا من كشف عن ساعد الجد وشمر ، واعتزل أهله وشدَّ المئزر ، وخاض البحار وخالط العجاج ، ولازم التردداد إلى الأبواب في الليل الداج ، يدأب في التكرار والمطالعة بكرة وأصيلاً ، وينصب نفسه للتأليف والتحرير بياتاً ومقيلاً ، ليس له همة إلا معضلة يحلُّها ، أو مستعصية عزت على القاصرين ، فيرتقي إليها ويحلها ، يُردُّ عليه ويَردّ ، وإذا عذله جاهل لا يصدّ ، قد ضرب مع الأقدمين بسهم ،

---

(١) الأشباه والنظائر ، للسيوطي ص٤ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والغمر يضرب في حديد بارد ، وحلق على الفضائل ، واقتنص الشوارد :

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

يقتحم المهامه المهولة الشاقة ، ويفتح الأبواب المرتجة إذا قال الغبي : لا طاقة ، إن بدت له شاردة ردها إلى جوف الفرا ، أو شردت عنه نادرة اقتنصها ولو أنها في جوف السماء ، له نقد يميز به بين الهُباب والهَباء ، ونظر يحكم – إذا اختلفت الآراء – بفصل القضاء ، وفكر لا يأتي عليه تمويه الأغبياء ، وفهم ثاقب لو أن المسألة من خلف جبل قاف لخرقه حتى يصل إليها من وراء ، على أن ذلك ليس من كسب العبد ، وإنما هو من فضل الله يؤتيه من يشاء »[1] .

وهذا كلام صحيح ، وليس فيه مبالغة أو تهويل ، لأن هذا العلم يعتمد على جمع الفروع والمسائل والجزئيات الفقهية في قواعد كلية ، وصياغة دقيقة ، وعبارات وجيزة ، كأنها أمثال وحكم ، مع معرفة أوجه الشبه ، وجوانب الاختلاف ، لوضع الضوابط ، وتقرير الفروق ، وملاحظة الأقوال المعتمدة في المذهب ، ونقاط الخلاف مع بقية المذاهب ، ولذلك لا يلج هذا الخضم إلا فطاحل العلماء ، وكبار الفقهاء ، وأساطين اللغويين والنحاة ، ولا يجرؤ على التصنيف فيه إلا النخبة المتفوقة النادرة من كبار المؤلفين والكتاب .

ثم قال السيوطي رحمه الله تعالى : « اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم ، به يُطَّلع على حقائق الفقه ومداركه . ومآخذه وأسراره ، ويتمهَّر في

---

(١) المرجع السابق .

فهمه واستحضاره ، ويقتدر على الإلحاق والتخريج ، ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة ، والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على مر الزمان ، ولهذا قال بعض أصحابنا : الفقه معرفة النظائر »(١) .

٣ ـ الباعث على تصنيف « الأشباه والنظائر » :

وكأن هذه الأهمية لعلم الأشباه والنظائر ، وصعوبة مسلكه ، وقلة وارده ، إلا ممن مهر الفقه ، وعجنه وطبخه ، وألفه وعاش معه ، كأن هذه الأهمية أحسّ بها السيوطي رحمه الله تعالى ، وقد عرف من نفسه القدرة عليها ، وكأنها أصبحت فرض عين عليه ، يأثم إذا تركها ، ويجب عليه القيام بها وأداؤها .

لذلك قال عن كتابه : « وأنت إذا تأملت كتابي هذا علمت أنه نخبة عمر ، وزبدة دهر ، حوى من المباحث المهمات ، وأعان عند نزول الملمات ، وأنار مشكلات المسائل المدلهمات ، فإني عمدت إلى مقفلات ففتحتها ، ومعضلات فنقحتها ، ومطولات فلخصتها ، وغرائب قل أن توجد منصوصة فنصصتها »(٢) .

ثم صرح السيوطي بالباعث على تصنيف كتابه ، فقال : **واعلم أن الحامل لي على إبداء هذا الكتاب أني كنت كتبت من ذلك أنموذجاً لطيفاً** في كتاب سميته « شوارد الفوائد في الضوابط والقواعد » فرأيته وقع موقعاً حسناً من الطلاب ، وابتهج به كثير من أولي الألباب ، وهذا الكتاب

---

(١) الأشباه والنظائر ص٦ .

(٢) الأشباه والنظائر ص٥ .

هو بالنسبة إلى هذا كقطرة من قطرات بحر ، وشذرة من شذرات نحر ، وكأني بالناس وقد افترقوا فيه فرقا ... وكيف يقاس من نشأ في حجر العلم منذ كان في مهده ، ودأب فيه غلاماً وشاباً وكهلاً حتى وصل إلى قصده بدخيل ... لاحت منه التفاتة إلى العلم .. وفرقة آتاها الله هداها ، وألهمها تقواها ، وزكاها مولاها ، فرأت محاسنها وسناها ، وفوائده التي لا تتناهى ، فاعترفتْ بشكرها وثناها ، واغترفت من بحرها ، ولم يلوها عذل عاذل ولا تناها ... »[1] .

وقد لبى السيوطي رحمه الله تعالى نداء الواجب ، وحمل عبء المسؤولية على كتفيه ، وصنف هذا الكتاب ، لينهل منه الطلاب والعلماء ، ويستفيد منه المفكرون والباحثون ، ويقطف جناه الفقهاء والأصوليون ، ويتنافس في تقريره وتدريسه الجامعات في الدراسات العليا في مختلف البلاد .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ـ مضمون « الأشباه والنظائر » وخطته :

إن الكتب التي صنفت في علم الأشباه والنظائر كانت مختلفة في مضمونها ومتباينة ، ولم يلتزم المؤلفون في القواعد الفقهية والأشباه والنظائر خطة واحدة في التأليف والتصنيف . وجاءت المصنفات في ذلك متنوعة في الترتيب أو المضمون .

فبعض المؤلفين صنف القواعد الفقهية على الترتيب الألفبائي ، فراعى في ذلك الحرف الأول من كل قاعدة ، دون النظر إلى موضوعها ، وسار على هذه الطريقة بدر الدين الزركشي في كتابه « المنثور في القواعد » وقال في مقدمته : « ورتبته على حروف المعجم ليسهل تناول طرازها

---

(١) الأشباه والنظائر ص٥ ، ٦ .

المعلم »[1] . وبعضهم اعتمدوا الترتيب الموضوعي من حيث شمولية القاعدة الفقهية والاتفاق عليها ، وقسموا القواعد إلى قواعد كلية ، يرجع إليها أغلب مسائل الفقه ، وقواعد كلية يرجع إليها بعض مسائل الفقه ، وقواعد خلافية بين المذاهب . وسار على هذه الطريقة أكثر مؤلفي كتب الأشباه والنظائر ، كابن السبكي وابن نجيم . والتزم نهجهم شيخنا السيوطي رحمه الله تعالى ، وأضاف إلى القواعد الفقهية ما يتعلق بالأشباه والنظائر ، كما سنرى . وهناك من المؤلفين من جمع القواعد الفقهية دون مراعاة لترتيب معين . وبعضهم رتبها حسب الأبواب الفقهية . وبعضهم رتبها حسب المباحث الأصولية ، ودمج القواعد الفقهية معها .

واختلف التأليف في القواعد من حيث المضمون أيضاً . فبعض المصنفين دمج القواعد الفقهية مع القواعد الأصولية ، مثل الحافظ العلائي في « قواعده » والزنجاني في « تخريج الفروع على الأصول » والإسنوي في « التمهيد » . وهو ما فعله أبو زيد الدبوسي الحنفي في « تأسيس النظر » والعلامة القرافي المالكي في « الفروق » وابن اللحام الحنبلي في « القواعد والفوائد الأصولية » وابن رجب الحنبلي في « القواعد » وبعض المصنفين دمج القواعد الفقهية مع موضوعات فقهية أخرى . وقد يضيفون إليها مباحث عقائدية ، وهو ما فعله الزركشي في « المنثور » والإسنوي في « التمهيد » والقرافي في « الفروق » وغيرهم .

وجاء المصنفون في الأشباه والنظائر فا قتصروا على القواعد الفقهية ، ولكنهم أضافوا إليها بحوثاً جديدة تتصل بالموضوع مع اختلاف بينهم في هذه الإضافات . وانفرد بعض المؤلفين بمنهج خاص ، وترتيب مستقل كالعز بن

(١) المنثور في القواعد ١/٦٧ .

عبد السلام [(١)] .

وبيَّن السيوطي رحمه الله تعالى خطته في كتاب « الأشباه والنظائر » وحدد المضمون الفقهي له ، والمباحث التي تناولها فقال :

« وطالما جمعت من هذا النوع (القواعد الفقهية) جموعاً ، وتتبعت نظائر المسائل أصولاً وفروعاً ، حتى أوعيت من ذلك مجموعاً جموعاً ، وأبديتُ فيه تأليفاً لطيفاً ، لا مقطوعاً فضله ، ولا ممنوعاً ، ورتبته على كتب سبعة :

« **الكتاب الأول** : في شرح القواعد الخمس التي ذكر الأصحاب أن جميع مسائل الفقه ترجع إليها .

الكتاب الثاني : في قواعد كلية ، يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية ، وهي أربعون قاعدة .

الكتاب الثالث : في القواعد المختلف فيها ، ولا يطلق الترجيح لظهور دليل أحد القولين في بعضها ، ومقابله في بعض ، هي عشرون قاعدة .

الكتاب الرابع : في أحكام يكثر دورها ، ويقبح بالفقيه جهلها : كأحكام الناسي ، والجاهل ، والمكره ، والنائم ، والمجنون، والمغمى عليه ، والسكران ، والصبي ... وفروض الكفاية وسننها ، والسفر ، والحرم ، والمساجد ، وغير ذلك ، وفي ضمن ذلك قواعد وفوائد ، وتتمات وزوائد ، تبهج الناظر ، وتسر الخاطر .

الكتاب الخامس : في نظائر الأبواب ، أعني التي هي من باب

---

(١) انظر : القواعد ، المقري مقدمة المحقق ١/١٣٩ ، المنثور في القواعد ، مقدمة المحقق ١/٢٥ ، الاستغناء في الفرق والاستثناء للبكري ، مقدمة المحقق ١/٦٦ .

واحد ، مرتبة على أبواب الفقه ، والمخاطب بهذا الباب والذي يليه المبتدئون .

الكتاب السادس : فيما افترقت فيه الأبواب المتشابهة .

الكتاب السابع : في نظائر شتى » .

ويختم السيوطي رحمه الله تعالى خطته ، فيقول : « واعلم أن كل كتاب من هذه الكتب السبعة لو أفرد بالتصنيف لكان كتاباً كاملاً ، بل كل ترجمة من تراجمه تصلح أن تكون مؤلفا حافلاً »[(١)] .

وخطة السيوطي واضحة جلية ، وتحدد مضمون الكتاب ، وأنه يجمع القواعد الفقهية ، والضوابط الفقهية ، والفروق ، والنظائر . وتشبه خطته كتاب ابن السُّبكي الشافعي ، وابن نجيم الحنفي . لكن ابن نجيم أضاف إلى كتابه « الفن الرابع : في الألغاز » و« الفن الخامس : الحيل » و« الفن السابع : الحكايات والمراسلات » . بينما نرى السيوطي تجنب ذلك وتحاشاه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) الأشباه والنظائر ص٥ ـ ٦ .

ويحسن الإشارة هنا إلى كتاب السيوطي « **الأشباه والنظائر في النحو** » وبيان التشابه في الخطة ، وأنه رتبه على سبعة فنون ، كل قسم مؤلف مستقل ، له خطبة واسم ، وهي : **الأول** : المصاعد العلية في القواعد النحوية ، **الثاني** : تدريب أولي الطلب في ضوابط كلام العرب ، **الثالث** : سلسلة الذهب في البناء من كلام العرب ، **الرابع** : اللمع والبرق في الجمع والفرق ، **الخامس** : الطراز في الألغاز ، **السادس** :المناظرات والمطارحات ، **السابع** : التبر الذائب في الأفراد والغرائب » . (انظر : كشف الظنون ١/١٠٧) ، وأشرنا سابقاً أن هذا الكتاب طبع عدة مرات ، وهو في أيدي الباحثين والنحويين والأدباء واللغويين .

القسم الثاني

دراسة شاملة للكتاب

سوف نقدم في هذه الدراسة تعريفاً لكل واحد من الكتب السبعة التي سبق ذكرها، مع إلقاء الضوء على مضمونها، وما تحتويه من قواعد وفروع وأمثلة فقهية وفوائد ومنافع .

الكتاب الأول : في شرح القواعد الخمس التي ذكر الأصحاب أن جميع مسائل الفقه ترجع إليها :

هذا الكتاب يتناول أهم القواعد الفقهية التي أكملها السيوطي رحمه الله تعالى في الكتاب الثاني ، وأفرد هذه القواعد الخمس بالكتاب الأول نظراً لأهميتها وعمومها وشمولها ، ومحاولة الفقهاء إرجاع جميع الفروع إليها ، وتبناها جميع الفقهاء في مختلف المذاهب ؛ ووضعوها في كتبهم المذهبية ، وفي كتب القواعد والأشباه والفروق وكتب الفروع[1] .

ونظم بعض الشافعية هذه القواعد الخمس في أبيات من الشعر[2] ، فقال :

خمسٌ مُقَــرَّرَة قــواعدَ مـذهب ... للشـــافعي ، فكن بهنَّ خَبـيرا
ضَـرَرٌ يُزال ، وعادةٌ قد حُكِّمت ... وكذا المشـقـةُ تجلبُ التَّيْسِـرا
والشَّـكُّ لا تـرفعْ بـه متيقّـنـاً ... والقصدَ أخلِص إنْ أردتَ أجورا

وعرض السيوطي رحمه الله هذه القواعد بشيء من الإسهاب والتفصيل في خمس وتسعين صفحة من كتابه (٧ - ١٠١) ونعرض كل قاعدة منها باختصار شديد ، وهي :

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ص٧ .
(٢) المنثور في القواعد ١/١٨ .

القاعدة الأولى : الأُمور بمقاصِدِها :

شرحها السيوطي بسبعة مباحث ، بيَّن في الأول أصل هذه القاعدة من الأحاديث النبوية الصحيحة ، والموجزة ، والمحكمة ، والتي تعدُّ من جوامع الكلم[1] ، وأهمها الحديث المشهور « إنَّما الأعمال بالنيات » . وتواتر النقل عن الأئمة لقدر حديث النية ، قال أبو عبيد : ليس في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه . واتفق الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل والحافظ ابن مهدي ، وأبو داود ، والدارقطني وغيرهم على أنه ثلث العلم ، ومنهم من قال ربعه . ووجه كونه ثلث وغيرهم على أنه ثلث العلم ، ومنهم من قال ربعه . ووجه كونه ثلث العلم أن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه ، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها ، لأنها قد تكون عبادة مستقلة ، وغيرها يحتاج إليها . وأراد الإمام أحمد بكونه ثلث العلم أنه أحد القواعد الثلاث التي تُردُّ إليه جميع الأحكام عنده . ونقل السيوطي الأحاديث التي تعتبر أصول الإسلام ، ومدار السنة أو الفقه كله عليها ، حتى قال ابن مهدي :
« حديث النية يدخل في ثلاثين باباً من العلم » ، وقال الشافعي : « يدخل في سبعين باباً »[2] .

وهنا ذكر السيوطي في المبحث الثاني ما يرجع إلى هذه القاعدة من أبواب الفقه إجمالاً ، وأهمها العبادات ، والجنايات ، والقصاص ، والحدود ، والطلاق ، واللقطة ، والأيمان ، والذبائح . ثم قال السيوطي : « فهذه

---

(١) الأشباه والنظائر ص٨ ، وجاءت هذه القاعدة في المادة الثانية من مجلة الأحكام العدلية .

(٢) الأشباه والنظائر ص٩ .

سبعون بابا ، أو أكثر دخلت فيها النية »[1] .

وفي المبحث الثالث عرض السيوطي ما شرعت النية لأجله ، كتمييز العبادات من العادات ، وتمييز رتب العبادات بعضها من بعض وضرب بعض الأمثلة الفقهية ، ثم بين ما يترتب على ذلك من الأحكام والنظائر الفقهية والمناقشات والآراء ، والضوابط ، والقواعد الفرعية ، والتنبيهات ، وخاصة اشتراط التعرض للفرضية ، والإخلاص في العمل لله تعالى[2] .

وانتقل السيوطي في المبحث الرابع إلى وقت النية ، وأن الأصل في وقتها أول العبادات ، ونحوها ، وذكر أمثلة من الفروع الفقهية ، وما يخرج عن هذا الأصل أحياناً[3] .

وحدد السيوطي في المبحث الخامس محل النية ، وهو القلب في كل موضع ، لأن حقيقتها القصد مطلقاً ، وقيل : القصد المقارن للفعل . وشرح صلة اللسان بالنية ، وأنه لا يكفي مجرد التلفظ باللسان دون القلب ، وأنه لايشترط مع القلب التلفظ ، وضرب أمثلة عملية من الفقه والأحكام الفرعيه من مختلف الأبواب ، وأن استثناء مواضع يكتفى فيها باللفظ هو رأي ضعيف[4] .

وعدّد السيوطي في المبحث السادس شروط النية ، وهي : الإسلام ،

(١) الأشباه والنظائر ص١١ ، ويتفرع على هذه القاعدة وفروعها في المعاملات قاعدة مهمة ومشهورة ، وهي « العبرة في العقود للمقاصد والمعاني ، لا للألفاظ والمباني » ، وهي المادة الثالثة من المجلة .

(٢) الأشباه والنظائر ص١٢ – ٢٣ .

(٣) الأشباه والنظائر ص٢٤ – ٣٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٠ – ٣٥ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والتمييز ، والعلم بالمنوي ، وأن لا يأتي بمُنَاف . ودعم ذلك بالأدلة الشرعية والأمثلة الفقهية ، والاستثناءات في بعض الحالات . وختم المبحث بصور تصح فيها النية مع التردد أو التعليق[١] ، كما ختم البحث في القاعدة الأولى بالمبحث السابع بأمور متفرقة ، كالاختلاف في كون النية ركناً في العبادات أم شرطاً ، وبعض القواعد الأصولية والفقهية والفروع المنثورة ونظائرها المتعددة[٢] ، ثم قال : « خاتمة : تجري قاعدة « الأمور بمقاصدها » في علم العربية أيضاً » ، وذكر أمثلة لذلك[٣] .

القاعدة الثانية : اليَقِينُ لا يَزُولُ بالشَّك :

بدأ السيوطي بيان دليل هذه القاعدة من الأحاديث الصحيحة ، ثم قال : « اعلم أن هذه القاعدة تدخل في جميع أبواب الفقه . والمسائل المخرجة عليها تبلغ ثلاثة أرباع الفقه وأكثر » ... ثم قال : « ويندرج في هذه القاعدة عدة قواعد »[٤] . وبيّن القواعد الفرعية التي تدخل في هذه القاعدة ، منها « الأصل بقاء ما كان على ما كان » و« الأصل براءة الذمة » و« من شك هل فعل شيئاً أم لا ، فالأصل أنه لم يفعله » و« الأصل (في الأمور العارضة) العدم » وقاعدة « الأصل في كل حادث تقديره بأقرب زمن » وقاعدة « الأصل في الأشياء الإباحة ، حتى يدل الدليل على التحريم » وقاعدة « الأصل في الأبضاع التحريم » وقاعدة « الأصل في الكلام الحقيقة» . وبين السيوطي أدلة كل قاعدة فرعية وأعطى أمثلة من المسائل الفقهية التي تدخل تحتها ، ثم شرح تعارض الأصل والظاهر ، وتعارض

(١) الأشباه والنظائر ص٣٥ ـ ٤٢ .
(٢) الأشباه والنظائر ص٤٣ ـ ٤٩ .
(٣) الأشباه والنظائر ص٤٩ ـ ٥٠ .
(٤) الأشباه والنظائر ص٥٠ ، ٥١ ، وهي المادة الرابعة من المجلة .

الأصلين ، وتعارض الظاهرين مع الأمثلة والفروع والمسائل . وختم الكلام عن القاعدة الثانية بفوائد ، الأولى : زوال حكم اليقين بالشك في بعض المسائل ، وأن الشك على ثلاثة أضرب ، وأن المراد بالأصل هو الاستصحاب المعروف في علم أصول الفقه كأحد أدلة التشريع(١) .

القاعدة الثالثة : المَشَقَّةُ تَجْلِبُ التَّيْسِير :

بعد أن بين السيوطي الأصل في هذه القاعدة من القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، قال : « قال العلماء : يتخرج على هذه القاعدة جميع رخص الشرع وتخفيفاته(٢) » ، ثم عدد أسباب التخفيف في العبادات كالسفر والمرض والإكراه والنسيان والجهل والعسر وعموم البلوى . وشرح الرخص التي تثبت عند تورتر كل سبب من الأسباب السابقة ، ثم ختم الكلام عن هذه القاعدة بفوائد مهمة في ضبط المشقة ، وأنواع التخفيف في الشرع ، وأقسام الرخص ، وتعاطي سبب الرخصة ، وأنه يتفرع على هذه القاعدة قاعدة أخرى قال بها الإمام الشافعي ، وهي « إذا ضاق الأمر اتسع » وشرحها ودلل عليها(٣) .

القاعدة الرابعة : الضَّرَرُ يُزالُ :

وأصلها الحديث الصحيح في قوله ﷺ « لا ضرر ولا ضرار » .

وقال السيوطي : « هذه القاعدة ينبني عليها كثير من أبواب الفقه »(٤) ، وعددها ، ثم عرض القواعد التي تتعلق بهذه القاعدة ، وبين

---

(١) الأشباه والنظائر ص٥١ـ ٧٦ .

(٢) الأشباه والنظائر ص٧٦ ، ٧٧ ، وهي المادة ١٧ من المجلة .

(٣) الأشباه والنظائر ص٨٣ .

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطي ص٨٤ ، وهي المادة ٢٠ من المجلة .

الفروع الفقهية والمسائل الجزئية لكل ذلك . وهذه القواعد هي : « الضرورات تبيح المحظورات بشرط عدم نقصانها عنها » وقاعدة « ما أبيح للضروة يقدر بقَدْرها » . ونبه على أنه يخرج منها صور : العرايا ، والخلع ، واللعان . وأضاف فائدة أن مراتب المصالح خمس ، وهي ضرورة وحاجة ومنفعة وزينة وفضول ، ثم أضاف تذنيباً ، وقال : « قريب من هذه القاعدة ، ما جاز لعذر بطل بزواله »[1] ، كما يتفرع على القاعدة الأصلية قاعدة « الضرر لا يزال بالضرر » وقاعدة « إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما » وقاعدة « الحاجة تنزل منزلة الضرورة ، عامة كانت أم خاصة » .

ومجموع القاعدة الأصلية والقواعد التي تتعلق بها ، يشكل الأصل لنظرية الضرورة الشرعية ، التي أشرنا إليه في النظريات الفقهية .

القاعدة الخامسة : العادة مُحَكَّمة :

أشار السيوطي إلى أصلها ، وأنها تمثل أحد مصادر التشريع في أصول الفقه ، وهو العرف ، فقال : « اعلم أن اعتبار العادة والعُرف يرجع إليه في الفقه في مسائل لا تعد كثرة ، فمن ذلك ... »[2] ، وعدّدها ، ثم شرح ما يتعلق بهذه القاعدة في خمسة مباحث : الأول : فيما تثبت به العادة ، وذلك يختلف من باب فقهي إلى آخر ، والمبحث الثاني : إنما تعتبر العادة إذا اطّردت ، فإن اضطربت فلا ، وإن تعارضت الظنون في اعتباره فخلاف ، وفي ذلك فروع فقهية كثيرة ، واستطرد إلى فصل في تعارض العرف مع الشرع ، وفصل في تعارض العرف مع اللغة ، وفصل في

(١) الأشباه والنظائر ص٨٥ .
(٢) الأشباه والنظائر ص ٨٩ ، ٩٠ ، وهي المادة ٣٦ من المجلة .

تعارض العرف العام والخاص ، مع ذكر ضوابط لذلك وتنبيهات فيه ، والمبحث الثالث : العادة المطردة في ناحية ، هل تنزل عادتهم منزلة الشرط ؟ وفيه صور ، والمبحث الرابع : العرف الذي تحمل عليه الألفاظ ، إنما هو المقارن السابق دون المتأخر ، وأكد في المبحث الخامس على ضابط مهم للفقهاء ، وهو : كلُّ ما ورد به الشرع مطلقاً ، ولا ضابط له فيه ، ولا في اللغة ، يرجع فيه إلى العرف، وذكر السيوطي أمثلة لذلك ، كالحرز ، واليمين ، والتفرق في البيع ، والقبض ... وغير ذلك [1] .

وتوقف السيوطي رحمه الله تعالى عن بيان القواعد التي تتفرع على هذه القاعدة ، وجاءت في مجلة الأحكام العدلية فنشير إليها ، وهي : استعمال الناس حجة يجب العمل بها ، المادة ٣٧ ، إنما تعتبر العادة إذا اطردت أو غلبت ، المادة ٤١ ، العبرة للغالب الشائع ، لا للنادر ، المادة ٤٢ ، الحقيقة تترك بدلالة العادة ، المادة ٤٠ ، الكتاب كالخطاب ، المادة ٦٩ ، الإشارة المعهودة للأخرس كالبيان باللسان ، المادة ٧٠ ، المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً ، المادة ٤٣ ، التعيين بالعرف كالتعيين بالنص ، المادة ٤٥ ، المعروف بين التجار كالمشروط بينهم ، المادة ٤٤ ، لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان ، المادة ٣٩ [2] .

ومجموع هذه القواعد تكوِّن الشطر الأساسي لنظرية العرف والعادة في الفقه وأصوله [3] ، وبانتهاء الشرح على قاعدة « العادة محكمة » تنتهي القواعد الخمس الأساسية التي خصص لها السيوطي الكتاب الأول ، ثم

(١) الأشباه والنظائر ص ٩٠ ـ ١٠١ .

(٢) انظر : المدخل الفقهي العام ٢/٩٩٤ .

(٣) انظر نظرية العرف في كتاب : المدخل الفقهي العام ٢/٨٣٠ وما بعدها ، العرف والعادة ، أبو سنة ص ١٣ .

انتقل إلى الثاني .

الكتاب الثاني : في قواعد كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية :

عرض السيوطي في هذا الكتاب أربعين قاعدة . وهي قواعد فقهية كلية وعامة وشاملة ، ومعتبرة غالباً في كافة المذاهب ويقع الخلاف في إدخال بعض المسائل تحتها . ولكن هذه القواعد تأتي في الدرجة الثانية بعد القواعد الخمس الأولى ، ومجموعهما يشكل القواعد الفقهية بالاصطلاح الدقيق . وقد اقتصر بعض المصنفين عليها ، وما يتفرع منها ، وحصروا اهتمامهم في هذا النوع دون غيره .

وعرض السيوطي هذه القواعد الكلية الأربعين في ستين صفحة (١٠١ – ١٦١) ، وبين أصل كل قاعدة وتعليلها والتدليل عليها ، ثم ذكر الفروع الفقهية التي تدخل تحتها . ونختار فيما يلي : نماذج منها للعرض .

١ – الاجتهادُ لا يُنقَضُ بمثله[1] . ونبه السيوطي في هذه القاعدة إلى أن تطبيقها في الاجتهاد والحكم القضائي ينحصر في الماضي ، ولكن يغير الحكم في المستقبل لانقضاء الترجيح الآن ، وأنه يستثنى من القاعدة صور ، وعدَّدها ، ثم أردف ذلك بفائدة عن السبكي ، وهي : « إذا كان للحاكم أهلية الترجيح ، ورجح قولاً بدليل جاز ونفذ حكمه ، وإن كان مرجوحاً عند أكثر الأصحاب ما لم يخرج عن مذهبه ... »[2] ثم ذكر لهذه القاعدة خاتمة ، وهي : « ينقض قضاء القاضي إذا خالف نصاً ، أو إجماعاً ، أو قياساً جلياً ، وقال القرافي : أو خالف القواعد الكلية ، قال

---

(١) الأشباه والنظائر ص ١٠١ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ١٠٤ .

الحنفية : أو كان حكماً لا دليل عليه ، ... وقال السبكي : وما خالف المذاهب الأربعة فهو كالمخالف للإجماع [١] .

٢ ـ إذا اجتمع الحلال والحرام غُلِّب الحرام ، ولها فروع كثيرة ، ويخرج عنها فروع أيضاً ، ويدخل فيها قاعدة : « إذا تعارض المانع والمقتضي ، قدم المانع » وقاعدة عكسية : « الحرام لا يحرم الحلال » وهي غير مسلمة [٢] .

٣ ـ تصرُّف الإمام على الرعية مَنُوط بالمصلحة ، وبين السيوطي أن هذه القاعدة نص عليها الإمام الشافعي . وتحدد هذه القاعدة السياسة الشرعية للإمام ، والوظيفة الأساسية للدولة الإسلامية ، ولها فروع فقهية كثيرة ، ذكر السيوطي بعضها [٣] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ـ الحدود تُدْرَأ بالشبهات ، وهذه القاعدة جزء من حديث شريف ، خرّجه السيوطي ، وعدد رواته . وهذه القاعدة تعتبر محوراً رئيساً في الحدود الشرعية والقصاص ، لذلك صرح السيوطي بذلك فقال : « الشبهة تسقط الحد ... ، ويسقط القصاص أيضاً بالشبهة ... ، والشبهة لا تسقط التعزير ، وتسقط الكفارة » [٤] .

٥ ـ الخراج بالضمان ، وهذه القاعدة نص حديث صحيح ، أخرجه الشافعي وأحمد وأصحاب السنن ، كما بينه السيوطي ، وبين المراد من القاعدة ، والأمثلة لتطبيقها ، وما يردُّ عليها من الأسئلة والأجوبة [٥] .

(١) الأشباه والنظائر ص ١٠٥ .
(٢) الأشباه والنظائر ص ١٠٥ ـ ١١٦ .
(٣) الأشباه والنظائر ص ١٢١ .
(٤) الأشباه والنظائر ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٥) الأشباه والنظائر ص ١٣٥ .

ونكتفي بهذه القواعد كنماذج للقواعد الكلية التي أفرد لها السيوطي الكتاب الثاني ، وبيّن الضوابط الفقهية التي تدخل فيها ، والقواعد التي تتفرع عنها[1] .

الكتاب الثالث : القواعد المختلف فيها ، ولا يطلق الترجيح ، لاختلافه في الفرع :

وهذه القواعد كما يظهر من عنوانها أنها من قواعد الخلاف ، وتمثل أحياناً الخلاف بين المذاهب ، ولذلك تعتبر قواعد مذهبية تخدم المذهب الذي يعتنقه المصنف ، وقد تكون أحياناً أخرى قواعد خلافية في نفس المذهب ، ويختلف فقهاء المذهب فيها ، وينتج عن الخلاف فيها بين المذاهب ، أو خلاف في مسائل فرعية في المذهب . ولذلك ترد معظم هذه القواعد بصيغ استفهامية ، إشارة إلى اختلاف العلماء فيها ، وبهدف شحذ الأذهان بها ، ولفت الأنظار إلى أهميتها ، وبيان المعاناة في ربط الفروع بأصولها وضوابطها .

وكثير من هذه القواعد توجد ـ في الأصل ـ في كتب الفقه ، وترد على ألسنة الفقهاء عند التعرض لسبب الخلاف في المسألة ، أو في كتب الفقه المقارن ، وكتب علم الخلاف ، كبداية المجتهد ، لابن رشد ، والمختصر الفقهي لابن الحاجب .

كما أن بعض الفقهاء حصر اهتمامه في هذا النوع من القواعد كالونشريسي المالكي في « إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك » ، وأبي زيد الدبوسي الحنفي في كتابه « تأسس النظر » . ويظهر ذلك في كتاب « تخريج الفروع على الأصول » للزنجاني الشافعي ، و« التمهيد في

(١) الأشباه والنظائر ص ١٣٦ وما بعدها .

تخريج الفروع على الأصول » للإسنوي ، بينما وضع ابن نجيم بعض هذه القواعد في النوع الثاني من القواعد الكلية ولم يفردها لوحدها[١] .

وعرض السيوطي رحمه الله تعالى في الكتاب الثالث عشرين قاعدة مختلف فيها ، وأكد انه لا يطلق الترجيح فيها ، لا ختلاف العلماء في فروعها ، وصاغها بطريقة السؤال ، ووزعها على مختلف أبواب الفقه ، ونذكر هنا نماذج منها :

« الجمعة : ظهر مقصورة ، أو صلاة على حيالها ؟ » « النذر : هل يسلك به مسلك الواجب أو الجائز ؟ » « العبرة بصيغ العقود أو معانيها ؟ » ، « الحوالة : هل هي بيع أو استيفاء ؟ » « الإبراء : هل هو إسقاط أو تمليك ؟ » ، « إذا بطل الخصوص هل يبقى العموم ؟ » ، « المانع الطارئ هل هو كالمقارن ؟ » . وذكر السيوطي الفروع الفقهية ، والمسائل المتعددة في كتب الفقه ، وآراء العلماء المختلفة في كل مسألة ، والتنبيهات والقواعد الفرعية لبعض القواعد الرئيسة[٢] .

الكتاب الرابع : أحكام يكثر دورها ، ويقبح بالفقيه جهلها :

وهذ الأحكام شبيهة بالضوابط الفقهية التي تضم أحكاماً كثيرة في باب فقهي معين ، وقد عَدَّد السيوطي هذه الضوابط في خطة كتابه ، فقال : « كأحكام الناسي ، والجاهل ، والمكره ، والنائم ، والمجنون ، والمغمى عليه ، والسكران ، والصبي ... ، والأنثى ، والخنثى ، والمتحيرة ، والأعمى ، والكافر ، والجان ، والمحارم ، والولد ، والوطء ، والعقود ،

---

(١) انظر : الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ١٠٥ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، القواعد الفقهية للندوي ص ١٦٦ ، القواعد ، للمقري ، مقدمة المحقق ١/١١١ .

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٦٢ ـ ١٧٨ .

والفسوخ ، والصريح ، والكناية ، والتعريض ، والكتابة ، والإشارة ، والملك ، والدين ، وثمن المثل ، وأجرة المثل ، ومهر المثل ، والذهب والفضة ، والمسكن ،والخادم ، وكتب الفقه ، وسلاح الجندي ، والرُّطَب ، والعنب ، والشرط ، والتعليق ، والاستثناء ، والدُّور ، والحصْر ، والإشاعة ، والعدالة ، والأداء ، والقضاء ، والإعادة ، والإدراك ، والتحمل ، والتعبدية ، والموالاة ، وفروض الكفاية ، وسننها ، والسفر ، والحرم ، والمساجد ، وغير ذلك ، وفي ضمن ذلك قواعد وفوائد ، وتتمات ، وزوائد ، تبهج الناظر ، وتسر الخاطر »[1] .

ويظهر من بيان هذه المسائل أهميتها ، وكثرة وقوعها في الحياة ، وكثرة السؤال عنها ، والاستفتاء فيها ، مما يوجب على العالم والفقيه معرفتها ، ويقبح به جهلها ، لأنها من الأمور اليومية عند الناس . واستطرد السيوطي في بعضها ، كالقول في العقود ، فعرض تقسيمات العقود المختلفة[2] ، والفسوخ ، وفرقة النكاح ، والألفاظ الصريحة في أبواب الفقه المتعددة ، وأسهب الكلام في هذا الكتاب ، وتناول الفروع الفقهية الكثيرة ، والمسائل الجزئية المتكررة ، فغطى هذا الكتاب حَيِّزاً كبيراً من مُؤَلَّف السيوطي ، رحمه الله تعالى ، وكان أشبه بكتب الفقه في المذهب الشافعي[3] .

(١) الأشباه والنظائر ص ٤ ـ ٥ .
(٢) الأشباه والنظائر ص ٢٧٥ ـ ٢٨٧ .
(٣) الأشباه والنظائر ص ١٨٧ ـ ٤٢٢ ، وتناول ابن نجيم أغلب هذه الموضوعات بعنوان الفن الثاني الفوائد ، ورتبها حسب الأبواب الفقهية . (الأشباه والنظائر لابن نجيم ص ١٦٦ ـ ٣٠٠) .

الكتاب الخامس : في نظائر الأبواب :

شـرح السيوطي في هذا الكتـاب الأحكـام المتشـابهة والنظائر والضـوابط ، على ترتيب أبواب الفقـه ، ابتـداءً من كتـاب الطهـارة ، والصـلاة ، والزكاة ، والصيـام ، ثم البيع وبقيـة العقود ، ثم الفرائض ، والوصـايا ، والنكاح ، والطلاق ، ثم القصـاص ، والتعزير ، والحدود ، ثم الجهـاد ، وأخيراً : القضـاء والشهادات والدعوى والبينات واليمين . وبين السيوطي الأحكام الفقهية لأهم المسائل والضوابط لهذه الأبواب حسب المذهب الشافعي ، مما يقرب هذا الكتاب أيضاً من كتب الفقه في المذهب الشافعي[1] .

الكتاب السادس : أبواب متشابهة ، وما افترقت فيه :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعرض السيوطي في هذا الكتاب لعدد من المصطلحات الشرعية ، والأحكام الفقهية التي يظهر عليها التشابه ، وتلتقي في بعض الأحكام ، ولكنها تختلف عن بعضها في أحكام أخرى ، وتفترق فيما بينها بفوارق دقيقة قد يصعب على النـاظر كشفهـا ، كالفرق بين اللمس والمس ، والحيض والنفـاس ، والأذان والإقامة ، والتمتُّع والقِران في الحج ، والإجارة والبيع ، والقضـاء والحسبة ، والشهادة والرواية ، وقتال الكفار وقتال البغاة . وبين السيوطي رحمه الله تعالى باختصار الفوارق بين كل مسألتين مما يكشف عن حقائقهما وأحكامهما[2] .

(١) الأشباه والنظائر ص ٤٢٢ ـ ٥١٥ ، وتناول ابن نجيم معظم هذه الموضوعات وموضوعات الكتاب السادس في الفن الثالث من كتابه : الجمع والفرق (الأشباه والنظائر ، لابن نجيم ص ٣٠٢ ـ ٣٩٢) .

(٢) الأشباه والنظائر ، للسيوطي ص ٥١٥ ـ ٥٣١ .

الكتاب السابع : نظائر شتى :

ويتضمن مسائل فقهية معدودة ، وبعض القواعد المحصورة التطبيق ، ومجموعة من الفوائد الفقهية ، بعضها من استنتاج السيوطي ، وبعضها منقول من كتب الفقه ، أو عن لسان بعض الفقهاء . وجاء في هذا الكتاب ضابط واحد[1] ، وهو « البدل مع مبدله أقسام ... » ، وقاعدتان هما : « تفويت الحاصل ممنوع ، بخلاف تحصيل ما ليس بحاصل » ، « الواجب الذي لا يتقدر ... إذا زاد فيه على القدر المجزئ ، هل يتصف الجميع بالوجوب ؟ » . وهي قاعدة خلافية . ومن أمثلة المسائل : « الخلاف الأصولي في أن النسخ رفع أو بيان ؟ » ، ومن أمثلة الفوائد : « البناء على فعل الغير في العبادات فيه نظائر » و« الوكيل في النكاح يجب عليه ذكر الموكل » و« الفقير والمسكين حيث أطلق أحدهما اشتمل الآخر ، فإذا ذكرا اختص كل بمعناه » قال البُلقيني : ونظير ذلك الكافر والمشرك . وقلت : ونظير ذلك في العربية : الظرف والمجرور ، ومن نظائر ذلك أيضاً : الإيمان والإسلام . وختم السيوطي هذا الكتاب بذكر المسائل التي يُفتى فيها على القديم (المذهب القديم للشافعي) ، وهي بضع عشرة مسألة ، نقلها عن النووي في « المجموع شَرْح المُهَذَّب »[2] .

وبعد هذا العرض الموجز لمضمون كتاب « الأشباه والنظائر » فإننا نحيل القارئ الكريم إلى الاطلاع المباشر والدراسة التفصيلية لهذا الكتاب القيم ، ليتحقق له النفع العلمي ، ويضع عينه ويده على هذا الكنز الثمين ،

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٥٣١ – ٥٤٠ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ٥٤٠ ، وأضاف ناشر الكتاب صفحتين فيهما قصيدة نظمها بعضهم في المسائل التي لا يعذر فيها الجهل (ص ٥٤١ –٥٤٢) ، ثم جاء فهرس الكتاب في ١٤ صفحة (٥٤٣ – ٥٥٦) .

ويطمئن قلبه إلى هذه الثروة الفقهية التي دبَّجها السيوطي بيراعه ، وخلفها للأجيال بعده .

وبذلك نصل إلى استنباط منهج السيوطي ، ثم التقييم العلمي لكتابه .

القسم الثالث

نظرة تقييمية للكتاب

١ - في منهج السيوطي في « الأشباه والنظائر » :

نستطيع من دراسة الكتاب ، وتتبع قواعده ، وضوابطه ، وفروقه ، ونظائره ، وضرب الأمثلة والاستدراكات والأدلة ، أن نستخرج منهج السيوطي بالأمور التالية :

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

١ - يظهر من خطة الكتاب السابقة أن السيوطي رحمه الله تعالى رتب كتابه من الأهم إلى المهم ، ومن القواعد الخمس الأساسية الرئيسة ، إلى القواعد الكلية المتفق عليها ، ثم انتقل إلى قواعد الخلاف بين المذاهب ، أو بين الأصحاب في المذهب ، ثم بيّن الضوابط والفوائد والقواعد والتنبيهات والأحكام الخاصة بفقه المذهب الشافعي .

٢ - كان السيوطي يضع القاعدة ، ويبدأ بها ، ثم يبين أصلها ، ومصدرها ، ودليلها من آيات القرآن الكريم إن وجدت ، ثم من نصوص السنة المطهرة ، ثم من الآثار الواردة عن الصحابة ثم من أقوال الأئمة والأصحاب .

واستدلاله بآيات القرآن الكريم يدل على الفهم الثاقب ، وهو صاحب القدح المعلى في علوم القرآن عامة ، والتفسير وآيات الأحكام

خاصة ، وله الكتب المشهورة في علوم القرآن والتفسير .

وركز كثيراً على الاستدلال بالسنة الشريفة ، وهو العالم الذي لا يشق له غبار في الحديث وعلومه ، وصنف أكبر موسوعة حديثية وصلت إلينا طوال التاريخ الإسلامي ، وهذا ما صرح به في مقدمة كتابه ، فقال : «وقد صدرت كل قاعدة بأصلها من الحديث والأثر »[١] .

ولم يكتف السيوطي بإيراد الأحاديث الشريفة ، بل قام بتخريجها ، وعزوها إلى مصادرها ، وبيان درجة الحديث ومدى صحة الاعتماد عليها ، وهذا في حد ذاته عمل جبار ، ولكنه لا يستكثر على السيوطي المحدث الحافظ ، ولذلك قال : « وحيث كان في إسناد الحديث ضعف أعملت جهدي في تتبع الطرق والشواهد لتقويته على وجه مختصر ، وهذا أمر لا ترى عينك الآن فقيهاً يقدر عليه ، ولا يلتفت بوجهه إليه »[٢] .

واستعان السيوطي كثيراً بالآثار ، وما ثبت عن الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء ، واعتبر أن الأصل في « الأشباه والنظائر » هو ما جاء في كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري ، المعروف بكتاب « السياسة القضائية » أو « دستور القضاء في الإسلام » ، فقال السيوطي : « اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم ... وقد وجدت لذلك أصلاً من كلام عمر بن الخطاب ... (وذكر سند روايته لذلك .... وفيه) اعرف الأمثال والأشباه ثم قس الأمور عندك ، فاعمد إلى أحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق فيما ترى ... »[٣] ، وبين السيوطي وجه الاستدلال من الكتاب على الأشباه ، والنظائر ، والفروق ، والتكليف

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٥ .

(٢) الأشباه والنظائر ص ٥ .

(٣) انظر على سبيل المثال القاعدة الخامسة (الأشباه والنظائر ص ١٢١) .

بالاجتهاد .

٣ – جمع السيوطي بين القاعدة الكلية الفقهية وبين الفروع الفقهية ، فبدأ بصياغة القاعدة الكلية ثم بين القواعد الفرعية لها أحياناً ، وذكر المسائل الفقهية كتطبيق عملي للقاعدة ، وكما أردف القواعد بالضوابط مع الأمثلة المتعددة من الأحكام ، وما يرد على بعضها من الاستثناءات ، وما يقع بينها من الفروق ، ولذلك جاء عنوان الكتاب « الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية » .

٤ – وشح السيوطي كتابه بنقل آراء كثير من الأئمة والفقهاء والعلماء ، ونسب الأقوال إلى أصحابها بأمانه علمية ، وصرح أحياناً باسم الكتاب وعنوانه الذي نقل منه أو اعتمد عليه ، أو ورد فيه الإشكال أو الاعتراض أو الفائدة أو التنبيه ، مع بيان النصوص الفقهية التي أخذت منها القواعد[1] .

٥ – وردت في الكتاب مقارنات كثيرة مع المذاهب الفقهية . وكان ينقل آراء علماء بقية المذاهب ويذكر أقوالهم ، ويقتبس النصوص من كتبهم مع التصريح بها والعزو إليها ، وخاصة كتب القواعد ، دون تعصب أو تزمت أو تعريض بأحد ، بل يظهر الاحترام والتقدير للجميع ، مع الموضوعية في البحث .

كما أن تبحر السيوطي بعلوم العربية في النحو والأدب واللغة شدَّه إلى بعض المقابلات ، وبيان الاتفاق بين القواعد الفقهية وقواعد اللغة العربية ومبادئها[2] .

---

(١) انظر على سبيل المثال القاعدة الخامسة (الأشباه والنظائر ص١٢١) .

(٢) قال السيوطي – على سبيل المثال : « لهذه النظائر أشباه في العربية ... ثم قال : تجري قاعدة « الأمور بمقاصدها » في علم العربية أيضاً » (الأشباه والنظائر ص ٤٩) وقال : « ونظير ذلك في العربية : الظرف والمجرور » . (الأشباه والنظائر ص ٥٣٩) .

٦ ـ لقد اقتفى السيوطي غالباً في جمع القواعد الفقهية وترتيبها منهج ابن الوكيل وابن السبكي ، دون أن يصرح بذلك . وجاء ابن نجيم وسار على غرار ابن السبكي ، وصرح في مقدمته على ذلك . ومع هذا فإننا نجد فروقاً كثيرة بين الكتب الثلاثة ، مع كثرة وجوه الاتفاق ، والعبارات الواحدة التي تظهر عند المقارنة .

ومن الفوارق بين الكتب الثلاثة أن السبكي اقتصر على القواعد الفقهية ، وما يلحق بها من الأشباه والنظائر ، بينما أضاف ابن نجيم بعض الفنون التي لا تدخل في الأشباه والنظائر كالحيل والألغاز ، وأضاف السيوطي الكتاب الثالث في الأحكام التي يكثر دورها ويقبح بالفقيه جهلها ؛ وانفرد ابن السبكي بثلاثة كتب في أصول كلامية ، ومسائل أصولية ، وكلمات نحوية(١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ المآخذ على الكتاب :

أبرز ما نأخذه على هذا الكتاب ما يلي :

١ ـ عدم التناسق والتناسب في توزيع الكتب المؤلفة منه ، فالأول : تناول القواعد الفقهية الخمس في مائة صفحة ،وجاءالثاني لشرح أربعين قاعدة كلية في إحدى وستين صفحة ، وحصر الثالث القواعد المختلف فيها في خمس وعشرين صفحة ، بينما توسع الكتاب الرابع في الأحكام التي يكثر دورها ، واستغرق ٣٣٥ صفحة ، وجاء الكتاب الخامس في ثلاث وتسعين صفحة واكتفى السادس بالأبواب المتشابهة

---

(١) انظر : القواعد الفقهية للندوي ص ١٣٧ ، ١٩٢ ، ٢٠٩ ، الاستغناء في الفرق والاستثناء ، مقدمة المحقق ٦٨/١ ، المنثور في القواعد ، مقدمة المحقق ٢٦/١ ، القواعد ، المقري ١٣٤/١ .

وما افترقت فيه في ست عشرة صفحة ، وكذا الكتاب السابع من نظائر شتى في عشر صفحات ، فالبون شاسع في حجم الكتب ، وكان بالإمكان ضم الكتب الثلاثة الأولى في كتاب واحد (١ - ١٨٧) ثم تقسيم القواعد إلى ثلاثة أنواع كما وردت فيه ، كما يمكن ضم الكتب الثلاثة الأخيرة في كتاب واحد ، فيخف الفرق الواسع بين الكتب .

٢ - لم يصرح السيوطي رحمه الله تعالى بكتب « الأشباه والنظائر » التي اقتبس منها ، أو نهج مسلكها ، لكنه حافظ على الأمانة العلمية بعزو القواعد والضوابط والآراء إلى أصحابها ، ومنهم أصحاب « الأشباه والنظائر » كابن السبكي خاصة ، كما أنه يذكر العالم أو الفقيه ، وقد يكون له عدة كتب ومصنفات ، كالنووي ، وابن السبكي ، والإسنوي ، والبلقيني وغيرهم ، ولم يحدد الكتاب الذي قصده غالباً ، ولكن حدده في بعض الأحيان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ - دمج السيوطي القواعد الفقهية خاصة ، وأحكام الأشباه والنظائر عامة ، بموضوعات فقهية يبحثها العلماء والفقهاء في كتب الفقه والفروع ، وهو ما حذَّر منه ابن السبكي رحمه الله فقال : « وراء هذه القواعد ضوابط يذكرها الفقهاء .... وليست عندنا من القواعد الكلية بل من الضوابط الجزئية لتدريب المبتدئين ، لا لخوض المجتهدين ، ولتمرين الطالبين ، لا لتحقيق الراسخين ... وأغراض الناس تختلف ، ولكل مقصده ، ولا ننكر على أحد مقصده ، وإنما ننكر إدخال شيء في شيء لايليق به ، ويكبر حجم الكتب بما لا حاجة إليه »[1] .

وتنبه السيوطي إلى ذلك ، ولكنه لم يتجنبه أو يحذر منه ، بل وقع

---

(١) القواعد ، المقري ، عن مقدمة التحقيق ١٤٤/١ .

فيه ، ووضعه في كتابه ، وصرَّح به في عنوان الكتاب الرابع ، فقال : « أحكام يكثر دورها ، ويقبح بالفقيه جهلها »[١] ، وهذه الأحكام محلها كتب الفقه ، وليس كتب القواعد الفقهية ، أو الأشباه والنظائر ، وصرح بعنوان الكتاب الخامس فقال : « والمخاطب بهذا الباب ، والذي يليه ، المبتدئون »[٢] .

٤ ـ ذكر السيوطي بعض القواعد الفرعية مما لا يمكن اعتبارها قواعد حسب المصطلح عليه ، فبعضها ضوابط فقهية ، وبعضها مجرد أحكام فقهية جزئية ، كما حوى الكتاب بعض القواعد الأصولية ، وقواعد النحو واللغة العربية ، وهذا خروج عن موضوع الكتاب ، ومضمونه ، ومنهاجه ، وغرضه الأساسي .

٥ ـ عرض السيوطي بعض القواعد الكلية ، ثم بين ما يتفرع عنها من قواعد . ولكن عمله لم يكن مطرداً ، واقتصر على بعض الحالات ، وأغفل ذلك في أكثر القواعد ، كما أشرنا قبلاً في بحث القواعد المتفرعة عن القاعدة الكلية « العادة محكَّمة » .

٦ ـ صرح السيوطي في الكتاب الأول أن القواعد الأساسية خمس ، ولكنه جعلها عند الشرح ست قواعد فقال : القاعدة السادسة : « العادة محكَّمة » وجعل القاعدة الخامسة : « الحاجة تنزل منزلة الضرورة». ولعل هذا خطأ مطبعي ، أو خطأ في النسخ ، لأن هذه القاعدة الخامسة هي الفرع الخامس للقاعدة الرابعة ، وتأتي « العادة محكمة » باعتبارها القاعدة الخامسة الأساسية[٣] .

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٨٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٥ .
(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٨ ، ٨٩ .

٣ ــ أهمية كتاب « الأشباه والنظائر » :

إن كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطي يمثل الذروة في كتب القواعد الفقهية عامة ، وعند الشافعية خاصة ، شكلاً ومضموناً ، وفيه غزارة علمية كبيرة وقواعد كثيرة ، وأحكامه فقهية ، وفروع جزئية ، ومسائل عمليه لا تحصى ، مما يدل على سعة اطلاع السيوطي ، وعمق معرفته في الفقه ، ليلحق الفروع من أبواب مختلفة بالقاعدة ، مع توشيحه بالفوائد الجمة ، والتنبيهات الدقيقة ، والتعقيبات الفريدة ، والعبارات الواضحة ، والأسلوب المشرق ، والبيان الفصيح ، والتنويع المحبب ، والمسائل المشوقة .

والكتاب زاخر بمختلف فنون الأشباه والنظائر ، ويحتوي على مجموع القواعد الكلية ، والأحكام المتناظرة ، والفروق الدقيقة ، وحشد كبير من الجزئيات المبثوثة في كتب الشافعية ، مما يؤكد أيضاً أن السيوطي فقيه متبحر ، وله باع طويل من المذهب الشافعي ، واطلاع واسع على كتب المذهب وكتب القواعد والأشباه . وله حافظة لا تضاهى للمسائل الفقهية ، وموهبة نادرة في معرفة مظان الأحكام الفرعية ، مما يوحي أيضاً بأنه يملك مكتبة فقهية كبيرة ، ويملك ناصية القلم والبيان لصياغة القواعد ، وهو من هو في الأدب والنحو اللغة .

وعرف الناس والعلماء مكانة هذا السفر العظيم ، فأقبلوا عليه بالدراسة والمطالعة ، والنسخ والنشر ، وفي مجال التعليم والتدريس ، واعتنوا به عناية فائقة ، وذاع صيته ، وانتشر فضله قديماً ، كما تبوأ المكانة العالية حديثاً لدى الجامعات الإسلامية وكليات الشريعة ، وأصبح مرجعاً أساسياً لطلاب الدراسات العليا ، ومصدراً رئيساً في البحوث الفقهية والأصولية ، ومنهلاً للتكوين الفقهي .

ومن مظاهر أهمية الكتاب أنه حظي برعاية المؤلفين ، وظهرت حوله دراسات متعددة ، منها :

١ - أن أبا بكر بن أبي القاسم الأهدل (١٠٣٥هـ) استخلص القواعد من « الأشباه والنظائر » ونظمها في منظومة باسم « الفرائد البهية » ، ثم شرح هذه المنظومة الشيخ عبد الله بن سليمان الجوهري اليمني (١٢٠١هـ) ، وسمى الشرح « المواهب السنية على الفرائد البهية »[١] ، ثم قام الشيخ محمد ياسين بن عيسى الفاداني المكي بوضع حاشية على هذا الشرح ، وأسماها « الفوائد الجنية حاشية على المواهب السنية » وطبعت .

٢ - حاشية على الأشباه والنظائر للسيوطي ، لبهاء الدين محمد بن محمد باقر السبزاوري الشافعي (١٠٣٣هـ) .

٣ - حاشية على الأشباه والنظائر للسيوطي ، لإبراهيم بن السيد صبغة الله ، المعروف بفصيح الدين البغدادي الشافعي (١٢٩٩هـ)[٢] .

وإن كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطي قد وفى الموضوع حقه ، ولم يترك مجالاً لمستزيد ، ووصل إلى غاية الجمع والإتقان ، والإحاطة والشمول ، ولذلك لم يقدم أحد - فيما نعلم - طوال خمسة قرون مضت على مضاهاته ، أو التصنيف في موضوعه ، ولذلك تنافست المطابع ودور النشر والمكتبات على طباعته وتصويره وتوزيعه في أرجاء العالم الإسلامي ، وتصدَّر رفوف المكتبات العامة والخاصة .

(١) طبعت المواهب السنية شرح الفرائد البهية بهامش « الأشباه والنظائر » للسيوطي ، طبعة مكة سنة ١٣٣١هـ ، (انظر : معجم المطبوعات العربية ص١٠٧٣) .

(٢) انظر القواعد الفقهية ، للندوي ص٤٤٢ نقلاً عن هدية العارفين ٤٢/٥ - ٤٣ ، ٣١٦/٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن لا بدَّ من الاعتراف بالحق ، ولو كان مُرّاً ، بأن هذا الكتاب لم يُخدم خدمة كافية تليق بأهميته ومكانته ، وأنه يحتاج إلى تحقيق علمي رفيع ، لعزو الأحاديث إلى كتب السنة المشهورة ، ونسبة الأحكام الفقهية والمسائل المتنوعة إلى مظانها من كتب الفقه المعتمدة في المذهب ، ليتم نشره محققاً بطباعة أنيقة ، وثوب قشيب ، ومحلى بالفهارس الضرورية لتسهيل الرجوع إليه ، والاستفادة منه عملياً بشكل كامل .

وقد أثنى العلماء في مختلف العصور على الكتاب ، والإطراء به ، وبيان جواهره ومكنوناته للناس . ونكتفي في هذا الخصوص بنص واحد لشاب هندي من ندوة العلماء ، وهو الأستاذ علي أحمد الندوي قال فيه ، بعد أن تعرض للكتاب في مواطن متعددة من رسالته : « الكتاب المذكور من أروع المؤلفات في القواعد الفقهية ، وأغزرها مادة ، وأحسنها ترتيباً وتنسيقاً ، تداولته أيدي العلماء في كل مكان ، وحظي بحسن القبول والرواج ، وفي الواقع أتى فيه المؤلف بخلاصة مركزة ، وزبدة مستخلصة من كتب السابقين في هذا المجال ، فجمع فيه معظم ما تفرَّق وتناثر من القواعد في كتب هذا الفن لتاج الدين السبكي والعلائي والزركشي ، وأضحى بذلك مصدراً خِصْباً لدراسة القواعد الفقهية خاصة في المذهب الشافعي »[1] .

(١) القواعد الفقهية ، للندوي ص٢٠٨ .

مراجع البحث

١ ـ الأشباه والنظائر قواعد وفروع فقه الشافعية ، للسيوطي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .
٢ ـ الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي ، طبع شركة الطباعة الفنية بالقاهرة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
٣ ـ الأشباه والنظائر ، لابن نجيم الحنفي ، نشر مؤسسة الحلبي بالقاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م .
٤ ـ الاستغناء في الفرق والاستثناء ، للبكري ، نشر جامعة أم القرى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
٥ ـ أصول الفقه ، للشيخ محمد أبو زهرة ، مطبعة مخيمر بالقاهرة ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .
٦ ـ أصول الفقه الإسلامي ، للدكتور محمد الزحيلي ، مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
٧ ـ الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، بدون تاريخ .
٨ ـ إيضاح السالك إلى قواعد الإمام مالك ، للونشريسي ، طبع الرباط ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
٩ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٣٤٨هـ .
١٠ ـ تخريج الفروع على الأصول ، للزنجاني ، طبع جامعة دمشق ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .
١١ ـ التعريفات ، للجرجاني ، تصوير لبنان ، ١٩٦٩م .
١٢ ـ تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي ، تصوير عن طبعة إدارة الطباعة المنيرية بمصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .
١٣ ـ تهذيب الفروق ، للشيخ محمد علي بن حسين المالكي المكي ، على هامش

« الفروق » ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر ، ١٣٤٦هـ .

١٤ ـ الحاوي للفتاوي ، لجلال الدين السيوطي ، إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة ، ١٣٥٣هـ .

١٥ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للسيوطي ، طبع دار الكتب العربية بالقاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

١٦ ـ الذخيرة ، للقرافي ، مطبعة كلية الشريعة ، بالجامعة الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

١٧ ـ الرد على من أخلد إلى الأرض ، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

١٨ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي ، طبعة القدسي بالقاهرة ، ١٣٥٠هـ .

١٩ ـ صحيح البخاري ، للإمام البخاري ، ضبط الدكتور مصطفى البغا ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٢٠ ـ صحيح مسلم ، للإمام مسلم القشيري النيسابوري ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، مع شرح النووي ، بدون تاريخ .

٢١ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للسخاوي ، طبع مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م .

٢٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى ، لابن السبكي ، طبع عيسى البابي الحلبي ، بالقاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م .

٢٣ ـ العرف والعادة في رأي الفقهاء ، للشيخ الدكتور أحمد فهمي أبو سنة ، مطبعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

٢٤ ـ غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، للحموي ، دار الطباعة العامرة ، ١٣٥٧هـ/القاهرة .

٢٥ ـ الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، للمراغي ، الطبعة الثانية تصوير ، بيروت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٢٦ ـ الفروق ، للقرافي ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٤٦هـ .

٢٧ ـ الفكر السامي ، للحجوي الفاسي ، مطبعة إدارة المعارف بالرباط ، ١٣٤٠هـ ، وبفاس ١٣٤٥هـ .

٢٨ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي ، مطبعة مصطفى محمد ، ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م .

٢٩ ـ القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

٣٠ ـ القواعد ، لابن رجب الحنبلي ، طبع دار المعرفة ، بيروت ، تصوير ، بدون تاريخ .

٣١ ـ القواعد ، لأبي عبد الله المقّري ، تحقيق أحمد بن عبد الله بن حميد ، نشر جامعة أم القرى ، بمكة المكرمة ، بدون تاريخ .

٣٢ ـ القواعد الفقهية ، للأستاذ علي أحمد الندوي ، طبع دار القلم ـ دمشق ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٣٣ ـ كشاف اصطلاحات الفنون ، للتهانوي ، تصوير عن مكتبة كلكتا بالهند ، ١٨٦٢م .

٣٤ ـ **كشف الكتب والظنون عن أسامي الفنون** ، **ملاجلبي** ، الحاج **خليفة** ، **طبعة أولى ١٣١٠هـ/طبعة** استانبول ١٣٥١هـ .

٣٥ ـ **الكليات** ، لأبي البقاء الكفوي ، نشر وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٨١م .

٣٦ ـ مختصر من قواعد العلائي وكلام الإسنوي ، لابن خطيب الدهشة ، تحقيق البنجويني مطبعة الجمهور ، الموصل ، ١٩٨٤م .

٣٧ ـ المدخل لدراسة التشريع الإسلامي ، للدكتور عبد الرحمن الصابوني ، نشر جامعة دمشق ـ بدون تاريخ .

٣٨ ـ المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي ، للدكتور مصطفى الشلبي ، طبع مصر ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

٣٩ ـ المدخل الفقهي العام ، للأستاذ مصطفى الزرقا ، الطبعة السابعة ـ دمشق ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

٤٠ ـ مرآة المجلة ، يوسف آصاف ، المطبعة العمومية بمصر ، ١٨٩٤م .

٤١ ـ المصباح المنير ، للفيومي ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٢٦م .

٤٢ ـ معجم المطبوعات العربية . يوسف سركيس ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة بدون تاريخ .

٤٣ ـ المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤٤ ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية ، تونس ،١٩٧٨م .

٤٥ ـ مقالات الكوثري ، للشيخ محمد زاهد الكوثري ، طبع مكتبة التراث ، حلب ، بدون تاريخ .

٤٦ ـ المنثور في القواعد ، للزركشي ، تحقيق الدكتور تيسير فائق محمود ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الفليج ، الكويت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٤٧ ـ النظريات الفقهية ، للدكتور فتحي الدريني ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٤٨ ـ النظريات والقواعد في الفقه الإسلامي ، بحث للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان في مجلة جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية ، العدد ٢ ، سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٤٩ ـ نهاية السول في شرح منهاج الأصول ، للإسنوي ، تصوير عالم الكتب ، بيروت ،١٩٨٢م عن المطبعة السلفية ـ بالقاهرة ، ١٣٤٥هـ .

٥٠ ـ وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٩م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السيوطي النحوي

الدكتور محمد أحمد الدالي

كان علم العربيّة أول العلوم التي طلبها السيوطي وجدَّ في تحصيلها[1] ، حتى غدا رابع العلوم السبعة التي قال إنه رُزق التبحّر فيها[2] .

وتلقّاه على شيوخ العربية بمصر في عصره ، وأشهرهم وأبعدهم أثراً فيه : تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشُّمُنّيّ (ت ٨٧٢هـ) ، ومحيي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان الكافِيَجيّ (ت ٨٧٩هـ) .

وصنّف في علم العربية ٣٢ كتاباً[3] ، وأهمها : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، والأشباه والنظائر في النحو ، وشرح شواهد مغني اللبيب ، والاقتراح في أصول النحو . وله في غير مسألة من مسائل هذا العلم آراء اختار أكثرها من أقوال من تقدمه من علماء العربية .

فهل في مصنفات السيوطي وآرائه في علم العربية ما يسوّغ له هذه الدعوى العريضة التي ادعاها : أنه رزق التبحّر في هذا العلم ؟!

سبيلُنا في الإجابة عن ذلك وفي الاطمئنان إلى حُكم فيه مصنفاته وآراؤه . وفيما يأتي من هذه الكليمة تعريفٌ بأهم مصنفاته التي تقدم ذكرها ، ثم ذكرُ طائفة من آرائه . وقد أفدت في ذلك من كتب السيوطي المذكورة ،

---

(١) الأشباه والنظائر (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) ١/١ .

(٢) حسن المحاضرة ١/٣٧٨ .

(٣) مقدمة محقق الأشباه والنظائر (ط. المجمع) 23 .

ومن مقدمات محققيها ، ومن الدراسة المطولة التي ألّفها الدكتور عدنان محمد سلمان وأسماها « السيوطي النحوي » ، وهي دون ما يؤمل من دراسة بهذا العنوان ، وفيها فوائد .

أما « الأشباه والنظائر في النحو » فقد اشتمل على سبعة فنون[٤] :

الأول : فن القواعد والأصول التي تردّ إليها الجزئيات والفروع ، وهو مرتب على حروف المعجم ، وهو معظم الكتاب ومهمُّه . قال السيوطي : « وقد اعتنيت فيه بالاستقصاء والتتبع والتحقيق ، وأشبعت القول فيه ، وأوردت في ضمن كل قاعدة ما لأئمة العربية فيها من مقال وتحرير وتنكيت وتهذيب واعتراض وانتقاد وجواب وإيراد ، وطرزتها بما عدّوه من المشكلات من إعراب الآيات القرآنية والأحاديث والأبيات الشعرية وتراكيب العلماء في مصنفاتهم المروية وحشوتها بالفوائد ، ونظمت في سلكها فرائد القلائد » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثاني : فن الضوابط والاستثناءات والتقسيمات ، وهو مرتب على الأبواب .

الثالث : فن بناء المسائل بعضها على بعض .

الرابع : فن الجمع والفرق .

الخامس : فن الألغاز والأحاجي والمطارحات والممتحنات .

السادس : فن المناظرات والمجالسات والمذاكرات والمراجعات والمحاورات والفتاوى والواقعات والمراسلات والمكاتبات .

السابع : فن الأفراد والغرائب .

قال السيوطي : « وقد أفردتُ كل فن بخطبة وتسمية ليكون كل فن من السبعة تأليفاً مفرداً ، ومجموع السبعة هو كتاب الأشباه والنظائر .

(٤) الأشباه والنظائر (ط. المجمع) ١/٧ - ٩ .

فدونكه مؤلَّفاً تشد إليه الرحال وتتنافس في تحصيله الرجال » .

جمع السيوطي مادة كتابه التي فرّقها في هذه الفنون السبعة مما وقف عليه وأخذ منه من كتب العربية وما إليها . وبلغت عدة المصادر التي صرح بنقله منها ٢٧٨ مصدر في الفهرس الذي صنعه الدكتور عبد العال سالم مكرم لطبعة الأشباه والنظائر التي حققها (؟!) وفيه خلل . وأهم هذه المصادر :

١ – كتب الزجّاجي : الجمل ، الأمالي ، اللامات ، مجالس العلماء .

٢ – كتب أبي علي الفارسي : الأغفال ، التذكرة ، البغداديات ، القصريات .

٣ – كتب ابن جني : الخصائص ، سر الصناعة ، المحتسب ، الخاطريات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ – كتب الزمخشري : المفصل ، الأحاجي ، الفائق ، الكشاف .

٥ – كتب علم الدين السخاوي : سفر السعادة ، المفضل في شرح المفصل ، تنوير الدياجي في شرح الأحاجي .

٦ – كتب ابن مالك : التسهيل وشرحه ، العمدة وشرحها ، الكافية الشافية وشرحها .

٧ – كتب أبي حيان : الارتشاف ، التذييل والتكميل في شرح التسهيل ، نهاية الإعراب في علمي التصريف والإعراب .

٨ – كتب ابن هشام الأنصاري : المغني ، حواشي التسهيل ، شرح شذور الذهب ، التذكرة ، موقظ الوسنان وموقد الأذهان ، شرح اللمحة البدرية .

٩ – كتب أبي البركات بن الأنباري : الإنصاف ، نزهة الألبا .

١٠ - الأصول لابن السراج .
١١ - شرح المفصل لابن يعيش
١٢ - شرح المفصل للعلم اللورقي الأندلسي
١٣ - البسيط لابن العلج .
١٤ - البسيط لركن الدين الأستراباذي .
١٥ - المقرب لابن عصفور .
١٦ - المغني لابن فلاح .
١٧ - التبيين للعكبري .
١٨ - التذكرة لابن الصائغ .
١٩ - التذكرة لابن أم مكتوم .
٢٠ - التعليقة على المقرب لابن النحاس .
٢١ - شرح الجمل لابن عصفور .
٢٢ - الغرّة لابن الدهان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والكتاب من المراجع النحوية الهامة ، ولا يُعرف كتاب غيره سلك مؤلفه « بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه وألّفوه من كتب الأشباه والنظائر »(٥) . وفيه كثير من النصوص النحوية التي نقلها السيوطي من كتب لم تنته إلينا ،ومنها تذكرة أبي علي وتذكرة ابن هشام والمغني لابن فلاح والبسيط لابن العلج .

وأما « همع الهوامع في شرح جمع الجوامع » فهو كتاب شرح فيه السيوطي كتاباً له مختصراً في العربية سمّاه « جمع الجوامع » وقال في وصفه : « فإن لنا تأليفاً في العربية جمع أدناها وأقصاها ، وكتاباً لم يغادر من مسائلها

(٥) الأشباه والنظائر (ط. المجمع) ٣/١ .

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .... وجمعته من نحو مائة مصنف ، فلا غرو أن لقبته جمع الجوامع » وهو « جامع لِما في الجوامع من المسائل والخلاف ، حاوٍ لوجازة اللفظ وحسن الائتلاف ، محيط بخلاصة كتابَي التسهيل والارتشاف مع مزيد واف فائق الانسجام قريب من الأفهام »(٦) .

جعله مؤلفه في مقدمات وسبعة كتب .

تناول في المقدمات تعريف الكلمة وأقسامها ، والكلام والكلم ، والجملة والقول ، والإعراب والبناء ، والمنصرف وغيره ، والنكرة والمعرفة وأقسامها .

وأما السبعة الكتب فالكتاب الأول « في العُمَد ، وهي المرفوعات وما شابهها من منصوب النواسخ .

والثاني في الفضلات وهي المنصوبات .

والثالث في المجرورات وما حمل عليها من المجزومات وما يتبعها من الكلام على أدوات التعليق غير الجازمة وما ضم إليها من بقية حروف المعاني .

والرابع في العوامل في هذه الأنواع ، وهو الفعل وما أُلحق به وختم باشتغالها عن معمولاتها وتنازعها فيها .

والخامس في التوابع لهذه الأنواع ، وعوارض التركيب الإعرابي من تغيير كالإخبار والحكاية والتسمية وضرائر الشعر .

والسادس في الأبنية .

والسابع في تغييرات الكلم الإفرادية كالزيادة والحذف والإبدال والنقل والإدغام ، وختم بما يناسبه من خاتمة الخط »(٧) .

---

(٦) همع الهوامع (ط. مصر) ١/٢ .

(٧) همع الهوامع (ط. مصر) ١/٣ .

جمع المؤلف كتابه فيما قال من نحو مائة مصنَّف ، وضمّنه خلاصة كتابي « التسهيل » لابن مالك ، و« ارتشاف الضَّرَب » لأبي حيان . وبلغت عدة المصادر التي صنع منها السيوطي كتابه ١٤٥ كتاب في الفهرس الذي صنعه الدكتور عبد العال سالم مكرم لطبعة « همع الهوامع » التي حققها (؟!) ، وفيه خلل .

وأهم هذه المصادر :

١ – ارتشاف الضَّرَب ، لأبي حيان .

٢ – التسهيل ، لابن مالك ، وشرحه له أيضاً .

٣ – شرح التسهيل ، لأبي حيان .

٤ – المغني ، لابن هشام .

٥ – الإفصاح بفوائد الإيضاح لابن هشام الخضراوي .

٦ – البديع ، لمحمد بن مسعود الغزني .

٧ – النهاية ، لابن الخباز .

والكتاب مجمع لمسائل العربية وشواهدها ، وسجلّ لآراء جمهور علماء العربية المتقدمين والمتأخرين . وقد اشتمل الكتاب على ١٨٢١ شاهد من شواهد العربية ، واشتمل ارتشاف الضرب على ١٣٨٧ شاهد .

وأما « شرح شواهد مغني اللبيب » فهو شرح للأبيات التي استشهد بها ابن هشام في مغني اللبيب ، وعدّتها ١٢٠٠ بيت في الطبعة التي حققها الدكتور مازن المبارك والأستاذ محمد علي حمد الله . شرح السيوطي الشواهد على ترتيبها في المغني . وأبان منهجه في شرحه بقوله في صدر كتابه : « أورد أولاً البيت المستشهد به ، ثم أُتبعه بتسمية قائله والسبب الذي لأجله قيلت القصيدة ، ثم أورد من القصيدة أبياتاً استحسنتها .... ثم أتبع ما أورده من الأبيات بشرح ما اشتملت عليه من الغريب والمشكل وبيان ما تضمنته من

الاستشـهـادات العربيـة والنكت الشعرية وما يتعلق بها من فائدة ونادرة وموارده ، وأُتبع ذلك بالتعريف بقائليها .... » ثم ذكر المصادر التي عوّل عليها في شرحه . ومنها دواوين الشعر وكتب الاختيار وأمهات كتب الأدب وأيام العرب وتراجم الشعراء والرجال ، وشروح أبيات سيبويه لابن السيرافي وللأعلم وللزمخشري . وشرح شواهد الإيضاح لابن يسعون ، وشروح شواهد الجمـل للخضراوي وللبطـليوسي وللتدمري ، والمقاصد النحوية في شرح شـواهد شرح الألفية للعيني ، وأمالي ابن الشجري ، ونوادر أبي زيد وابن الأعرابي ، وأمالي القالي وأمالي ثعلب (مجالس ثعلب) .

وهو شرح وسط فيه زبدة كلام من تقدمه إلى الكلام على الشواهد وما يتعلق بها .

وأمـا « الاقـتراح في عـلم أصـول النحو » فقد جعـله المؤلف في مقدمات وسبعة كتب .

أما الكـلام على المقدمات فقد ذكر فيه عشر مسـائل : الأولى : أصول النحو ، والثانية : حدوده ، والثالثة : حد اللغة ، والرابعة : مناسبة الألفاظ للمعاني ، والخامسـة : الدلالات النحوية ، والسـادسـة : الحكم النحوي ، والسابعة : انقسام الحكم النحوي من جهة أخرى ، والثامنة : تعـلق الحكـم النحوي ، والتـاسـعة : هل بين العربي والعجمي واسطـة ، والعاشرة : انقسام الألفاظ إلى واجب وممتنع وجائز .

وأما السبعة الكتب فالأول في السماع ، والثاني في الإجماع ، والثالث في القياس ، والرابع في الاستصحاب ، والخامس في أدلة شتى ، والسادس في التعـارض والتراجيح ، والسـابع في أحوال المستنبط بهذا العـلم ومستخرجه .

جمع المؤلف مادة كتـابه من « لمع الأدلة » و« الإغراب في جدل الإعراب » وهما لأبي البركات بن الأنباري ، ومن الخصائص لابن جني .

وضمنه نقولاً من الأصول لابن السراج ، والألفاظ والحروف لأبي نصر الفارابي ، والإنصاف لأبي البركات بن الأنباري ، وتذكرة أبي حيان ، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي ، وثمار الصناعة ، لأبي عبد الله الحسن بن موسى الجليس ، وشرح التسهيل لأبي حيان ، والممتع لابن عصفور .

فالكتاب قد ضمَّ ما تفرق من كلام من تقدم السيوطي في « أصول النحو » .

لقد حفظت هذه الكتب وغيرها من كتب السيوطي النحوية نصوصاً نحوية كثيرة ، منها ما فقدت أصولها التي نقل السيوطي منها . ولو نشرت جميع الأصول التي عليها بنى السيوطي كتبه لم يجردها ذلك من قيمتها العلمية ولم يسلبها أهميتها فتصير قيمتها تاريخية . بل إنّ فضل السيوطي في جمع مسائل العربية وما تفرق من كلام علمائها في كل مسألة منها وترتيبها ترتيباً حسناً = فضلٌ وافر باقٍ غير مدفوع ولا منكر .

وعلى أن السيوطي كان يصنع من كتب من تقدمه كتباً فقد كان دأبه أن يباهي بما صنع ويدعي أن ما صنعه بديع جليل وأنه أتم وأوفى وأحسن وأجل من الكتب التي صنع منها كتابه !! قال في جمع الجوامع : « هذا ترتيب بديع لم أسبق إليه حذوت فيه حذو كتب الأصول »(٨) ، وقال في حاشيته على مغني اللبيب التي سماها « الفتح القريب » : « أودعتها من الفوائد والفرائد والغرائب والزوائد ما لو رامه أحد غيري لم يكن إلى ذلك سبيل ولا فيه نصيب »(٩) ، وقال في الاقتراح : « لم تسمح قريحة بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله في علم لم أُسبق إلى ترتيبه ولم أُتقدم إلى تهذيبه وهو أصول النحو »(١٠) .

(٨) همع الهوامع (ط. مصر) ٣/١ .
(٩) شرح شواهد مغني اللبيب ص٢ .
(١٠) الاقتراح (ط. إستانبول) ص٢ .

ولو قال قائل : ليس للسيوطي في كثير مما صنفه إلا الجمع والترتيب والتبويب = لم يكن إلى غلوّ في مقالته .

وأمّا آراؤه **النحويّة فهي** في جملتها أقوال اختارها من أقوال من تقدمه من علماء العربية . وهذه أمثلة لها من كتابه « همع الهوامع » تدل على ما وراءها :

١ – « في الأسماء قبل التركيب ثلاثة أقوال : أحدها – وعليه ابن الحاجب – أنها مبنيّة .... الثاني : أنها معربة .... والثالث : أنها واسطة لا مبنيّة ولا معربة .... وهذا هو **المختار عندي** تبعاً لأبي حيان » (الهمع ١٩/١) .

٢ – في إعراب الأسماء الستة اثنا عشر مذهباً أحدها – وهو المشهور – أنّ هذه الأحرف نفسها هي الإعراب وأنها نابت عن الحركات .... الثاني – وهو مذهب سيبويه والفارسي وجمهور البصريين .... أنها معربة بحركات مقدرة في الحروف وأنها أتبع فيها ما قبل الآخر للآخر ... المذهب الثالث : أنها معربة بالحركات التي قبل الحروف والحروف إشباع .... الرابع .... » قال السيوطي : « **وأصحُّها** الثاني » (الهمع ٣٨/١) .

٣ – « إعراب المثنى والجمع بالحروف » هذا قول « الجمهور من المتأخرين ومنهم ابن مالك ، ونسبه أبو حيان للكوفيين وقطرب والزجاج والزجاجي » ووافقهم السيوطي وردَّ قول من زعم غير ذلك ، قال : « وليس الإعراب في المثنى والجمع بمقدرة قبلها أو فيها أو دلائل أو بالبقاء والانقلاب خلافاً لزاعميها » (الهمع ٤٧/١ – ٤٨) .

٤ – إذا اجتمعت النون علامة الرفع في المضارع المسند إلى واو الجماعة أو ألف الاثنين أو ياء المؤنثة المخاطبة مع نون الوقاية « جاز الفك

والإدغام والحذف ، **والأصحُّ** أنها المحذوفة » وهو مذهب سيبويه ورجحه ابن مالك » وذهب أكثر المتأخرين إلى أن المحذوفة نون الوقاية ، وعليه الأخفش الأوسط والصغير والمبرد وأبو علي وابن جني » (الهمع ١/٥١ – ٥٢) .

٥ – المنادى النكرة المقصودة آخر المعارف السبعة « **والأصحُّ** أنّ تعريفه بالقصد » « كما صححه ابن مالك . وذهب قوم إلى أن تعريفه بأل محذوفة » (الهمع ١/٥٤ – ٥٥) .

٦ – إذا اجتمعت نون الإناث ونون الوقاية جاز حذف إحداهما في ضرورة الشعر ، نحو « فَلَيْنِي » ، وذهب المبرد إلى أن المحذوفة نون الوقاية ، قال السيوطي « وهذا هو **المختار** عندي . ورجحه ابن جني والخضراوي وأبو حيان وغيرهم . وحكى صاحب البسيط الاتفاق عليه . وقال سيبويه : هي نون الإناث .... » (الهمع ١/٦٥) .

٧ – « في جواز تقديم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول مذاهب أحدها : المنع مطلقاً ، وعليه البصريون ، والثاني : الجواز مطلقاً ، وعليه الكوفيون ، وهو **اختياري** للتوسع فيهما ، والثالث : الجواز مع أل إذا جرّت بـ « من » .... وعليه ابن مالك » (الهمع ١/٨٨) .

٨ – أيّ الموصولة المضافة المحذوف عائدها في نحو « سلِّم على أيّهم أفضل » « تبنى حينئذ على الضم عند سيبويه .... **والمختار** وفاقاً للكوفية والخليل ويونس إعرابُها » (الهمع ١/٩٠) .

٩ – عند النحاة أن الباء في نحو « بحسبك درهم » زائدة ، وحسبك مبتدأ ، قال السيوطي : « **والمختار** وفاقاً لشيخنا الكافيجي أنه خبر » (الهمع ١/٩٣) .

١٠ – « في رافع المبتدأ والخبر أقوال : فالجمهور وسيبويه على أن رافع المبتدأ معنوي وهو الابتداء .... ورافع الخبر المبتدأ .... وقيل : العامل

في الخبر هو الابتداء .... وقيل : العامل فيه الابتداء والمبتدأ معاً ...... وذهب الكوفيون إلى أنهما ترافعا ، فالمبتدأ رفع الخبر والخبر رفع المبتدأ .... وهذا المذهب اختاره ابن جني وأبو حيان ، وهو **المختار** عندي .... » (الهمع ١/٩٤ – ٩٥) .

١١ – في جواز حذف العائد على المبتدأ من جملة الخبر أقوال ، قال السيوطي : « **والمختار** .... الجواز بشرطين : أحدهما وجود دليل يدل على المحذوف . الثاني : ألاّ يؤدّي إلى رجحان عمل آخر .... » (الهمع ٩٧/١) .

١٢ – إذا وقع الظرف أو الجار والمجرور خبراً فـ « عامله كونٌ منويّ في الأصح ، والتحقيق وفاقاً لابن كيسان أنه الخبر والعامل في مرفوعه ، **والمختار** وفاقاً لابن مالك تقديره اسم فاعل .... » (الهمع ٩٨/١) .

١٣ – أطلق الجمهور وجوب حذف الخبر إذا وقع المبتدأ بعد لولا الامتناعية . قال السيوطي : « **والمختار** وفاقاً للرماني والشلوبين وابن مالك : يجب ذكره إن كان خاصاً ولا دليل عليه » (الهمع ١٠٤/١) .

١٤ – « نواسخ الابتداء (كان وأخواتها) .... ترفع المبتدأ خلافاً للكوفية » « فمذهب البصريين أنها ترفع المبتدأ ويسمى اسمها .... ومذهب الكوفيين أنها لم تعمل فيه شيئاً وأنه باق على رفعه » (الهمع ١/١١٠ – ١١١) .

١٥ – « إذا وقعت أنَّ بعد لو فمذهب سيبويه وأكثر البصريين أنها في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف لا يجوز إظهاره .... وذهب الكوفيون والمبرد والزجاج والزمخشري وابن الحاجب إلى أنه فاعل بفعل مقدر تقديره ثبت . وهذا هو **المختار** لإغنائه عن تقدير الخبر وإبقاء لو على حالها من الاختصاص بالفعل .... » (الهمع ١٣٨/١) .

١٦ - الجمهور على أن « الآن » ظرف مبني ، واختلفوا في علة بنائه ، قال السيوطي « **والمختار** إعرابه » (الهمع ١/٢٠٧ - ٢٠٨) وهو قول بعض النحويين .

١٧ - في مفاد « رُبَّ » « أقوال : أحدها : أنه للتقليل دائماً ... ثانيها للتكثير دائماً .... ثالثها وهو **المختار** عندي وفاقاً للفارابي أبي نصر وطائفة أنها للتقليل غالباً والتكثير نادراً ... » (الهمع ٢/٢٥) .

١٨ - يتلقى القسم في النفي بما ولا وإن ، وقيل يتلقى بلن ولم ، ونقل أبو حيان عن محمد بن خلصة[١١] الضرير أنه يتلقى بلم دون لن ، قال السيوطي : « وعندي عكسه وهو جواز التلقي بلن دون لم .... » (الهمع ٢/٤١) .

١٩ - « **الأصحّ** أن الجر في المضاف إليه بالمضاف ، قاله سيبويه ... وقال الزجاج وابن الحاجب : هو بالحرف المقدر .... وقال الأخفش : بالإضافة » (الهمع ٢/٤٦) .

٢٠ - « لا يفصل بين المتضايفين أي المضاف والمضاف إليه اختياراً ... إلا بمفعوله وظرفه **على الصحيح** .... وجوزه أي الفصل الكوفيون مطلقاً .... » (الهمع ٢/٥٢) .

٢١ - « أمَّا .... **الأصحّ** أنها حرف بسيط . وقيل مركب .... » (الهمع ٢/٦٧) .

٢٢ - « حبّذا ... **الأصح** أنّ ذا فاعله .... » (الهمع ٢/٨٨) .

٢٣ - « الجمهور على أنه لا يؤكد به أي بأجمع دون كل اختياراً ، **والمختار** وفاقاً لأبي حيان جوازه » (الهمع ٢/١٢٣) .

---

(١١) في المطبوع « خاصة » وهو تحريف صوابه ما أثبت ، انظر ترجمته في بغية الوعاة ١/١٠٠ ، وجاء على الصواب في طبعة الكويت ٤/٢٤٤ .

٢٤ ـ « **المختار** خلافاً للجمهور إثبات بدل الكل من البعض » (الهمع ٢/١٢٧) .

٢٥ ـ « قال أبو حيان : وشذ أيضاً قولهم : ما أُعظم الله وما أقدره ... لعدم قبول صفات الله الكثرة ، **والمختار** وفاقاً للسبكي وجماعة ... جوازه » (الهمع ٢/١٦٧) .

تبين من خلال ما تقدم أنَّ منهج السيوطي في تأليف كتبه قائم على الجمع والنقل والترتيب والتبويب ، وأن منهجه النحوي قائم على الاختيار من أقوال من تقدمه من النحاة في الغالب ، وهو موافق للبصريين في كثير من آرائه ، وهو معهم في أصول النحو .

إنَّ للسيوطي فضلاً في جمع مادة كتبه وتقسيمها وتبويبها وترتيبها أحسن ترتيب ، وإنَّ له علماً بالنحو دلّ عليه اختياره ما اختاره من آراء فيه ، وكلا هذين سالكه بين النحاة غير شك .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإمام جلال الدين السيوطي
العالم الموسوعي

الأستاذ بديع السيد اللحام

عاش الإمام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين أبي المناقب أبي بكر بن ناصر الدين محمد السيوطي (٨٤٩ – ٩١١هـ) في أواخر العصر الذي اصطلح المؤرخون على تسميته بـ(عصر سلاطين المماليك) الذي تميز بحركة علمية نشيطة ، وأنجب عدداً كبيراً من أساطين العلم ، وقد تميزت الحركة العلمية في هذا العصر بظهور الموسوعات العلمية التي تشمل الفنون المعروفة فيه كافة ، ولذلك وصف هذا العصر ، بأنه (عصر الموسوعات) أو (عصر المجاميع) ، ويعد السيوطي أبرز العلماء الموسوعيين في هذا العصر ، وقد حاولت في هذا البحث أن ألقي الضوء على هذه الناحية في حياة السيوطي ، مبتدئاً بنشأته ، ومختتماً برحلاته العليمة ، مروراً بالعلوم التي برز ونبغ فيها ، ومعرفاً بأشهر أساتذته :

نشأته العلمية المبكرة :

نشأ الإمام جلال الدين السيوطي في بيئة علمية ، إذ كان والده من أهل العلم ، كما كانت أسرته ذات ميل إلى التصوف واعتقاد بالأولياء فلا عجب بعد ذلك أن نجده ومنذ بداياته الأولى يميل إلى العلم والتعلم بكليَّته ، وقد ساعده على ذلك حرص والده الشديد على تعليمه وتسليكه طريق الطلب فكان يحمله وهو ما يزال صغيراً لم يتجاوز الثالثة من عمره

ويحضره مجالس أكابر العلماء في عصره ، يقول السيوطي عند ترجمته للشيخ رضوان العقبي :

« لا أشك في أنَّ لي منه إجازة ، فإنَّه كان مُسمِع الحديث بالشيخونية ، وكان والدي يحضر مجلس الختم عنده ، وكنت كثيراً ما أحضر مع والدي الشيخونية ، مات في رجب سنة ٨٥٢هـ »[١] ، وما كان والد السيوطي ليكتفي باحضار ابنه الصغير مجالس العلماء بل وجَّهه إلى حفظ القرآن الكريم وبعض المتون العلمية .

ولكن السيوطي لم ينعم بالرعاية الأبوية طويلاً إذ سرعان ما توفي والده ولم يكن قد تجاوز السنوات الست من عمره ، وكان قد وصل في حفظ القرآن الكريم إلى سورة التحريم ، ولكن هذا الحادث الجلل بالنسبة إلى طفل صغير لم يؤثر في توجه الصبي العلمي ، وذلك أن والده كان قد أسند وصايته إلى عدد من علماء عصره وعلى رأسهم العلامة المحقق الكمال بن الهمام الحنفي الذي نشأ الإمام السيوطي ملحوظاً بعنايته[٢] .

استمر السيوطي سائراً على الطريقة التي نشَّأه عليها والده ، فأتمَّ حفظ القرآن الكريم ولمَّا يتجاوز الثماني سنوات من حياته ، وأتمَّ حفظ عدد من المتون مثل : (منهاج الطالبين) في فروع الشافعية للنووي ، و(منهاج السول في علم الأصول) للبيضاوي ، و(الألفية في النحو) لابن مالك ، و(عمدة الأحكام عن سيد الأنام) في الحديث لعبد الغني المقدسي ، وقد عرض ما أتمَّ حفظه من هذه المتون على عدد علماء عصره أمثال : العلم

(١) المرجع السابق : ٥٠ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٣٦ ، بغية الوعاة : ١/١٦٧ ، وانظر الفتح المبين في طبقات الأصوليين للشيخ عبد الله المراغي : ٢/٦٥ ، وطرز العمامة : ٨١٥ (مطبوعة ضمن شرح مقامات السيوطي) .

البلقيني ، والشرف المناوي ، والعز الحنبلي ، وشيخ الشيوخ أمين الدين الاقصرائي ، وذلك في صفر سنة (٨٦٤هـ) أربع وستين وثمانمئة ، وله خمس عشرة سنة(١) .

تلك كانت نشأة السيوطي الأولى : (بيئة علمية حافلة بالشيوخ الكبار ، أسرة صالحة ، ذكاء فطري ، حافظة قوية ، موهبة فذّة) عوامل ساعدت على النبوغ العلمي المبكر .

دراسته والعلوم التي نبغ فيها :

بعد تلك الطفولة المباركة والنشأة الطيبة ، توجّه السيوطي إلى الاشتغال بالعلم مجرداً همته لذلك ، لا يلتفت إلى شيء من أمور الدنيا ، فقد كان يمتلك الرغبة القوية الجامحة ، والاستعداد الحسن والمتابعة الجيدة للتحصيل العلمي ، فلازم العلماء ملازمة تامة وزاحم الطلبة بالأخذ عن أئمة عصره في كل فن ، وعكف على الكتب والمكتبات ينهل مما فيها ، وجدَّ واجتهد ، بحيث كان يمضي وقته كلّه متنقلاً من حلقة شيخ إلى مجلس عالم لا يعرف الكلال والملل ، يقول :

« .. وكنت أذهب من الفجر إلى دروس البلقيني فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر ، ثم أرجع إلى الشمني فأحضر مجلسه إلى قرب العصر ، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة (السبت والاثنين والخميس) وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين بكرة ، ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافيجي .. »(٢) .

ومما يلاحظ على طريقة السيوطي في التلقي عن الشيوخ أنّه كان

(١) التحدث بنعمة الله :٢٣٦ .
(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٤٠ .

يلازم الشيخ من هؤلاء المذكورين إلى وفاته ثم ينتقل إلى غيره وهكذا ، ولذلك يقول : « ..ولازمته – أي العلم البلقيني – في الفقه إلى أن مات .. فلما توفي سنة ثمان وستين لزمت شيخ الإسلام شرف الدين المناوي »[1] .

والأمر الآخر الذي تميَّز به السيوطي في أثناء تلقيه للعلم أنَّه كان يصب اهتمامه على المباحث العلمية الدقيقة والجادة ، ولايكتفي بمجرد السرد والسماع ، وهو ما عبر عنه بقوله :

« ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالي بما هو أهم وهو قراءة الدراية .. »[2] .

لقد كان إقبالُ السيوطي على العلم إقبالَ الجائع النَّهم الذي لا يرتوي مصداق حديث النبي ﷺ : « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا »[3] وقد كان السيوطي نموذجاً لطالب العلم الذي لا يشبع ، وقد آتى هذا الحب للعلم والجلد عليه أُكُله عند السيوطي سريعاً ، فما هي إلا أن أجازه أشياخه بالتدريس ولم يجاوز السابعة عشرة من عمره ، ففاق أقرانه وأصبح المشار إليه بالبنان ، وتصدَّر للتدريس في سن مبكرة[4] .

(١) حسن المحاضرة : ٣٣٧/١ وقارن بتصدير طبقات المفسرين له (طبعة ليدن) : ص٥ .

(٢) حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وسكت عنه الذهبي (المستدرك : ٩٢/١) وقد أخرجه ابن عدي في الكامل : ٢٢٩٦/٦ ، والطبراني في المعجم الكبير :٢٢٣/١٠ ، وقال الهيثمي : « فيه ليث بن أبي سليم ضعيف » (مجمع الزوائد : ١٣٥/١) وعزاه في المطالب العالية (١٢٣/٢) إلى إسحاق بن راهويه وقال : « فيه ضعف وله شاهد » قلت : وشاهده عند ابن أبي خيثمة في العلم ، انظر جامع الأحاديث (رقم :٢٣٣٨٣) .

(٤) التحدث بنعمة الله : ٨٨ و ٢٤٠ .

هذا ولم يقتصر تفوق السيوطي وتقدمه على فن واحد ، بل فاق ونبغ في أكثر علوم عصره ، يقول عن نفسه :

« قد رزقت ولله الحمد التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة [١] بحيث أنَّ الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه أحدٌ من أشياخي فضلاً عمَّن دونهم ، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها : الفرائض والإنشاء والترسل ... (ولم) أتبحر في الفرائض كتبحري [٢] في تلك مع أنَّ معرفتي بالفرائض فوق معرفة الموجودين الآن بأسرهم [٣] وقد ألَّفت فيها مؤلفاً جامعاً

(١) كذا وقعت العبارة في : التحدث بنعمة الله (٢٠٣) وحسن المحاضرة (٣٣٨/١) أما الشعراني فقد نقلها عن السيوطي على الوجه التالي : « .. على طريقة العرب البلغاء وعلى طريقة المتأخرين من العجم وأهل الفلسفات » أقول : والذي يظهر لي أن ما جاء عند الشعراني هو الوجه الأقرب وكأنَّ العبارة قد تصحفت في التحدث وحسن المحاضرة ، وذلك أن السيوطي قد تمرس بهذه العلوم على يد شيخ أعجمي رومي كان حجة عصره وهو الشيخ محيي الدين الكافيجي ، وقد تأثر السيوطي به كثيراً ونقل في الأشباه والنظائر النحوية عنه الكثير من المباحث ، إضافة إلى أن آثاره في علم البلاغة تؤكد ذلك ويكفي للتدليل على ذلك أنه استنبط من آية واحدة مئة وعشرين نوعاً بديعياً بحيث يشعر القارئ بأنه يقرأ بحثاً فلسفياً أكثر منه بلاغياً ، وذلك في كتابه (فتح الجليل للعبد الذليل) ـ مطبوع ضمن مجموع تسع رسائل للسيوطي في لاهور ـ .

(٢) لعل السيوطي يقصد أنَّه لم يتبحر في الفرائض كتبحر شيخه شهاب الدين الشارمساحي الذي كان يعد فرضي عصره بلا منازع ، وإلا فهو أعلم أهل عصره بعد شيخه فيها .

(٣) أقول : اشتهر بدر الدين المارديني (المتوفى : ٩١٢هـ) في الرياضيات والفرائض وهو عصريّ السيوطي ، وقد كان المارديني يرجع إلى السيوطي فيما يشكل عليه من مسائل الفرائض من ذلك سؤاله في مسألة الولاء التي أجابه السيوطي عنها برسالته المسماة (البدر الذي انجلى في مسألة الولا) المطبوعة ضمن الحاوي للفتاوي : ١٧٧/١ .

سميته (الجامع) لم أُسبق إلى مثله ، جمعت فيه مسائل الفن وما فيها من خلاف على جميع المذاهب حتى مذاهب الصحابة والتابعين فمن بعدهم وهو في غاية الوجازة[١] ... ودون ذلك في المعرفة : القراءات ولم آخذها عن شيخ ، ولذلك لم أقرئها أحداً لأنها فن إسناد وقد أَلَّفت فيها التأليف البديع[٢] ودونها الطب ، وأما الحساب فأعسر شيء عليّ مع معرفتي به ، ولكن يثقل عليّ النظر فيه وتضيق منه أخلاقي ، ومن ظنَّ أنّي قُلت ذلك قصوراً فذلك لجهله بمقصودي ، وكم من مسألة عرضت عليَّ فيه نظماً ونثراً فأجبت عنها في الحال »[٣] .

إن ما يدعيه السيوطي ليس مجازفة من غير دليل إذ يكفينا ذلك الكم الهائل من المصنفات والرسائل والمؤلفات التي تركها السيوطي وتداولتها أيدي العلماء حتى يومنا هذا[٤] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الجامع في الفرائض ما يزال مخطوطاً منه نسخة في مكتبة برلين برقم (٣٨/٤٧٦٠) .

(٢) هو شرح الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني) منه نسخة في الظاهرية (١٠/٢٩٩) .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٣٠٣ ــ ٣٠٤ وانظر مسالك الحنفا : ٢٢٩ (ط/ضمن الحاوي) .

(٤) وضع السيوطي فهرساً لمؤلفاته سنة (٩٠٤هـ) أي قبل وفاته بسبعة أعوام ذكر فيه : (٣٦) مؤلفاً في فن التفسير ومتعلقاته و(٢٠٣) في فن الحديث ومتعلقاته و(٢٤) في ما يتعلق بمصطلح الحديث و(٧١) في الفقه و(١٧) في الأصول والعقائد والتصوف و(٦٣) في اللغة والنحو والتصريف و(٧) في المعاني والبيان والبديع و(٩) في الكتب الجامعة لفنون عديدة و(٦٩) في الأدب والنوادر والانشاء والشعر و(٢٩) في التاريخ ، وبلغ مجموع هذه المؤلفات : (٥٢٨) مؤلفاً حسب احصائي لما ورد في هذا الفهرس المطبوع في لاهور ضمن مجموع اثني عشر رسالة من رسائل السيوطي .

إنَّ مما يلاحظ على كلام السيوطي السابق ما ذكره من أنَّه لم ينبغ النبوغ الكافي في فن الإنشاء والترسل مع أنَّه ترك لنا مجموعة من القطع الأدبية والمقامات لا تتأتّى في أسلوبها وبلاغتها لأساطين الأدب في عصرنا، يقول الدكتور مصطفى الشكعة واصفاً مقامات السيوطي :

« إنَّها نماذج من فن القول الأدبي تشهد لصاحبها ببلاغة القلم وتمكن الأسلوب، وعمق الثقافة، ورحابة الفكرة، وخصب العطاء، والقدرة على التنويع، وكسر الطوق الذي ضرب حول شكل المقامة وهدفها »[1] .

أي أنَّ السيوطي يعد مجدداً في أدب المقامات[2] وبلغ شأواً في سائر الفنون الأدبية يقول الشكعة : « من اليسير أن نقرر أن الرجل كان كاتباً بليغاً، ومترسلاً متفنناً، وأديباً فذاً، ومؤدباً مرموقاً »[3] .

« ولو أنَّه قدر لأعمال السيوطي الأدبية أن تنشر وحدها بمعزل عن آثاره العلمية المتعددة الموضوعات والفنون لكانت شاهدة على أن السيوطي كان واحداً من رجال الأقلام الأفذاذ في عصره وأنَّه في مقدمة كتَّاب زمانه إبداعاً وقدرة »[3] .

وإن الإنسان ليعجب حينما يعلم بأن السيوطي لم يذكر من بين الفنون التي تبحر فيها فنوناً وعلوماً أُخرى يعدُّ أُحد نوابغ عصره - بله العصور الإسلامية المختلفة - فيها، منها على سبيل المثال (علم التاريخ)

---

(١) السيوطي كاتباً وأديباً : الدكتور مصطفى الشكعة (مطبوع ضمن كتاب الندوة) : ٤٣٢ .

(٢) انظر أبرز خصائص التجديد في مقامات السيوطي في شرح مقامات السيوطي لسمير الدروبي : ١/١١١ - ١١٩، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي : م ٤٢٧/٥ .

(٣) السيوطي كاتباً وأديباً : ٤٣٢ .

الذي يعرف من نفسه أنّه أتى فيه بفوائد لم تتأتَّ لبعض شيوخه حيث يقول في مقدمة كتابه الشماريخ في علم التاريخ :

« وبعد: فقد وقفت لبعض شيوخنا على كتاب في علم التاريخ فلم أر فيه لا قليلاً ولا كثيراً ولا جليلاً يستفاد ولا حقيراً[١] فوضعت في هذا الكتاب من فوائده ما تقر به الأعين وتنحل به الألسن »[٢] .

كما ترك في هذا الفن سوى كتاب الشماريخ عدداً من المؤلفات النافعة الهامة والمفيدة ، وقد أُجريت حول عدد منها البحوث والدراسات الكثيرة مما يدلُّ على أهميتها ، فيعرِّف أحد الباحثين مثلاً كتاب حسن المحاضرة بقوله :

« هو من أمهات المصادر في تاريخ القاهرة خاصة ، وفي التاريخ المصري الإسلامي عامة ، ويضيق المجال في استقصاء روائع ما اشتمل من حقائق ومعلومات واحصائيات وتحليل ونقد ووصف لمظاهر الحياة المصرية في القرن التاسع الهجري »[٣] .

لكـل ذلك : « نستطيع أن نقرِّر أن السيوطي كان في مقدمة المشتغلين بالدراسات التاريخية »[٤] .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) يشير إلى كتاب شيخه الكافيجي المسمى (المختصر المفيد في علم التاريخ) الذي طبع روزنثال قطعة منه ضمن كتابه (علم التاريخ عند المسلمين) : ٣١٧ وما بعدها .

(٢) الشماريخ في علم التاريخ : ٢٥ ـ ٢٦ ، (مطبوع ضمن مجموع تسع رسائل للسيوطي بلاهور) .

(٣) مقال للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في مجلة المنهل السعودية العدد/٤٥٦/ ص : ١٩٣ ، وانظر وصفاً تحليلياً ونقدياً للكتاب في تراث الإنسانية : ٢/٦٣٠ وما بعدها بقلم إبراهيم الأبياري ، وبحثاً للدكتورة سيد كاشف مطبوع ضمن كتاب الندوة : ١٣٣ ـ ١٥٠ .

(٤) دراسات نقدية وتحليلية لكتاب تاريخ الخلفاء : الدكتور علي الخربوطلي ص١٩٣ (مطبوع ضمن كتاب الندوة) .

ويقول باحث آخر : « إن ما تركه السيوطي من المؤلفات التاريخية يسمح لنا أن ننظمه إلى جانب كونه إماما من أئمة الحديث كذلك في سلك المؤرخين »(١) .

وقد سبق إلى ذلك كله نجم الدين الغزي حينما وصف السيوطي بأنه : (حجّة في التاريخ)(٢) .

أما كراتشكوفسكي – المستشرق الروسي – فقد عدَّ السيوطي من بين أبرز الجغرافيين العرب ، وقد أشار إلى أنَّ بعضاً من مقاماته تمس علم الأجناس البشرية (الاثنوغرافية)(٣) .

أما علم الكلام فقد كان السيوطي يميل إلى عدم الاشتغال به ، وقد نقل عنه السخاوي أنّه قال : « إنَّ بضاعتي في علم الكلام مزجاة »(٤) ولكن هذا لا يعني أنّه غير متمكن من هذا العلم نستنتج ذلك من كلامه ومصنفاته ، أما كلامه فما ذكره عن نفسه في مقدمة رسالته (الحبل الوثيق في انصرة الصديق)(٥) حيث يقول :

« .. وهذه مسألة تفسيرية حديثية أصولية (كلامية) نحوية ، فمن لم يكن متبحراً في هذه العلوم الخمسة لم يحسن التكلم في هذه المسألة ، وأنا أوضح الكلام عليها في فصلين .. »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) مؤرخو مصر الإسلامية لمحمد عبد الله عنان : ١٤٢ ، وانظر : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية له أيضاً : ٦٤ .

(٢) لطف السمر وقطف الثمر في أعيان القرن الحادي عشر للغزي : ١٨٤/١ (ط/وزارة الثقافة السورية) .

(٣) تاريخ الأدب الجغرافي العربي : ٤٨٩ .

(٤) الضوء اللامع للسخاوي : ٦٨/٤ .

(٥) مطبوع ضمن الحاوي للفتاوي : ٣٢٦/٢ .

أي أنه متبحر في هذه العلوم الخمسة التي منها علم الكلام .

أما مصنفاته فيكفي الإنسان أن يطالع تكملته لتفسير الجلال المحلي ، وشروحه لكتب الحديث عندما يفسر أو يشرح آيات وأحاديث العقائد والصفات ، ليشهد بأن السيوطي متمكن في علم الكلام عارف بمسائله معرفة خبير حاذق متضلع .

وأما (علم المنطق) فللسيوطي معه شأن آخر سأدعه يحدثنا عن قصته معه حيث يقول :

« ووقعت لي في أيامه ـ أي البلقيني ـ واقعة تحريم المنطق وهو أول وقائعي التي قام الناس عليَّ فيها ، وذلك أني كنت اشتغلت به فقرأت (ايساغوجي) وشرحه على الشيخ شمس الدين الحنفي ، وعلى قاضي طرسوس علاء الدين ـ رجل رومي قدم علينا بالشيخونية فنزل عند شيخنا الكافيجي ـ وكنت إذ ذاك اختصرت (ورقات) إمام الحرمين في مقدمة لطيفة ، فرآها معي القاضي المذكور فأخذها ثم لم يردها إليَّ ، وربما توهمت أنه يريد نسبتها لنفسه إذا ذهب إلى البلاد فسقط من عيني وكنت أبحث معه في المسائل الشرعية فأجده عارياً منها فازدريت المنطق جملة ، ثم وقفت على كلام العلماء في ذمِّه ، وما أفتى به (ابن الصلاح) فملت عن المنطق كل الميل ، فألفت كراساً سميته (الغيث المغرق في تحريم المنطق)[1] .

إذاً بامكاننا أن نقول ابتداء إن السيوطي يحرم الاشتغال بالمنطق ، وانه علل ميله عنه بالتأثر السلبي لسلوك عالم من علماء المنطق من ناحية ، وفتوى عدد من علماء المسلمين بتحريم تعاطي هذا العلم من ناحية أخرى .

---

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٤١ ، وقارن بما جاء في اكتفاء القنوع لادوارد فنديك : ٧٦ و٨٧ (طبع مصر بتصحيح محمد علي الببلاوي) ..

ولكن هل يعني هذا أنَّ السيوطي كان عرياً عن معرفة هذا العلم وللجواب على ذلك نتابع ما يقوله السيوطي في مقدمة كتابه صون المنطق والكلام :

وبعد: فقد كنت قديماً في سنة سبع أو ثمان وستين ألفت كتاباً في تحريم الاشتغال بفن المنطق سميته (القول المشرق)[١] ضمنته قول أئمة الإسلام في ذمه وتحريمه ، وذكرت فيه أنَّ شيخ الإسلام أحد المجتهدين تقي الدين ابن تيمية ألف كتاباً في نقض قواعده ولم أكن إذ ذاك وقفت عليه ، ومضى على ذلك عشرون سنة، فلما كان في هذا العام وتحدثت بما أنعم الله عليَّ من الوصول إلى رتبة الاجتهاد ، وذكر ذاكر أنَّ من شروط الإجتهاد معرفة فن المنطق ـ يعني : وقد فقد هذا الشرط عندي بزعمه ـ وما شعر المسكين أني أحسنه أكثر مما يدعيه ويناضل عليه ، وأعرف أصوله وقواعده وما بنيت عليه وما يتولد منها ، معرفة ما وصل إليها شيوخ المناطقة الآن ... »[٢] .

إذاً فالسيوطي مقرٌّ ببراعته في علم المنطق ومعرفته فيه ، وهذا الإقرار ليس مجرد مجازفة عارية عن الدليل ، فإن من يطالع بعض مؤلفات السيوطي

---

(١) هو نفسه كتاب (الغيث المغدق ـ المغرق ـ في تحريم المنطق) الذي مرَّ ذكره قبل قليل ، وللسيوطي في تحريم المنطق أيضاً :

١ ـ صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام .

٢ ـ جهد القريحة في تجريد النصيحة ـ لخص فيه كتاب ابن تيمية : نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان ـ وكلاهما مطبوع بتحقيق الدكتور علي النشار بمصر .

٣ ـ فتوى في تحريم المنطق ضمن الحاوي للفتاوي : ١/٢٥٥ ـ ٢٥٧ ، وقد عنونها الطابع بالقول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق ، والذي ظهر لي أنَّ هذا العنوان ليس لهذه الفتوى بل أضيف من بعض الناسخين في بعض النسخ المخطوطة فأثبته الطابع .

(٢) صون المنطق والكلام : ٣ .

يشعر بأنَّه يستخدم فيها أساليب المناطقة ومصطلحاتهم مثال ذلك كتابه : (مسالك الحنفا في والدي المصطفى) المطبوع ضمن (الحاوي للفتاوي)[١] وأما في (مقامته البحرية) ، فقد جعل السيوطي من بين شخصياتها رجلاً يتحدث عن قضية نقصان النيل بعد وفائه بمصطلح أهل المنطق[٢] .

وبعد : أظن أن ما تقدم يكفي للتدليل على أن السيوطي لم يكن « مسترسلاً »[٣] فيما ادعاه من تبحره في العلوم التي أشار إليها ، وكيف يدعي ما ليس عنده وهو يروي حديث النبي ﷺ[٤] . « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » ويشرح هذا الحديث بقوله : « المتشبع بما لم يعط : أي المتكثر بما ليس عنده »[٥] .

شيوخه وأساتذته :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد زخرت مصر في عصر السيوطي بنخبة من العلماء، والمفكرين والمحققين في جميع فروع المعرفة الإسلامية ، وكان من حظِّ السيوطي أنَّه تتلمذ لصفوة علماء عصره بحيث كان يوصف الواحد منهم بأنَّه حجة في

---

(١) الحاوي للفتاوي : ٢/٢٠٢ وما بعدها .

(٢) المقامة البحرية : ٢٥٧ و٢٦١ و٢٦٩ (شرح مقامات جلال الدين السيوطي بتحقيق سمير الدروبي ، ط/مؤسسة الرسالة ١٩٨٩م) .

(٣) الضوء اللامع : ٤/٦٩ .

(٤) رواه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٩١٦٨) (ط/ محيي الدين عبد الحميد) وقد أخرجه البخاري في النكاح باب المتشبع بما لم ينل (رقم :٤٩٢١) ومسلم في اللباس باب النهي عن التزوير في اللباس (رقم : ٢١٢٩) وأبو داود (رقم : ٤٩٩٧) وأحمد في المسند .

(٥) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج : ٢٦٢ ، وانظر روح التوشيح : ٣١٥ والفارق بين المصنف والسارق للسيوطي : ٨٢٠ و٨٢٤ (مطبوع ضمن شرح مقامات السيوطي) .

فنه الذي برع فيه ، مع مشاركته وبراعته في بقية الفنون كما سيتضح لنا من خلال تراجمهم الموجزة التي سأوردها فيما يلي ، فمن أشهر هؤلاء :

(١) شمس الدين الحنفي[١] :

هو العلامة : محمد بن سعد بن خليل المرزباني الحنفي المعروف بـ (ابن سعد الدين) .

ولد بعد السبعين وسبعمئة .

كان خازن كتب الشيخونية ، مشهوراً بالصلاح والانجماع عن الناس والإنقطاع إلى الله تعالى ، مقبلاً على نفع العام والخاص والإقراء والتعليم ، وكانت تقريراته للدروس تقريرات بحث .

تمكن من علوم اللغة والمنطق وعلم الكلام فأصبح مبرزاً بين علماء عصره فيها وقد لازمه السيوطي في هذه الفنون فقرأ عليه (الكافية) و(شرحها) للمصنف ، و(المتوسطة) و(الشافية) و(ايساغوجي) و(شرحه) للكاتي ، وبعضاً من كتاب سيبويه ، كل ذلك قراءة بحث واتقان ، كما سمع عليه الكثير من الكتب بحثاً مثل : (شرح العقائد) للتفتازاني ، وتلخيص المفتاح ، وبعض (مختصر ابن الحاجب) الأصلي ، وشيئاً من (ألفية العراقي) ، وغيرها .

توفي في شعبان سنة سبع وستين وثمانمئة (٨٦٧هـ) .

(١) ترجمته في : نظم العقيان : ١٤٩ ، بغية الوعاة : ١/٧٨ ، التحدث بنعمة الله : ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(٢) علم الدين البلقيني :(١)

هو قاضي القضاة شيخ الإسلام : صالح بن عمر بن رسلان الكناني البلقيني الشافعي ، سليل إحدى الأُسر العلمية التي سطع نجمها إبَّان عصر المماليك .

ولد بالقاهرة سنة (٧٩١هـ) .

قرأ على جلَّة علماء عصره ، وتخرَّج بأخيه شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني ، واختير لمنصب قضاء القضاة بعد وفاة أخيه المذكور سنة (٨٢٦هـ) وقد كان في قضائه مهيباً فطناً كما تصفه المصادر .

ألَّف عدداً من الكتب عرف منها تفسيره للقرآن ، وشرحه على البخاري ، وحواشيه على الروضة في الفقه الشافعي وغيرها .

تمكَّن في الفقه وعلا نجمه فيه وبذَّ الأقران ، وقد وصفه السيوطي بأنَّه « إمام الفقهاء ، وحامل لواء مذهب الشافعي في العراق ومصر والشام » وقد ذكر أنَّه بلغ رتبة الاجتهاد في الفقه .

لازمه السيوطي في الفقه الشافعي من سنة (٨٦٥هـ) وحتى وفاته فقرأ عليه كتاب (التدريب) لوالده إلى كتاب الزكاة ، وسمع عليه من أول (الحاوي) إلى العدد ومن أول (المنهاج) إلى الزكاة ، ومن أول (التنبيه) إلى الزكاة ، وقطعة من (الروضة) وقطعة من (التكملة) للزركشي إلى الوصايا وغير ذلك .

---

(١) انظر ترجمته في : نظم العقيان : ١١٩ ـ حسن المحاضرة :١/١٤٤ ـ التحدث بنعمة الله : ٢٣٨ ـ وقد أفرده بالترجمة كما ذكر في حسن المحاضرة ولكنها مفقودة ، وراجع الضوء اللامع ٣/رقم ١١٩٩ ، و٦٦/٤ .

أجازه بالافتاء والتدريس سنة (٨٦٦هـ) في شهر شوال، وحضر تصديره لدى مباشرته تدريس الفقه في الجامع الشيخوني في ذي القعدة (٨٦٧هـ).

توفي البلقيني في رجب سنة (٨٦٨هـ).

(٣) شرف الدين المناوي:[1]

قاضي القضاة شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد المناوي المصري الشافعي. (جد عبد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير).

ولد سنة (٧٩٨هـ).

سمع الشرف ابن الكويك، ولازم ولي الدين العراقي وتخرج به في الفقه والأصول، وتمكن في الفقه الشافعي حتى عدَّ من مجتهدي المذهب.

تصدر للإفتاء والتدريس، وعيِّن في قضاء القضاة سنة (٨٥٢هـ) وكان في قضائه ديناً ورعاً عادلاً. كما كان «صوفياً له أحوال وكرامات»[2].

لازمه السيوطي بعد وفاة شيخه (العلم البلقيني) سنة (٨٦٨هـ) وحتى وفاته فقرأ عليه: قطعة من (المنهاج) وسمعه عليه في التقسيم كاملاً إلا دروساً كما سمع عليه الكثير من شرح (البهجة) ومن حاشيته عليها، ومن تفسير (البيضاوي)، وغير ذلك.

توفي ليلة الاثنين الثاني من جمادى الأولى سنة ٨٧١هـ.

---

(١) انظر ترجمته في: حسن المحاضرة: ٤٤٥/١، شذرات الذهب: ٣١٢/٧.

(٢) السيوطي النحوي: ١٦١ نقلاً عن المنجم/في المعجم للسيوطي: ٧٢.

قال السيوطي : « وهو آخر علماء الشافعية ومحقّقيهم »[١] .

(٤) تقي الدين الشُمني[٢]

هو العلامة ذو الفنون : أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يحيى الشمني القسنطيني المالكي ثم الحنفي .

ولد بالاسكندرية سنة (٨٠١هـ) .

نشأ وتعلم بالقاهرة ، وتخرج على الشمس الشطنوفي ، والشمس البساطي ويحيى السيرامي والعلاء البخاري وغيرهم .

تميَّز في التفسير والحديث وعلوم اللغة ، وبرع في سائر العلوم ، وكان مالكياً ثم تحنَّف ، وطُلب للقضاء مراراً فأباه ، وعُني بنشر العلم والتصنيف ، فألَّف حاشية على المغني سماها (المنصف من الكلام على مغني ابن هشام) وله (مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا) و(شرح مختصر الوقاية) و(شرح نظم نخبة الفكر) لوالده .

كان حجة متوقد الذكاء ، قوي الحافظة ، عفيفاً ، محباً للخير .

لازمه السيوطي أربع سنوات من سنة (٨٦٨هـ) وحتى وفاته فأخذ عنه الحديث رواية ودراية ، والعربية والمعاني ، فسمع عليه قطعة كبيرة من (المطول) وكذا من توضيح ابن هشام ، وقرأ عليه روايةً الكثير ، وأطلعه السيوطي على شرحه لألفية ابن مالك ، وكتابه جمع الجوامع في العربية فاستحسنهما وكتب على الثاني مقرظاً : (وقفت على هذا الجمع المفرد

(١) كذا وصفه السيوطي في بذل المجهود في خزانة محمود (ط/ مجلة معهد المخطوطات م ١٣٤/١/٤) .

(٢) ترجمته في : بغية الوعاة : ٣٧٥/١ ، حسن المحاضرة : ٢٧١/١ ، التحدث بنعمة الله : ٢٤٥ .

والتأليف الذي هو جوهرٌ منضدٌ)[١] .

يقول السيوطي : « وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه »[٢] .

توفي الشمني في ذي الحجة سنة (٨٧٢هـ) .

(٥) محيي الدين الكافيجي[٣] :

هو الإمام المحقق العلامة : أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود البرغمي الرومي الحنفي .

ولد قبل الثمانمئة للهجرة .

أخذ العلوم عن البرهان حيدرة والشمس بن العنزي وجماعة ، وترق في مراتب المعقول حتى فاق وصار إمام الدنيا فيها ، وله تصانيف جاوزت المئة أكثرها في مسائل علمية مفردة .

ARCHIVE http://Ar

يعد هذا الشيخ أكثر شيوخ السيوطي عطاء ، ومن ثمَّ فقد لازمه السيوطي أربعة عشر عاماً فأخذ عنه :

« .. الفنون قراءة وسماعا من التفسير والحديث والأصلين والعربية والمعاني وغير ذلك » وكتب له بخطه إجازة عظيمة . وقرأ عليه من (شرح القواعد) له وأشياء من مختصراته . وسمع عليه من (الكشاف) وحواشيه ،

---

(١) التحدث بنعمة الله : ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق : ٢٤٦ .

(٣) ترجمته في : حسن المحاضرة : ٥٤٩/١ ، بغية الوعاة : ١١٧/١ ، التحدث بنعمة الله ٢٤٣ . والكافيجي : نسبة إلى كتاب الكافية في النحو ـ لكثرة اشتغاله به ـ بزيادة (جيم) على عادة الترك في النسب (انظر لب اللباب : ٢١٨ ، تاريخ الأدب العربي لفروخ : ٨٩٩/٣) .

و(المغني) وحاشيته ، و(توضيح) صدر الشريعة ، و(التلويح) للشيخ سعد الدين ، و(تفسير البيضاوي) والكثير من تصانيفه كـ : (شرح كلمتي الشهادة) و(مختصره) في علوم الحديث[١] و(شرح أحكام القوافي) وغير ذلك .

يقول : « .. وما علمت أنّه خُتم عليه كتاب لأنّه كان يقرأ قراءة الأئمة الراسخين في التحقيق ... وعلقت عنه فوائد وأبحاثاً[٢] وأجازني بتدريس سائر الفنون ... وقرَّرني في تدريس الحديث بالشيخونية .. وكانت مدة ملازمتي له أربع عشرة سنة ما دخلت عليه مرة يوماً من الأيام إلا استفدت منه ما لم أسمعه قبل ذلك من نفائس التحقيقات الجليلة »[٣] .

توفي الكافيجي في الرابع من جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثمانمئة (٨٧٩هـ) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦) سيف الدين الحنفي[٤] :

هو الإمام العلامة : محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري القاهري الحنفي النحوي .

ولد على رأس الثمانمئة الهجرية .

أخذ عن مشاهير عصره أمثال : السراج قارئ الهداية ، والزين

---

(١) مطبوع بتحقيق د. علي زوين (نشر دار الرشد الرياض : ١٩٨٧م) .

(٢) أورد السيوطي بعضاً من أبحاث شيخه الكافيجي في كتابه : (الأشباه والنظائر النحوية) الجزء الرابع : ص٤١٦ ـ ٦٢٢ (ط/مجمع اللغة العربية بدمشق ، بتحقيق أحمد الشريف) .

(٣) المرجع السابق : ٢٤٤ .

(٤) ترجمته في : حسن المحاضرة : ٤٧٨/١ ، بغية الوعاة : ٢٣١/١ ، التحدث بنعمة الله : ٢٤٢ .

التفهني ولزم الكمال بن الهمام وتخرج به .

مهر في الفقه والأصول والنحو حتى قال عنه شيخه الإمام الكمال بن الهمام :

« هو محقق الديار المصرية ، مع ما هو عليه من سلوك طريق السلف والعبادة والخير وعدم التردد إلى أحد أبداً مدة عمره » ووصفت دروسه بأنَّها إليها المنتهى في التحقيق والتؤدة ونقل مقالات العلماء .

وقد لازمه السيوطي فسمع عليه دروساً عديدة من (الكشاف) و(التوضيح) وحاشيته عليه ، و(شرح شذور الذهب) و(تلخيص المفتاح) و(العضد) وغير ذلك .

مات في ذي القعدة سنة إحدى وثمانين ثمانئة (٨٨١هـ) .

قال السيوطي : « وهو آخر شيوخي موتاً لم يتأخر بعده أحد ممن أخذت عنه العلم إلا رجلٌ قرأت عليه ورقات من المنهاج[1] » .

هؤلاء هم الشيوخ الذين لازمهم السيوطي وأكثر من الأخذ عنهم وكان لهم الأثر الواضح في بناء شخصيته العلمية وتكوينه الفكري وسلوكه الاجتماعي وله سواهم مجموعة أخرى من الشيوخ جالسهم واستفاد من دروسهم ولكن لم تطل مدة مجالسته لهم ، ولم يكن لهم ذلك التأثير الواضح في شخصيته من أمثال :

الشيخ : جلال الدين المحلي (ت : ٨٦٤هـ)[2] .

والعلامة : شهاب الدين الشارمساحي (ت : ٨٦٥هـ)[3] .

---

(١) يشير إلى الشيخ شمس الدين الباني المتوفى سنة (٨٨٥هـ) (التحدث بنعمة الله ١٦٣) .

(٢) الكوكب السائرة : ١/٢٢٦ .

(٣) نظم العقيان : ٤٣ .

وقاضي القضاة عز الدين الكناني (ت : ٨٧٦هـ)[١] وسواهم .

أما شيوخ السيوطي في الإجازة والسماع فكثيرون جداً ، أوصلهم إلى أكثر من ستمئة شيخ وشيخة[٢] ، وبالجملة فـ :

« إنّ قراءته وأخذه وروايته في مراتب المعقول والمنقول قد انتهت إلى جماعة كثيرة لم يعهد مثلها لأحد من الفحول »[٣] .

وقد حاولت فيما مرّ أن أركز الضوء على بعض ممن تخرج بهم السيوطي ليكون ذلك بمثابة رد على السخاوي الذي اتهم السيوطي بأنّه لم يمعن في الطلب ، وأنّه استبد بالأخذ من بطون الكتب ، وقد تابع غير واحد من الكاتبين السخاوي في ترديد هذه التهمة دون تحقيق ، يقول الدكتور عمر فروخ :

« ويبدو أن ثقافة السيوطي كانت راجعة إلى جهوده في المطالعة .. »[٤] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحلاته العلمية :

(**الرحلة الحجازية**) كانت رحلة السيوطي الأولى إلى الحجاز وابتدأها في ربيع الآخر سنة (٨٦٩هـ) حيث وصل إلى مكة بطريق بحر القلزم (الأحمر) منتصف جمادى الأولى ، واستمر مقيماً فيها مجاوراً إلى أن حجَّ في السنة نفسها وقد ألف في أثناء هذه الرحلة عدداً من المصنفات منها :

---

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٤٤ .

(٢) وجمعهم في معجم شيوخه الكبير المسمى (حاطب ليل وجارف سيل) .

(٣) روضات الجنات للخوانساري : ٤١٥ .

(٤) تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ٨٩٩/٣ ، وانظر الضوء اللامع للسخاوي : ٦٨/٤ .

١ ـ مختصر ألفية العراقي في المصطلح نظمها في نحو ثلثي أصلها قال في آخرها :

نظمتها في نحو ثلثي أصلها ولن ترى مختصراً كمثلها
ختمتها بظهر بحر القلزم مسافراً للبلد المحرم
وفي ربيع لاح زهر نظمها وفي جمادى فاح مسك ختمها
من عام تسعة وستين التي بعد ثمانمئة للهجرة[١]

٢ ـ كتاب على نمط كتاب (عنوان الشرف الوافي) احتوى خمسة أنواع من العلوم هي : النحو والمعاني والبديع والعروض والتاريخ ، وسماه (النفحة المسكية والتحفة المكية) أتم تأليفه في يوم واحد في نحو كراسة[٢] .

٣ ـ كما جمع السيوطي فوائد هذه الرحلة المباركة وما وقع له فيها ومن لقيه أو أجازه أو استجازه في كتاب سماه : (النحلة الزكية في الرحلة المكية)[٣] .

وبعد أداء مناسك الحج زار وقفل راجعاً إلى بلده فوصلها افتتاح سنة (٨٧٠هـ) وقد لقي في رحلته كبار شيوخ الرواية من علماء الحرمين الشريفين أمثال :

العلامة نحوي الحجاز قاضي المالكية محيي الدين عبد القادر بن أحمد بن محمود بن عبد المعطي الأنصاري (المتوفى : ٨٨٠هـ) الذي استجازه الإمام السيوطي وأطلعه على شرحه للألفية فاستحسنه وكتب عليه تقريظا[٤] .

---

(١) التحدث بنعمة الله : ٧٩ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٧٩ ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي : ٣٧٠ .

(٣) وتسمى الرحلة المكية والمدنية (انظر التحدث بنعمة الله : ١٢٧ و٧٩) .

(٤) ترجمته في بغية الوعاة : ٣٧٢/١ ، وانظر أيضاً : ١٠٤/٢ . وانظر نص تقريظه على شرح الألفية للسيوطي في التحدث بنعمة الله : ١٣٩ ـ ١٤٠ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعلامة الحافظ نجم الدين بن تقي الدين محمد بن المكي (المتوفى ٨٨٥هـ) وهو من طلبة والده ، وقد أجاز السيوطي بمروياته وكتب بعضاً من مصنفات السيوطي ، وهو الذي أشار على السيوطي أن يختصر طبقات النحاة الكبرى فاختصرها بكتابه (بغية الوعاة)[1] .

الرحلة المصرية

وللسيوطي رحلة أخرى سوى الرحلة المكية زار فيها بعض مدن مصر أنشأها بعد عودته من رحلة الحج واستمرت نحواً من ثلاثة أشهر من رجب إلى شوال سنة (٨٧٠هـ) زار خلالها دمياط والفيوم والإسكندرية وغيرها من المدن ، وقد جمع فوائد هذه الرحلة أيضاً في مؤلف سماه (الاغتباط في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط)[2] يقول :

« وفي هذه الرحلة حدّثت بمشارياتي وبأشياء من نظمي ، وكُتب الكثير من كلامي وتصنيفي ، وطُلب مني الإجازة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتضح للباحث من خلال حديث السيوطي عن هذه الرحلات وما وقع له فيها أنّه لم يخرج من القاهرة للارتحال إلا وقد أصبح وعاء علم وأنّه كان هو المفيد أكثر مما كان مستفيداً ، وأن الذين أجازهم أكثر من الذين أجازوه مما يدل على أنَّ شهرته سبقته قبل أن يخرج .

---

(١) ترجمته في الرسالة المستطرفة : ٨٤ ، وانظر التحدث بنعمة الله : ٨٠ .

(٢) وتسمى قطف الزهر في رحلة شهر ، وله في الرحلة إلى الفيوم مؤلف مستقل سماه (الرحلة الفيومية) انظر التحدث بنعمة الله : ٨٣ و١٢٧ وقارن بمكتبة الجلال السيوطي : ٢٠١ .

(آراء وأنباء)

الأستاذ المهندس وجيه السمان

في ذمة الله

ينعى مجمع اللغة العربية بدمشق إلى المجامع والجامعات والمحافل العلمية ببالغ الأسى عضو المجمع الأستاذ المهندس وجيه السمان الذي لقي وجه ربه صباح يوم الاثنين التاسع عشر من شهر صفر ١٤١٣هـ الموافق للسابع عشر من شهر آب (أغسطس) ١٩٩٢م .

ولد الفقيد في دمشق عام ١٣٣١ للهجرة الموافق لعام ١٩١٣م ، ودرس في مدارس دمشق ، ثم في المدرسة المركزية (Ecole Centrale) بباريس ، وعاد إلى الوطن سنة ١٩٣٧م ليعمل مدرساً للرياضيات والفيزياء في المدارس الثانوية ، ثم أستاذاً في أول كلية للهندسة أنشئت في سورية بمدينة حلب عام ١٩٤٦م ، وأصبح عميداً لهذه الكلية (١٩٤٧ – ١٩٥١م) فكان له الفضل في ترسيخ دعائم الكلية والارتقاء بها إلى المستوى العلمي العالمي .

ووكل إليه أولو الأمر في عام ١٩٥١م إدارة مؤسسة الكهرباء بدمشق ، بعد أن غدت ملك الوطن ، فعمل بجد ودأب حتى أعادها عربية الوجه واللسان .

واختير عام ١٩٥٧م عضواً في أول مؤسسة للإنماء الاقتصادي في سورية ، ليسند إليه بعد ذلك منصب نائب الرئيس فيها . وفي عهد الوحدة بين سورية ومصر (١٩٥٨ – ١٩٦١م) تبوأ منصب وزير الصناعة . ومنذ

عام ١٩٦١م اعتزل المناصب الحكومية ليتفرغ للكتابة والترجمة والتأليف والتدريس .

وقد أهلته معرفته بالعربية وإحاطته بأسرارها ، واطلاعه على علوم العصر في الهندسة والرياضيات والفيزياء والكيمياء الاطلاع العميق الواسع وإتقانه الانكليزية والفرنسية أن يتبوأ في عام ١٩٨٦ مقعده في مجمع الخالدين ، وأن يشارك المشاركة الجادة في أعماله ولجانه ، لا يعرف الملل ولا الكلال .

لقد كان الفقيد ، رحمه الله ، عالماً مبرزاً ، ومعلماً فذّاً ، ألف في مطلع حياته كتاباً في الفيزياء لطلاب السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية ، نهلت منه أجيال من الفتيان والفتيات ، وأصبح الكتاب رائداً لمن ألفوا بعده في هذا العلم . وترجم كتباً جليلة في علوم الفيزياء والفلك والهندسة ، وشارك في كثير من المؤتمرات العلمية العربية والعالمية .

وإلى جانب عناية الفقيد بالجانب العلمي فقد تجلى اهتمامه البالغ باللغة العربية وآدابها . كان غيوراً على لغة الضاد ، محباً لها ، حريصاً على سلامتها ، وقد أسعفته مقدرته اللغوية في وضع الكثير من المصطلحات العلمية والمشاركة في تأليف طائفة من المعجمات .

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته ، وجزاه جزاء الصالحين المخلصين ونفع أمته بعمله الباقي . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الكتب والمجلات المهداة
لمكتبة مجمع اللغة العربية
خلال الربع الثالث من عام ١٩٩٢

أ ـ الكتب العربية

وفاء تقي الدين

أبطال من تاريخ العرب ـ غالب الحمود ـ عمّان ١٩٨٩ .

أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاّد المتوفى سنة ٢٨٢ ، دراسة وتوثيق ـ الدكتور أنور أبو سويلم ـ دار عمّار ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو منصور الماتريدي ، حياته وآراؤه العقدية ـ بلقاسم الغالي ـ دار التركي للنشر ، تونس ١٩٨٩ .

أجوبة عن الأسئلة التي طرحتها بعثة صحيفة واشنطن تايمز الأمريكية ـ كيم ايل سونغ ـ بيونغ يانغ . كوريا ١٩٩٢ .

أجوبة عن الأسئلة التي طرحها مدير تحرير اساهي شيمبون اليابانية ـ كيم ايل سونغ ـ بيونغ يانغ . كوريا ١٩٩٢ .

أشغال ملتقى الجامعة والتحولات الاجتماعية ، تونس ١٤ ـ ١٩ ماي ١٩٩٠ ـ عدد من الباحثين المشاركين في الملتقى ـ تونس ١٩٩٢م .

الإعلام بوفيات الأعلام ـ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، حققه وعلق عليه رياض عبد الحميد مراد وعبد الجبار زكار ـ دار الفكر ، دمشق ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار ـ أبو محمد الرُشاطي وابن الخراط الإشبيلي ، تقديم وتحقيق ايميليو مولينا وخاثينيو بوسك بيلا ـ المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي (سلسلة المصادر الأندلسية ٧) مدريد ١٩٩٢ .

بحوث الندوة العالمية عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة ، ربيع الآخر ١٤٠٨هـ نوفمبر ١٩٨٧م ـ عدد من الباحثين المشاركين في الندوة ـ الجامعة السلفية بنارس الهند ، المطبعة السلفية ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية والإسلام ـ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ، صححه وشرحه أحمد الألفي ، ترجم للمؤلف وأعد الفهارس الدكتور محمد أبو الأجفان ـ تونس ، المكتبة العتيقة ١٩٨٥م .

البنية الصوتية للكلمة العربية (مذيل بمعجم عربي فرنسي) ـ د. عبد القادر الحديدي ـ تونس ١٩٨٦م .

بيان الإعجاز في سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ـ أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي ، تحقيق وتعليق د. حمد بن ناصر دخيل ـ الرياض ١٤١١هـ .

التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمام والمتنبي ـ الدكتورة نسيمة راشد الغيث ـ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٩٢م .

التقسيم والتشجير (تقاسيم العلل) ـ أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، تحقيق وترجمة د. صبحي محمود حمامي ـ معهد التراث العلمي العربي ، حلب ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

ثم اهتديت ـ د. محمد التيجاني السماوي ـ مؤسسة الفجر ، لندن .

الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب المعاصرة ـ الدكتور حكمت عبد الكريم فريحات ـ عمان ١٩٩٠م .

جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين ـ علي المحجوبي ـ دار سراس للنشر ، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر ، تونس ١٩٩٠م .

حقيقة الأدب ووظيفته في ضوء تصريحات الأدباء والنقاد ـ الدكتور مقتدى حسن الأزهري ـ الجامعة السلفية ، بنارس ، الهند ، المطبعة السلفية .

حول إدارة الاقتصاد الاشتراكي ـ كيم ايل سونغ ـ بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩٢م .

حول إرساء نظام قيادة الحزب بصورة تامة ـ كيم جونغ ايل ـ بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٨٨م .

حول إعلاء الدور القيادي للحزب ـ كيم جونغ ايل ـ بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩٢م .

حول تربية أفراد الجيل الصاعد كمواصلي الثورة – كيم جونغ ايل – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٩٢م .

خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس ١٣٥٠هـ ١٩٣١م – عبد العزيز الثعالبي ، أعدها للنشر الدكتور أحمد بن ميلاد ، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي – دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٨م .

دراسة في حياة وأعمال الأستاذ عبد الهادي التازي – عبد الفتاح الزين – المعهد الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ١٩٩١م .

ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي بشرح محمد بن إبراهيم بن محمد الحضرمي – قدم له وحققه الدكتور أنور أبو سويلم والدكتور علي الهروط ، ساعد في تحقيقه د. علي الشوملي – عمان ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ديوان شهاب الدين بن خلوف – جمع وتحقيق د. هشام بوقمرة – الدار العربية للكتاب ١٩٨٨م .

الروح التحررية في القرآن – تأليف الشيخ عبد العزيز الثعالبي ، ترجمة وتحقيق د. زهير الذوادي – الكتاب الشهري ، تونس ١٩٨٨م .

سيف من سيوف الله سيف الدولة الحمداني – الدكتور أحمد فاعور – أربد ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الشابي من خلال يومياته – محمد فريد غازي – الدار التونسية للنشر ، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م .

شرح مقامات جلال الدين السيوطي (جزءان) – تحقيق سمير محمود الدروبي – مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

شظايا حزيران (شعر) – جورج صيدح – باريس ١٩٧١م .

شهرات التونسيات – حسن حسني عبد الوهاب – تونس ، طبعة ثالثة ١٩٨٥م .

طرائق المعالجة السطحية بالليزر (تقنية الليزر وتقاناته) – تأليف أ. غ. غريغور يانتس ، أ. ن. سافونوف ، ترجمة الدكتور محمد غانم ، تدقيق ومراجعة الدكتور محمد علي سلامة – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ١٩٩٢م .

الظاهرة النحوية بين الزمخشري وأبي حيان ، مسائل من البحر المحيط – قاسم محمد صالح – عمّان ١٩٩١م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عقيدة البعث في الإسلام – الدكتور التهامي نقرة – الجامعة التونسية ، سلسلة الدراسات الإسلامية ، الطبعة الثانية .

فاسألوا أهل الذكر – الدكتور محمد التيجاني السماوي – مؤسسة الفجر ، لندن (هدية مجمع الإمام الهادي بمشهد) .

قانون الأرض لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٧٧م .

قانون الخدمات الصحية العامة لجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية – بيونغ يانغ ، كوريا ١٩٨٠م .

قصة مدينة بيسان – يوسف عبيد – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

قصة مدينة حلب – حامد الخطيب – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

قصة مدينة يافا – عز الدين غربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

قفصة قديماً وحديثاً – محمد علي بلحولة – تونس ١٩٩٠م .

كشاف الفهارس ووصاف المخطوطات العربية في مكتبات فارس (الجزء الأول : علوم القرآن ، قراءة وتجويد) – الدكتور سيد محمد باقر حجتي – إيران ١٩٩٢ .

مختصر كتاب التواريخ الشرعية عن الأئمة المهدية عليهم **السلام والتحية** – محمد بن محمد بن النعمان – إيران .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشكلة المسجد البابري في ضوء التاريخ والكتابات **المعاصرة** – الدكتور مقتدى حسن الأزهري – إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية ، بنارس ، الهند ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

مع الحسين بن علي ؛ مبادئ ومواقف من خلال الوثائق المنشورة في صحيفة القبلة التي أصدرها المغفور له الحسين بن علي ١٩١٦ – ١٩٢٤م . – عرض وتبويب وتعليق الدكتور سعد أبو دية وعبد المجيد مهدي النسعة – مديرية المطابع العسكرية بالأردن ١٩٩١م .

معجم مصطلحات العروض والقافية – د. محمد علي الشوابكة ود. أنور أبو سويلم – نشر بدعم من جامعة مؤتة ، عمّان ، دار البشير ١٩٩١م .

المُعْلِم بفوائد مسلم (الجزء الثاني) – الإمام المازري أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر ، تحقيق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر – بيت الحكمة ، قرطاج ١٩٨٨م .

منازل السائرين إلى الحق المبين (الجزء الثاني) – أبو إسماعيل الهروي ، شرح عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني ، أعده للنشر عبد الحفيظ منصور – دار التركي للنشر ، تونس ١٩٨٩م .

النخبة والسلطة في العالم العربي خلال العصر الحديث والمعاصر – عدد من الباحثين المشاركين في المؤتمر الذي عقد في تونس من ٤ – ٩ ديسمبر ١٩٨٩م – الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ١٩٩٢م .

نظرات عصرية في القرآن الكريم – محمد لطفي جمعة ، تقديم جاد الحق علي جاد الحق شيخ الجامع الأزهر – عالم الكتب ، القاهرة ١٤١١هـ ١٩٩١م .

النظرية اللسانية والشعرية في التراث العربي – د. عبد القادر المهيري ، ود. حمادي صمود ، ود. عبد السلام المسدي – الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٨م .

النهضة العربية الكبرى ؛ دراسات وأبحاث – تقديم وتحقيق العقيد الركن قاسم محمد صالح ، والنقيب قاسم محمد الدروع – مديرية المطابع العسكرية الأردنية ١٩٨٩م .

ب ـ المجلات العربية المهداة

حسين منعم

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٧٠	١٩٩٢	سورية
الأسبوع الأدبي	من ٣١٦ – ٣٣٠	١٩٩٢	سورية
بحوث جامعة حلب	١٠	١٩٨٩	سورية
البطريركية	من ١١٤ – ١١٦	١٩٩٢	سورية
التراث العربي	٤٧ ، ٤٨	١٩٩٢	سورية
الثقافة	حزيران ، تموز ، آب	١٩٩٢	سورية
الثقافة الأسبوعية	من ٢٢ – ٣٦	١٩٩٢	سورية
جامعة دمشق	٦/٢٢	١٩٩٠	سورية
دراسات تاريخية	من ٣٩ – ٤٢	١٩٩٢	سورية
رسالة معهد التراث العلمي العربي	٥٨	١٩٩٢	سورية
صوت فلسطين	٢٩٣ ، ٢٩٦	١٩٩٢	سورية
الضاد	من ٤ – ٧	١٩٩٢	سورية
عالم الذرة	١٩	١٩٩٢	سورية
مجموعة مجلة العمال العرب	–	١٩٩١	سورية
المعرفة	من ٣٤٥ – ٣٤٧	١٩٩٢	سورية
الموقف الأدبي	من ٢٥٠ – ٢٥٢	١٩٩٢	سورية
النشرة الاقتصادية	٢	١٩٩٢	سورية
نهج الإسلام	٤٨	١٩٩٢	سورية
دراسات	١ ، ٢	١٩٩١	الأردن
راية مؤتة	١	١٩٩٢	الأردن
اليرموك	٣٦	١٩٩٢	الأردن
دراسات	٤ ، ٥	١٩٩٢	الامارات المتحدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسم المجلة	الأعداد الواردة	سنة الاصدار	المصدر
التعليم الأساسي	–	١٩٩٢	تونس
دار المعلمين العليا	١	١٩٩١	تونس
الدروس العمومية	١	١٩٩٠	تونس
دليل كليات التربية في الوطن العربي	–	١٩٩٠	تونس
المجلة المعجمية	٢ ، ٣ ، ٤	٨٦ – ٨٨	تونس
البيبلوغرافيا الجزائرية	٥٤	١٩٩٢	الجزائر
الدارة	١ ، ٢	١٩٩٢	السعودية
البحوث الفقهية المعاصرة	١٤	١٩٩٢	السعودية
عالم الكتب	٤	١٩٩٢	السعودية
الفيصل	١٨٩	١٩٩٢	السعودية
أخبار التراث الإسلامي	٢٥ ، ٢٦	١٩٩٢	الكويت
دراسات فلسطينية	١٠	١٩٩٢	لبنان
الشراع	من ٥٣٠ – ٥٤٢	١٩٩٢	لبنان
الفكر العربي	٦٩	١٩٩٢	لبنان
الارشاد	٣	١٩٩٢	المغرب
الثقافة المغربية	٧	١٩٩٢	المغرب
دعوة الحق	٢٨٧ ، ٢٨٨	١٩٩٢	المغرب
الوحدة	٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥	١٩٩٢	المغرب
دراسات يمنية	٤٢	١٩٩٠	اليمن
الدراسات الإسلامية	٣	١٩٩١	باكستان
المجمع العلمي الهندي	١ ، ٢	١٩٩١	الهند
نشرة منظمة المؤتمر الإسلامي	٢٨	١٩٩٢	تركيا
اللقاء	–	١٩٩٢	ألمانيا
نشرة العلم والتكنولوجيا	–	١٩٩٢	بريطانيا
كوريا	٢٨	١٩٩٢	كوريا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جـ - الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء محاسني

I – BOOKS:

1– BIBLIOGRAPHY OF ISLAMIC AND MIDDLE EASTERN STUDIES IN JAPAN, 1869 – 1988/ compiled by centre for east asian cultural studies, 1992. 787 P.,

2– REMINISCECES WITH THE CENTURY/ by KIM IL SUNG. – Korea, 1992. – vols.: 1,2, Illus.,

3– EL HOMBRE Y SU AMBIENTE EN LOS ANDES CENTRALES/ EDITED BY LUIS MILLONES. – Osaka (Japan), 1980. – 307 P., (Serie Ethnological studies, NO. IO.).

http://Archivebeta.Sakhrit.com

4– The making of the Romanian Unitary National state, 1918/ BY STEFAN PASCU. – Romania, 1989. – 277p., Illus.

5– The MAKING OF THE UNITARY ROMANIAN NATIONAL STATE, ECONOMIC PREMISES/ by VICTOR AXENCIUC and ION TIBERIAN. – Romania, 1989. – 30I P.

6– Trente d'economie marocaine, 1960 – 1990/ by HABIB EL MALKI. – Paris, 1989. – 244p.

7– LES VILLES DANS L'EMPIRE OTTOMAM: ACTIVITES ET SOCIETES/ par DANIEL PAMZAC. – Tome I, Paris, 1991. – 416p.

8– IMMIGRATION ET ECOLE: LA PLURALITE CULTURELLE, ETAT DES QUESTIONS DOSSIERS DOCUMENTAIRES/ par CIAUDE LIAUZU. – AIX – EN – PROVENCE, 1981 205p. (with ESSAI BIBLIOGRAPHIQUE 1975 – 1988 par Nasse et Tieche).

9– LE MONDE ARABE ET MUSULMAN AU MIROIR DE L'UNIVERSITE FRANCAISE/ PAR Institut Du Monde Arabe. – Aix – En – Provence, 1992. – Thesam I – 4.

10– La Republique Democratique Du Soudan, Bilan des recherches en France et en R.F.A. bibliographie sélective 1900 – 1986./ par TALAAT

EL – SINGABY. – Aix – En – Provence, 1987. – 139p.

11 – Migration Internationales Au Moyen – Orient: 1975 – 1986, Bibliographie. par Gilbert Beauge et Aicha Bendiab. – Aix – En – Provence, 1987; 186p.

12 – The Great Romanian Peasant Revolt of 1907/ by M.Badea and others, edited by Lon Ilincioiu. – Romane, 1991. – 295p., Series: Bibliotheca Historica Romanie.

13 – Le décor sur bois dans L'architecture des Fes/ par Catherine CAMBAZARD – AMAHAN. – PARIS, 1989. – 235p., Illus. (Editions du CNRS).

13 – L'Emigration Maghrébine de 1962 à 1985, Repertoire Bibliographique/ par Simone Nassé and others. – Aix – En – Provence, 1986. – 235p (publi. by universités D'aix – Marseille.).

14 – LE MAGHREB MUSULMAN EN 1979/ sous la direction CHRISTIANE SOURIAU. – Paris, 1981. – 412p. (published by centre De Recherches Et D'Etudes sur les societes Mediterraneenes).

II – PERIODICALS:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

1 – Der Islam, Zeitschrift fur Geschichte und Kultur des Islamischen Orients, Band 69 Heft I, 1992, Walter de Gruyter. Berlin.

2 – STVDIA ISLAMICA, Paris, edited by HALIL INALCIK and Others., Vols.: Lxx, LxxI, LXXII, LXXIII, LXXIV, LXXV.

3 – ORIENTALIA SUECANA, founded by ERIK GREN, Stockholm SWEDEN, Vol. XL (1991).

4 – EAST ASIAN REVIEW, publ. by The Institute for East Asian Studies, Seoul Korea, Vol. IV, Nos.: 1,2,3 (1992).

5 – HAMDARD ISLAMICUS, A QUARTERLY JOURNAL OF BAIT AL HIKMAT (HAMDARD FOUNDATION PAKISTAN), vol XV, Summer 1992, No 2.

6 – ORIENT, REPORT OF THE SOCIETY FOR NEAR EASTERN STUDIES IN JAPAN, TOKYO Vol.: XXvII, 1991.

7 – ISLAMIC STUDIESE, Islamic Research Institute, Islamabad (PAKISTAN), Special Issue, vol.30, NOs.I – 2 (1991).

8 – IBLA, REVUE DE L'INSTITUT DES BELLES LETTRES ARABES, TUNIS., NO.169, 1992.

9 – THE MIDDLE EAST JOURNAL, Middle East Institute, WASHINGTON,D;C., VOL.45, NO.4, AUTUMN 1991.

10 – DURHAM UNIVERSITY JOURNAL, ENGLAND, January (1992).

11 – Le COURRIER de L'UNESCO, Paris, june, september, october, 1992.

12 – THE UNIVERSAL MASSAGE, Islamic Research Academy, August, 1992, Pakistan.

13 – SGI quarterly, (magazine of the SOKA GAKKAI INTERNATIONAL), Jan – Mar. (1992).

14 – SOURCES, UNESCO, PARIS, NOS.: 37 – 39 – 42.

15 – LETTERA DALL'ITALIA, INstituto della Encyclopedia Italia fondata da G. Treccani, Roma, Anno VII, NO.27, July – September (1992).

16 – COREE, Nos.: 389, 390, 391, 392; July – October (1992).

17 – ABN CORRESPONDENCE, Bulletin of The Anti – Bolshevik Bloc of Nations, Munich, West Germany, vol.XLIII, Nos.: 1 – 2, January – April (1992).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com